

إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد الغني المحمّد السّلمان

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨ هـ)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكّل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

مَنْ أَرَادَ طَبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَزِيدُ بِهِ عَرْضاً مَنِ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اهداءات ١٩٩٨
عبد الحميد بن عبد العزيز السلمان
السعودية

إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد

تأليف الفقير إلى الله تعالى

عبد العزيز بن محمد بن صالح آل
عمر الله له ولوالديه وللجميع المسلمين

(الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤١٨ هـ)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير الموكل
عنهم إبراهيم بن علي العودة جزاهم الله كلهم خيراً

مَنْ أَرَادَ طَبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُزِيدُ بِهِ عَرْضًا مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَزِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عِزًّا وَمِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهَذَا قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ ذَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّرَ الْأَقْدَارِ وَمُصَرِّفَ الْأُمُورِ عَلَى مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَمُكَوِّرَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ .

الواحد الأحد الفرد الصمد العليم الحكيم الذي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ اصْطَفَاهُ فَأَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ الْأَخْيَارِ وَوَفَّقَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ عِبِيدِهِ فَجَعَلَهُ مِنَ الْأَبْرَارِ .

وَبَصَّرَ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ خَلْقِهِ لِلْحَقَائِقِ فَزَهَّدُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَاجْتَهَدُوا فِي مَرْضَاتِهِ وَالتَّأَهُبِ لِدارِ الْقَرَارِ .

وبعد فإنني لما نظرت في غفلتي عن اكتساب الزاد المُبْلَغَ لِيَوْمِ الْمَعَادِ وَرَأَيْتُ أَوْقَاتِي قَدْ ضَاعَتْ فِيمَا لَا يَنْتَفِعُنِي فِي مَعَادِي وَرَأَيْتُ اسْتِعْصَاءَ نَفْسِي عَمَّا يُوْنِسُنِي فِي رَمْسِي لَا سِيَّما وَالشَّيْطَانَ وَالْدُنْيَا وَالْهَوَى مَعَهَا ظَهِيرِ .

فَعَزَمْتُ عَلَى جَمْعِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالزُّهَادِ وَالْعِبَادِ مِمَّا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَباً نَافِعاً حَاتِئاً لِي وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَصِيبُوا بِمِثْلِي بِضَيَاعِ أَوْقَاتِهِمْ فِيمَا لَا يَنْتَفَعُ وَلَا يُجْدِي عَلَى الْاسْتِعْدَادِ وَالتَّأَهُبِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ .

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ . وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا وَلَهُمْ أَبْوَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لَوَجْهِهِ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ وَجَزَّاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً إِنَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

فصل

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ شَيْئاً مِنَ الطَّاعَاتِ وَإِنْ قَلَّ أَنْ يُحْضِرَ النَّيَّةَ وَهِيَ أَنْ يَقْصُدَ بِعَمَلِهِ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكُونَ نِيَّتُهُ حَاضِرَةً حَالَ الْعَمَلِ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَالْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ وَالِاعْتِكَافِ وَالصَّدَقَةِ وَقِضَاءِ الْحَوَائِجِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَابْتِدَاءِ السَّلَامِ وَرَدِّهِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَحُضُورُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْأَذْكَارِ وَزِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ لَا لِقْصْدٍ دُنْيَوِي .

وَالنَّفَقَةُ عَلَى الْأَهْلِ وَالضَّيْفِ وَإِكْرَامِ الْأَقْرَابِ وَبِرِّ الْوَالِدِينَ وَإِكْرَامِ أَهْلِ الْوُدِّ وَالْأَصْدِقَاءِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ وَمُذَاكِرَةُ الْعِلْمِ وَالْمُنَاطَرَةُ فِيهِ وَتَكَرُّرُهُ وَتَدْرِيسُهُ وَتَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَمُطَالَعَتُهُ وَكِتَابَتُهُ وَتَصْنِيفُهُ وَالْفَتَاوَى .

وَبَذَلِ الْجَاهِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ وَتُحْصُوصاً طَلِبَةَ الْعِلْمِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ فِيهِ وَفِي شُؤْنِهِمُ الْخَاصَّةِ وَتَشْجِيعِهِمْ وَحَثُّهُمْ عَلَى الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ وَأَهْلِهَا وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الضَّارَّةِ وَالْعُلُومِ الَّتِي ضَرَرُهَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهَا .

وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ حَتَّى إِنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ أَوْ نَامَ يَقْصُدُ بِذَلِكَ التَّقْوِيَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ رَاحَةَ الْبَدَنِ لِلتَّنْشِيطِ لِلطَّاعَةِ وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ جَمَاعَ زَوْجِيَّةٍ يَقْصُدُ لِبِصَالِهَا حَقَّهَا وَتَحْصِيلَ وَلَدٍ صَالِحٍ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى وَإِعْفَافَ نَفْسِهِ وَصِيَانَتَهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْحَرَامِ وَالْفِكْرِ فِيهِ .

وَمَنْ حُرِّمَ النَّيَّةُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ فَقَدْ حُرِّمَ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَمَنْ وَفَّقَ فَقَدْ أَوْقَى فَضْلاً عَظِيماً . فَسَأَلَ اللَّهُ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ

الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد التوفيق لذلك وسائر وجوه الخير .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » متفق عليه .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال « إِنْ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالٍ مَا سَرْتُمْ مَسِيراً وَلَا قَطَعْتُمْ وادياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَهُمُ الْمَرَضِ وَفِي رَوَايَةٍ شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ » رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال « إِنْ أَقْوَاماً خَلَفْنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكَنا شَعْباً وَلَا وادياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا حَبْسَهُمُ الْعَذْرِ » وهذا دليل على فضل النية لأنهم كتب لهم أجر الغزو بالنية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال « إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ . وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » متفق عليه .

شِعْرًا: عَجَبْتُ لِمَنْ يَغْمُرُ قُصُوراً فَسَيِّئَةً لَيْسَكُنْهَا وَقْتاً قَلِيلاً وَيَرْحَلُ
وَيَتْرُكُ قَبْراً فِيهِ يَسْكُنُ وَخَدَهُ زَمَاناً طَوِيلًا ثُمَّ يَأْتِي يَهْزُولُ
إِلَى مَوْقِفٍ يَثِيبُ وَلِيْلُهُ وَتُسْقَطُ ذَاتُ الْحَمْلِ فِيهِ وَتُدْهَلُ
وَمِنْ بَعْدِهِ الْأَهْوَالُ لَوْ قَدْ رَأَيْتَهَا لَطَلَّقْتَ دُيًّا بِالثَّلَاثِ مُعْجَلُ
فَلَيْلِهِ دُرُّ الزَّاهِدِينَ بِجَنَفَةٍ عَلَيْهَا أُنَاسٌ جَاهِلُونَ وَغُفْلُ

ذَكَرُ بَعْضُ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَاعِظِ الْمِيقِظَةِ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ

(١) إَعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ النَّفْسَ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ عَدُوَّةٌ لَكَ مَعَ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَتَّقُوهُ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ بِهَوَى النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا ، فَهِيَ سِلَاحُهَا الَّذِي يَصِيدُ بِهِ وَهَلْ أَوْقَعَ إِبْلِيسَ فِي كِبَرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِلَّا نَفْسُهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ .

فَلَا تُغْرِثْكَ نَفْسُكَ بِالْأَمَانِيِّ وَالْعُرُورِ ، لِأَنَّ مِنْ طَبْعِ النَّفْسِ الْأَمْنِ وَالْغَفْلَةَ وَالرَّاحَةَ وَالْفَتْرَةَ وَالْكَسَلَ وَالْعَجْزَ فَدَعُوهَا بِاطْلٍ وَكُلْ شَيْءَ مِنْهَا غُرُورٌ وَإِنْ رَضِيتَ عَنْهَا وَاتَّبَعْتَ أَمْرَهَا هَلَكْتَ ، وَإِنْ غَفَلْتَ عَنْ مُحَاسِنَتِهَا غَرَقْتَ ، وَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ مُخَالَفَتِهَا وَاتَّبَعْتَ هَوَاهَا قَادَتْكَ إِلَى النَّارِ .
وَهِيَ رَأْسُ الْبَلَايَا ، وَمَعْدِنُ الْفَضِيحَةِ ، وَهِيَ خِزَانَةُ إِبْلِيسَ ، وَمَأْوَى كُلِّ شَرٍّ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا خَالِقُهَا نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا .

(٢) يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ مِنْ رِيَاءٍ أَوْ كِبَرٍ أَوْ عُقُوقٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ أَوْ كَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ أَوْ تَعِيمَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ .

فَبَادِرْ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقَ بَابُهُ وَتُطَوَّى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفُ التَّزْوُدِ وَمِثْلُ وَرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ لِنَفْسِكَ نَفْعاً فَقَدِّمَهُ تَسْعِيدٍ وَتَتَفَكَّرْ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَيُنْجُو بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَيُقْصِرُ الْأَمَلَ وَيُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَجْتَنِبِ الْمُنَاهِيَ كُلَّهَا وَيُصَبِّرْ نَفْسَهُ وَيَسْأَلِ اللَّهَ الثَّبَاتَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ حَتَّى الْمَمَاتِ .

(٣) قِيلَ إِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً قَالَ وَمَا هِيَ قَالَ أَنْ تُعَلِّمَنِي إِذَا دَنَى أَجَلِي وَأَرَدْتَ أَنْ تَقْبِضَ رُوحِي ، فَقَالَ نَعَمْ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَسُولَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً .

فلما إنقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزايرِ جئت أم لِقَبْضِ رُوحِي ،
فقال لِقَبْضِ رُوحِكَ فقال أولستَ كُنتَ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ تُرْسِلُ إِلَيَّ رُسُولِينَ أَوْ ثَلَاثَةَ
قَالَ قَدْ فَعَلْتُ .

١ - يَبَاضُ شَعْرَكَ بَعْدَ سَوَادِهِ .

٢ - ضَعُفَ بَدَنُكَ بَعْدَ قُوَّتِهِ .

٣ - وَلِإِحْنَاءِ جَسَدِكَ بَعْدَ اسْتِقَامَتِهِ .

هذه رُسُلِي يَا مَعْقُوبَ إِلَى بَنِي آدَمَ قَبْلَ الْمَوْتِ

شعرأ :

مَضَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ وَالذُّنُوبُ حَاصِلٌ وَجَاءَ رَسُولُ الْمَوْتِ وَالْقَلْبُ غَافِلٌ
تُعِينُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ

آخر :

تَفَكَّرْتُ فِي حَشْرِي وَيَوْمِ قِيَامَتِي وَاصْبَاحِ خَدْيِي فِي الْمَقَابِرِ ثَاوِيَا
فَرِيداً وَحِيداً بَعْدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ رَهِيناً بِجُرْئِي وَالثَّرَابِ وَسَادِيَا
تَفَكَّرْتُ فِي طُولِ الْحِسَابِ وَعَرْضِيهِ وَذُلِّ مَقَامِي حِينَ أُعْطِيَ حِسَابِيَا
وَلَكِنْ رَجَائِي فِيكَ رَبِّي وَخَالِقِي بِأَنَّكَ تُعْفُوا يَا إِلَهِي خَطَايَا
أَشْرَفَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَعْمُرُهَا الْإِنْسَانُ مَا تَقْضِي بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَرَادَ حِفْظَ
أَوْقَاتِهِ فَلْيَجْعَلْ كَلَامَهُ ذِكْراً وَصَمْتَهُ تَفَكُّراً وَنَظَرَهُ عِبْرَةً وَعَمَلَهُ بَرًا .

شعرأ :

لَا يَخْخِرُ الرَّجُلَ الرَّفِيعُ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرُ
وَقَالَ آخِرُ : إِذَا رَأَيْتَ مِنْ قَلْبِكَ قِسْوَةً فَأَكْثِرْ مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ
بِتَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ وَجَالِسِ الذَّاكِرِ اللَّهِ وَاصْحَبِ الزَّاهِدِينَ وَعَلَيْكَ بِالسَّنَةِ وَسِيرَةِ النَّبِيِّ

ﷺ وسيرة أصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

(٤) ذَكَرَ عن شقيق البَلخي أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال ، وقد خالفوها في أعمالهم ، يقولون نحن عبيد الله ، وهم يعملون عمل الأحرار ، وهذا خلاف قولهم ، ويقولون إن الله كفيلاً بأرزاقنا ، ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجمع خطاياها ، وهذا خلاف قولهم ، ويقولون لأبد لنا من الموت ، وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا خلاف قولهم .

(٥) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحوارين إرضوا بدينى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدينى الدين مع سلامة الدنيا : وفي معنى ذلك قيل :

أَرَى رِجَالاً بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا وَمَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعِيشِ بِالدُّنْيَا
وَاسْتَقْنَى بِالْإِيمَانِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَقْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
وقال علي رضي الله عنه من جمع سيئ خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا
عن النار مهرباً أولهما من عرف الله فأطاعه .

وعرف الشيطان فغصاه .

وعرف الحق فاتبعه .

وعرف الباطل فاتقاه .

وعرف الدنيا فرفضها .

وعرف الآخرة فطلبها .

شعراً :

إِنْ أَمَرَأَ بَاعَ أَخْرَاهُ بِفَاجِشَةٍ مِنْ الْفَوَاحِشِ بِأَتْيَهِهَا لَمَغْبُونٌ
وَمَنْ تَشَاغَلَ بِالدُّنْيَا وَزُخْرِفَهَا عَنْ جَنَّةٍ مَا لَهَا مِثْلُ لَمَفْشُونٌ
وَكُلُّ مَنْ يَدْعِي عَقْلاً وَهَمُّهُ فِيمَا يُبْعَدُ عَنْ مَوْلَاهُ مَجْشُونٌ

(٧) وقال ابن مسعود ما أصبح أحد إلا وهو ضيف وماله عارية
فالضيف مُرْتَجِلٌ والعارية مَرْدُودَةٌ وفي ذلك قيل :
وما المَالُ والأهلونَ إلا وَدِيعَةٌ ولا بُدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الودائعُ
(٨) وقال بعضهم الدنيا جيفة فَمَنْ أَرَادَ منها شيئاً فليصبر على مُعَاشَرَةِ

الكلابِ ، وفي ذلك يقول الشافعي :
وما هيَ إلا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عليها كِلَابٌ هَيُّمُنْ اجْتَنَابُهَا
(٩) وقال أبو أمامة رضي الله عنه : لما بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَتَتْهُ إبليسَ
جِنودُهُ فقالوا قد بُعِثَ نَبِيٌّ وأُخْرِجَتْ أُمَّةٌ ، قال يُجِبُونَ الدنيا ، قالوا نعم قال
لَئِنْ كَانُوا يُحِبُّونَ الدنيا مَا أَبَالِي أَنْ لَا يَعْبُدُوا الأوثانَ وإنما أَغْلُوا عليهم وأَرْوَحُ
بثلاث ، أَخَذُ المَالَ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ ، وَإِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَامْسَاكُهُ عَنْ حَقِّهِ
والشَّرَّ كُلُّهُ مِنْ هَذَا تَبَعٌ .

(١٠) وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ إِنَّكَ اسْتَدْبَرْتَ الدنيا مِنْ يَوْمِ نَزَلْتَهَا
وَاسْتَقْبَلْتَ الآخرةَ فَأَنْتَ إِذَا دَارَ تَقَرُّبُ مِنْهَا أَقْرَبُ مِنْ دَارِ تَبَاعَدَتْ عَنْهَا .
شعرا :

وما هَذِهِ الأَيَّامُ إلا مَرَاجِلٌ تُقَرَّبُ مِنْ دَارِ اللِّقَا كُلِّ مُبْعِدٍ
وَمَنْ سَارَ نَحْوَ الدَّارِ خَمْسِينَ حَاجَةً فَقَدْ حَانَ مِنْهُ المُلْتَقَى وَكَأَنَّ قَبْدَ
آخِرٍ : نَسِيرٌ إِلَى الآجالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاجِلُ

(فـ صـ ل)

(١١) وقال الفضيل بن عياض : الدخولُ في الدنيا هَيِّنٌ ولكن الخروجُ
منها هو الشديد .

(١٢) وقال آخر : عَجَباً لِمَنْ عَرَفَ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ كَيْفَ يَفْرَحُ ،

وعجباً لمن عَرَفَ النَّارَ وأنها حق كيف يضحك ، وعجباً لمن رأى ثَقُلَ الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، وعجباً لمن يعلم أن القدرَ حق كيف ينصب .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا على حُبِّ الدنيا ، فلا يأمر بعضنا بعضاً ، ولا ينهى بعضنا بعضاً ، ولا يدعنا الله على هذا فليت شيعري أي عذاب الله ينزل علينا .

وقيل : لبشر مات فلان فقال ، جَمَعَ الدنيا وذَهَبَ إلى الآخرة وضيّع نفسه .

وقال آخر : الدنيا تَبْعُضُ إلينا ونحن نحبها فكيف لو تَحَبَّبَتْ إلينا .

وقال آخر : لا يصبرُ عن شهوات الدنيا إلا مَنْ كان في قلبه ما يشغله بالآخرة .

وقال آخر : يَعِظُ أحاً له في الله وَيُخَوِّفُهُ بالله ، فقال يا أخي إن الدنيا دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، ودارٌ مَذَلَّةٌ ، عُمرانها إلى الخراب صائر ، وعامرها إلى القبور زائر ، شَمَلُها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، الإكثار فيها إعياس والإعسار فيها يسار .

فافرغ إلى الله وارضى برزق الله ، لا تتسلف من دار فتأثلك إلى دارٍ بقائك فإن عَيْشَكَ في الدنيا فيء زائل وجدارٌ مائل أكثر من عَمَلِكَ وأقلل من أَمَلِكَ .

وقال يحيى بن مُعَاذِ الْعُقَلَاءِ ثلاثةٌ مِنْ تَرَكَ الدنيا قَبْلَ أن تُتْرَكَهُ ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أن يَدْخُلَهُ وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أن يَلْقَاهُ .

وقال بُنْدَارٌ إِذَا رَأَيْتَ أَبْنَاءَ الدنيا يَتَكَلَّمُونَ بِالرَّهْدِ فاعلم أنهم في سُخْرِيَةِ إبليس .

وذكر أناسُ الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العتوية ، فقالت استكثروا عن ذكرها فلولاً موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ، إن من أحب شيئا

أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

شِعْرًا :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجِيفَةِ مَيْتَةٍ
وَأَعْظَمُهُمْ ذِمًّا لَهَا وَأَشَدُّهُمْ
وَقَالَ آخِرُ : الدُّنْيَا مَزْبَلَةٌ وَمَجْمَعُ كِلَابٍ وَأَقْلُ مِنَ الْكِلَابِ مَنْ عَكَفَ
عَلَيْهَا ، فَإِنَّ الْكَلْبَ يَأْخُذُ مِنَ الْجِيفَةِ حَاجَتَهُ وَيَنْصَرِفُ وَالْحَبَّ لِلدُّنْيَا لَا يَفَارِقُهَا
بِحَالٍ .

وَقِيلَ لِأَبِرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ كَيْفَ أَتَيْتَ فَقَالَ :

أُرْفِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَنَا يَنْقَى وَلَا مَا تُرْفَعُ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللَّهَ وَخَدَّهُ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ
وَقَالَ آخِرُ :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورًا وَأُنْعَمًا
كَبَّانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فَأَقَامَهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَا قَدْ بَنَاهُ تَهَدَّمَا
وَقَالَ لِقِمَانِ لَابَنِهِ : يَا بُنَيَّ بَغِ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبَحْهُمَا جَمِيعًا
وَلَا تَبْغِ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ تُخْسِرْهُمَا جَمِيعًا .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ لَمَّا عَلِمَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَبِ أَنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَهَانَ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ لَمْ يَرْضَ لَهَا أَوْلِيَاءَهُ وَأَنَّهَا عِنْدَهُ حَقِيرَةٌ ذَلِيلَةٌ .
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَهَّدَ فِيهَا ، وَحَذَرَ أَصْحَابَهُ مِنْ فِتْنَتِهَا أَكَلُوا مِنْهَا
قَصَصًا وَقَلَّمُوا فَضْلًا وَأَخْلَوْا مِنْهَا مَا يَكْفِي ، وَتَرَكُوا مَا يُلْهِي ، لَيْسُوا مِنَ
الْثِيَابِ مَا سَتَرَ الْعَوْرَةَ ، وَأَكَلُوا مِنَ الطَّعَامِ أَذْنَاهُ مِمَّا سَدَّ الْجُوعَ .
وَنَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ أَنَّهَا فَانِيَةٌ وَإِلَى الْآخِرَةِ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ
الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ ، فَخَرَّبُوا الدُّنْيَا وَعَمَّرُوا بِهَا الْآخِرَةَ .

ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سَيَنْظُرُونَ إليها بقلوبهم وأَعْيُنِهِمْ،
ولمَّا عَلِمُوا أنهم سَيَرْتَجِلُونَ إليها بأبدانهم تَعَبُوا قليلا وتَنَعَّمُوا طويلا كل ذلك
بتوفيق مَوْلَاهُم الكريم أَحَبُّوا مَا أَحَبَّ لَهُمْ وَكَرَهُوا مَا كَرِهَ لَهُمْ .

قال عبدالله بن مسعود نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في
جنبه فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ مَالِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا
إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاح وَتَرَكَهَا .

إِعلم بَأَن طَرِيقَ الْحَقِّ مُتَفَرِّدٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا يُطَلَّبُ مَسَاعِيَهُمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قَصَادٌ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّالُهُ قَصَّادُونَ فَجَلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

وَحَظَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُخَلِّقْتُمْ
لَأَمْرٍ إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِهِ وَهَذَا عَمَلُكُمْ فَإِنَّكُمْ حَمَقَى ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ
فَإِنَّكُمْ هَلَكَى فَمَا تُخَلِّقْتُمْ لِلْأَبَدِ وَلَكِنِّكُمْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تُنْقَلُونَ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ فِي دَارٍ لَكُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامِكُمْ غُصَصٌ وَمِنْ شَرَابِكُمْ شَرَقٌ
لَا تَصْفُوا لَكُمْ نِعْمَةً تَسْرُونَ بِهَا إِلَّا يَفِرَاقُ أُخْرَى تَكْرَهُونَ فِرَاقَهَا ، فَاعْمَلُوا لِمَا
أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ وَخَالِدُونَ فِيهِ ثُمَّ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ وَنَزَلَ .

وقال بعضهم في وصف مراحل السلوك : إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ
وَاسْتَحْكَمَ إِيمَانَهُ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا خَافَ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّدَ مِنَ الْخَوْفِ الْهِيبَةُ .
فَإِذَا سَكَنَتْ غَلْبَةُ الْهِيبَةِ دَامَتْ طَاعَتُهُ لِرَبِّهِ ، فَإِذَا أَطَاعَ رَبَّهُ تَوَلَّدَ مِنَ
الطَّاعَةِ الرَّجَاءُ .

فَإِذَا سَكَنَتْ دَرَجَةُ الرَّجَاءِ فِي الْقَلْبِ تَوَلَّدَ مِنَ الرَّجَاءِ الْمَحَبَّةُ .
فَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الْمَحَبَّةُ فِي قَلْبِ الْعَبِيدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَامُ الشَّوْقِ ، فَإِذَا
اشْتَقَّ أَذَاهُ الشَّوْقُ إِلَى الْإِنْسِ بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُنْسَ بِاللَّهِ أَطْمَأَنَّ إِلَى اللَّهِ ، فَإِذَا أَطْمَأَنَّ

إلى الله كان كَيْلُهُ في نعيم ونهارُهُ في نعيم وسِرُّهُ في نعيم وعَلَانِيَتُهُ في نعيم .
 وقال بعضهم يَا ابن آدم ما أَنْصَفْتَ إِذْ يُدْعُوكَ دَاعِي الدُّنْيَا بِكَلِمَةٍ
 وَاحِدَةٍ لِشَيْءٍ ذَاهِبٍ فَتُجِيبُهُ مُسْرِعًا ، وَيَدْعُوكَ دَاعِي الْآخِرَةِ لِشَيْءٍ بَاقٍ صَافِي
 ثَابِتٍ فَلَا تُجِيبُهُ مُسْرِعًا ، فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تُقَدِّرِ الْآخِرَةَ سَوَّيْتَ بَيْنَهُمَا .
 وقال آخر : الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ أَرْأَفُ بِأَمَةِ مُحَمَّدٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَهَاتِهِمْ
 وَاشْفَقَ عَلَيْهِمْ ، قِيلَ لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ ، قَالَ لِأَنَّ آبَاءَهُمْ وَأُمَهَاتِهِمْ يُحْفَظُونَ مِنْ
 نَارِ الدُّنْيَا ، وَالْعُلَمَاءُ يُحْفَظُونَ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا .

وقال آخر : مِنْ أَقْوَى الْقَوَى أَنْ تَغْلِبَ نَفْسَكَ ، مَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ
 نَفْسِهِ كَانَ عَنْ أَدَبِ غَيْرِهِ أَعْجَزَ ، وَقَالَ : مِنْ عِلَامَاتِ الْاسْتِدْرَاجِ لِلْعَبِيدِ عَمَاهُ
 عَنْ غَيْبِهِ ، وَتَطَلُّعُهُ إِلَى عِيُوبِ النَّاسِ ، وَقَالَ مِنَ النَّدَالَةِ أَنْ يَأْكُلَ الْعَبْدُ يَدَيْتِهِ .
 وقال آخر وقد سِئِلَ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : ثَوْبَةٌ تَحُلُّ الْإِصْرَارَ ،
 وَخَوْفٌ يُزِيلُ الْعُرُورَ وَرَجَاءٌ يَنْهَضُ الْخَيْرَاتِ ، ثُمَّ مِرَاقِبَةُ اللَّهِ فِي خَوَاطِرِ الْقُلُوبِ .
 (فَصْل)

لَعَلَّمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا يَجِبُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِنَ الطَّرِيقِ
 الَّتِي يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ مَعْرِفَةَ غُيُوبِهِ السَّنَةِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّ السَّخَطَ يُنْقَبُ عَنْ
 عِيُوبِ عَدُوِّهِ وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تَبْدِي الْمَسَاوِيَا
 وَيَقُولُ الْآخَرُ :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَنِعْمَةٌ فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
 هُمُومًا بَحَثُوا عَنِّي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهُمْ نَافَسُونِي فَاسْتَنْبَتُ الْمَعَالِيَا
 وَلَعَلَّ لِنَتْفَاعِ الْإِنْسَانِ بَعَثُوا مُشَاحِنَ يُذَكِّرُهُ غُيُوبَهُ وَسَقَطَاتِهِ وَمَسَاوِيَهُ
 أَكْثَرَ مِنْ لِنَتْفَاعِهِ بِصَدِيقٍ مُدَاهِنٍ يُشْنِي عَلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ وَيُخْفِي عَنْهُ عِيُوبَهُ ، فَالْبَصِيرُ

لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه ، فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على السنة أعدائه .

رَأَى بعضُ الزهاد رجلاً يضحكُ إلى غلام فقال له : يا خَرِبَ العقلِ والقلبِ أما تستحي من ربِّ العالمين والكرام الكاتين والملائكة الحافظين يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال وينظرون إليك ويشهدون عليك .
شعراً :

تَمَتَّعْتُمَا يَا ناظرَيَّ بنظرة فأودَّتما قلبي أشرَّ الموارد
أَعْيَنَايَ كُفًّا عن فُؤَادِي فإنه من البغي سَعْيُ إثنين في قتل واحد
فالْعُيُونُ مَصَائِدُ الشيطان ، والعَيْنُ أنفذُ الجوارح صَرَعَةً فَمَنْ أَتَبَعَ
جوارحه نفسه في طاعة ربه فقد وصل أمله ، وَمَنْ أَتَبَعَ جوارح نفسه في نيل
لذائِهِ فقط أحبط عَمَلَهُ . فليَحْذَرِ اللبيبُ من إرسالِ النظر فيما لا يَجِلُّ فإنه
سَهْمٌ صَائِبٌ وَسُلْطَانٌ غَالِبٌ قال عليه الصلاة والسلام «النظر سَهْمٌ من سهام
إبليس فَمَنْ تَرَكَهُ مَخَافَةَ اللَّهِ تعالى أَعَقَبَهُ إيماناً يَجِدُ طَعْمَهُ في قلبه» .

إذا ما صَفَتْ نفسُ المُرِيدِ لِبَطَاءَةٍ وَلَمَّا تَشَبَّهَا لِلْمَعَاصِي شَوَائِبُ
وَاتَّبَعَهَا فِعْلُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا فَتِلْكَ عَلَيْهِ أَنْعَمٌ وَمَوَاهِبُ
تَلَقَّتْهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ كَرَامَةٌ إذا جُبَّ لِلْعَاصِي سِنَامٌ وَغَارِبُ
كتب بعضُ الحكماء إلى رجل من إخوانه : يَا أَخِي احْذَرِ الموتَ في هذه

الدار قبل أن تُصيرَ إلى دَارٍ تَتَمَنَّى فيها الموت فلا تجده .
وكانَ عمرُ بنُ عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت
والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كَأَنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَنَازَةً .
وقال إبراهيم التيمي : شيطانُ قِطْعَا عَنِي لَذَّةُ الدُّنْيَا ذِكْرُ الموتِ ،
والوقوف بين يدي الله عز وجل .
وقال كَعْبٌ مَنْ عَرَفَ الموتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَهَوَاهُ .

وقال أَشْتَعْتُ : كنا ندخلُ على الحسن فأبغما هو ذكْرُ النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

وقالت صغيفةُ رضى الله عنها : إن امرأة اشتكت إلى عائشة قسوة قلبها ، فقالت لها : أكثري ذكْرَ الموت يرق قلبك ، ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

وقال بعضُ العلماء وأصفاً عُلَمَاءَ وَفِيهِ ، قد غلبَ على العبادِ والتساكِ والقراء في هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا في شهواتِ فروجهم وبطونهم ، وحجّبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال .

ورضوا من العمل بالعلم ، ويستحي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم ، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة ، إذا لو علموا وعملوا بها وفق الشريعة لمنعتهُم عن القبائح ، إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الدياب . شعراً :

ولو أن أهل العلم صانوه صائبهم ولو عظموه في النفوس لعظماء
ولكن أهائوه فهائوا ودئسوا مخيأه بالأطماع حتى تجهما
فإن قلت زئد العلم كآب فأبغما كئى حيث لم تحنى جماء وأظلما
وخرج الحسن يوماً من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب ، فقال ما يجلسكم ها هنا ، تُريدون الدخول على هؤلاء الحُبَّاء .

أما والله ما مُجَالِسْتُكُمْ إِيَّاهُمْ بِمَجَالِسِيَةِ الْأَبْرَارِ ، تَفَرَّقُوا فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَ
أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ ، أما والله لو زَهَّدْتُمْ فِيْمَا عِنْدَهُمْ لَرَغِبُوا فِيْمَا عِنْدَكُمْ ،
لَكِنِّكُمْ رَغِبْتُمْ فِيْمَا عِنْدَهُمْ فَزَهَّدُوا فِيْمَا عِنْدَكُمْ .

وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله
ﷺ فقال كيف أصبحت ، يا مُعَاذُ قَالَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا - قَالَ « إِنْ
لِكُلِّ قَوْلٍ مُصَدِّقًا وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ فَمَا مُصَدِّقٌ مَا تَقُولُ ؟

قال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَصْبِيحُ ، وَلَا
أَخْطِئُ خَطْئًا إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَتَّبِعُهَا أُخْرَى وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ
تُذْعَى إِلَى كِتَابِهَا مَعَهَا نَبِيُّهَا وَأَوْثَانُهَا الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ
إِلَى عُقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ وَثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَفْتُ فَالْزَمْ .

وَبَلَغَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا تَسْعَى إِلَيْهِ هُمَةُ رَجُلٍ ، فَرَفَضَهَا
وَنَبَذَهَا قَائِلًا « هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَيْمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ عَذِيمٌ ،
وَمُلْكٌ لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ ، وَغِنًى لَوْلَا أَنَّهُ فَنًى ، وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ ،
وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ انْخِصَاعٌ وَحَسَبُ أَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا لُقِيمَاتٌ يُقِيمُ بِهَا صُلْبُهُ ،
وَتَوْبٌ يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ ، وَصِيحَةٌ يَسْتَقْوِي بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

(مَوْعِظَةٌ)

إِعلم يَا أَخِي أَنَّ الْأَجَلَ قَرِيبٌ وَهُوَ مَسْتُورٌ عَنْكَ وَهُوَ فِي يَدِ غَيْرِكَ ،
يَسُوقُهُ حَيْثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِذَا لَانْتَهتِ الْمُدَّةُ جِيلَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاحْتَلِ
قَبْلَ الْمُنْتَهَى وَأَكْرِمْ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ الصَّادِقِينَ ، وَإِذَا آتَاكَ السَّلَامَةُ
فَاسْتَوْجِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّهُ الْغَايَةُ وَإِذَا فَرَحْتَ بِالْعَافِيَةِ فَاحْسِبْ حِسَابًا لِلْبَلَاءِ ،
وَإِذَا بَسَطْتَ الْأَمَلَ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الْأَجْلِ ، فَهُوَ الْمَوْعِدُ وَإِلَيْهِ الْمَوْرِدُ .

وقال شريح : إني أصابُ بالمصيبة فأحمدُ الله تعالى أربعَ مرّاتٍ أحمدُهُ إذ لم تكن أعظمَ منها ، وأحمدُهُ إذ رزقني الصبرَ عليها ، وأحمدُهُ إذ وفّقني لاسترجاع ما أرجو فيه من الثواب ، وأحمدُهُ إذ لم يجعلها في ديني .

وقال حاتمُ الأصم : مُصِيبَةُ الدينِ أعظمُ من مُصِيبَةِ الدنيا ، ولقد ماثت لي بنتُ فَعَزَّاني أكثرَ من عشرةِ آلافٍ وفاتتني صلاةُ الجَماعَةِ فلم يُعزّني أحدٌ .
وقال آخر : كُنْ حَذِيراً مِنْ أَرْبَعِ غَارَاتٍ ، الأولى : غَارَةُ مَلِكِ الموتِ على رُوحِكَ ، الثانية : غَارَةُ الوَرِثَةِ على مَالِكَ ، الثالثة : غَارَةُ اللُّؤْدِ على جِسْمِكَ في قَبْرِكَ ، والرابعة : غَارَةُ الحُصَماءِ على حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ في الاستِعْدَادِ والاختِياطِ والاكتِثارِ مِنَ البَاقِيَّاتِ الصالحاتِ والمداومةِ على ذكرِ الله ليلاً ونهاراً وسيراً وجهاراً .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نصفَ النهار يُكَبِّرُ وَيُسَبِّحُ وَيَذْكُرُ الله ، فقال له رَجُلٌ : يا أبا بكرٍ في هَذِهِ السَّاعَةِ ، قال : إنها ساعةُ غَفْلَةٍ ينبغي الذِّكرَ والتذكيرَ فيها .

وقال بعضُ العلماء : إني لأقرأ القرآنَ فأُنظرُ في آيةٍ فيحارُ عقلي فيها وأعجبُ من حُفَاطِ القرآنِ كيفَ يَهَيِّجُهُم النُومُ وهم يتلون كلامَ الرحمن ، أما لَوْ فهِمُوا ما يَتْلُونَ وعرفوا حَقَّهُ وتلذذوا به واستحلّوا المُناجاةَ بِهِ لَذَهَبَ عنهم النُومُ فَرَحاً وسُروراً بما رَزَقَهُم الله ووفقههم له .

شعراً :

فَشَمَّرَ وَلَذَّ بِاللَّهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ ففِيهِ الْهُدَى حَقّاً وَلِلْخَيْرِ جَامِعُ
هُوَ الدُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَثْرُ وَالرُّجَا وَمِنْهُ بَلَا شَكٍّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَهْمِهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهَشَهُ الْفَجَاءُ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصل)

قال بعض العلماء على قول الله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مِنْظَرِينَ﴾ إن الأرض لتبكي على رجل وتبكي من رجل ، تبكي على من يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي من يعمَل على ظهرها بمعصية الله فقد أثقلها .

وقال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق عنده مما في يده .

وقال إبراهيم بن بشار : ما رأيت في جميع من لقيته من العبّاد والعلماء والصالحين والزهاد أحداً يبيغض الدنيا ولا ينظر إليها مثل إبراهيم بن أدهم ، وربما مررتنا على قوم قد أقاموا حائطاً أو داراً أو حائطاً فيحوّل وجهه ولا يملأ عينيه من النظر إليه فعائته على ذلك ، فقال يا بشار اقرأ ما قال الله تعالى ﴿يَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولم يقل أيكم أحسنُ عِمارةً للدنيا وأكثر حُباً وذخراً وجمالاً ، ثم بكى وقال صدّق الله عز اسمه فيما يقول ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ولم يقل إلا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال ويثثوا الدور ويشيئوا القصور ويتلذذوا ويتفكّوها ، وجعل يومه كله يردّد ذلك ويقول « فيهداهم اقتله » .

أعذ ذكّر قال الله قال رسوله هُمَا الْمِسْكُ مَاكَرَّرْتُهُ يَتَضَوُّعُ

(فائدة عظيمة)

كل علم لا يوافق الكتاب والسنة أو ما هو مُستفاد منهما أو مُعين على فهمها أو مُستند إليها كائنا ما كان فهو نقص وضرر ورذيلة وليس بفضيلة بل يزداد به الإنسان هواناً ورذيلة في الدنيا والآخرة .

وسئل بعض العلماء عن ما يُذهِبُ العُلُومَ مِنْ قُلُوبِ العُلَمَاءِ بَعْدَ أَنْ
وَعَمُوا وَعَقَلُوهَا ، فقال : الطَّمَعُ وَشَرُّه النَّفْسِ وَطَلَبُ الحَوَائِجِ ، وفسر أحدُ
العُلَمَاءِ ما تقدم فقال : يَطْمَعُ الرَّجُلُ فِي الشَّيْءِ فَيَطْلُبُهُ قَرَبًا كَانَ سَبَبًا لِذَهَابِ
دِينِهِ ، وَأَمَّا الشَّرُّ فَشَرُّهُ النَّفْسِ فِي هَذَا وَفِي هَذَا حَتَّى لَا تُحِبُّ أَنْ يَفُوتَهَا شَيْءٌ ،
وَيَكُونُ لَكَ إِلَى هَذَا حَاجَةٌ وَإِلَى هَذَا حَاجَةٌ ، فَإِذَا قَضَاهَا لَكَ نَحَرَمَ أُنْفَكَ وَقَادَكَ
حَيْثُ شَاءَ وَاسْتَمَكَنَ مِنْكَ وَخَضَعْتَ لَهُ وَسَلَّمْتَ عَلَيْهِ وَزُرْتَهُ وَعُدَّتُهُ إِذَا مَرَضَ ،
وَلَوْلَا حَاجَتُكَ لَتَرَكْتَهُ . -

شعراً :

إِذَا سُدَّ بَابُ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ فَدَعُهُ لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بِهَا
فَإِنَّ قَرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ وَيَكْفِيكَ سَوَابِ الْأُمُورِ إِجْتِنَابُهَا
وَلَا تُكْ مِنْدَالاً لِعِرْضِكَ وَاجْتِنِبْ رُكُوبَ الْمَعَاصِي يَجْتَنِبَكَ عِقَابُهَا
كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَجِمَ اللَّهُ إِمْرَأَةً أَهْدَى إِلَيَّ
عُيُوبِي وَكَانَ يَسْأَلُ سَلْمَانَ عَنْ عُيُوبِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي
مِمَّا تُكْرَهُهُ .

قال : أَعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَالْحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ
إِدَامَيْنِ عَلَى مَائِدَةٍ وَأَنَّ لَكَ حُلَّتَيْنِ حُلَّةً بِالنَّهَارِ وَحُلَّةً بِاللَّيْلِ .
قال : وَهَلْ بَلَغَكَ غَيْرُ هَذَا ، قَالَ : لَا . قَالَ : أَمَّا هَذَانِ فَقَدْ كُفِّيْتَهُمَا ،
وَكَانَ يَسْأَلُ حُذَيْفَةَ وَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَعْرِفَةِ الْمُنَافِقِينَ
فَهَلْ تَرَى عَلَيَّ شَيْئاً مِنْ آثَارِ النِّفَاقِ .

فهو على جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ هَكَذَا كَانَتْ تُهَمُّهُ لِنَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ .

فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَرْجَحَ عَقْلاً وَأَقْوَى فِي الدِّينِ وَأَعْلَى مَنْصَباً ، كَانَ أَكْثَرَ

تَوَاضَعاً وَابْتَعَدَ عَنِ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ وَأَعْظَمَ إِتْنَاهَا مَا لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُعْتَبَرُ نَادِراً
يَعِزُّ وَجُودُهُ .

فَقَلِيلٌ فِي الْأَصْدِقَاءِ مَنْ يَكُونُ مُخْلِصاً صَرِيحاً بَعِيداً عَنِ الْمَدَاهِنَةِ مُتَجَنِّباً
لِلْحَسَدِ يُخْبِرُكَ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَزِيدُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ وَلَيْسَ لَهُ أَغْرَاضٌ يَرَى مَا لَيْسَ
عَيْباً عَيْباً أَوْ يُخْفِي بَعْضَهَا .

قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ اغْتَرَّلَ النَّاسَ وَكَانَ مُنْطَوِياً عَنْهُمْ ، لِمَ امْتَنَعْتَ عَنِ
الْمُخَالَطَةِ فَقَالَ وَمَاذَا أَصْنَعُ بِأَقْوَامٍ يُخْفُونَ عَنِّي عُيُوبِي .

فَكَانَتْ شَهْوَةً صَاحِبِ الدِّينِ فِي التَّنَبُّهِ عَلَى الْعُيُوبِ ، عَكْسَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَهُوَ
أَنْ أَبْغِضَ النَّاسَ إِلَيْنَا النَّاصِحِينَ لَنَا وَالْمُنْبِهِينَ لَنَا عَلَى عُيُوبِنَا . وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا
الَّذِينَ يَمْدَحُونَنَا مَعَ أَنْ الْمَدْحَ فِيهِ أَضْرَارٌ عَظِيمَةٌ كَالْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ وَالْكَذِبِ .

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ أَكْثَرُ ضَرراً مِنَ
الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِ وَنَجْوَاهَا .

وَلَوْ أَنَّ إِنْسَاناً نَبَهَكَ عَلَى أَنَّ فِي ثَوْبِكَ أَوْ خُفِّكَ أَوْ فِرَاشِكَ حَيَّةً أَوْ عَقْرَباً
لَشَكَرْتَهُ وَدَعَوْتَ لَهُ وَأَعْظَمْتَ صَنِيعَهُ وَنَصِيحَتَهُ وَاجْتَهَدْتَ وَاشْتَغَلْتَ فِي
إِبْعَادِهَا عَنْكَ وَحَرَصْتَ عَلَى قَتْلِهَا .

وَهَذِهِ ضَرَرُهَا عَلَى الْبَدَنِ فَقَطْ وَيَكُونُ أَلْمُهَا زَمَنٌ يَسِيرٌ وَضَرَرُ الْأَخْلَاقِ
الرَّدِيقَةِ عَلَى الْقَلْبِ وَيُخَشَى أَنْ تَكُونُ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَا نَفْرَحُ بِمَنْ يُنَبِّهُنَا عَلَيْهَا
وَلَا نَشْتَغِلُ بِإِزَالَتِهَا .

بَلْ تُقَابِلُ تُصَنِّحُ النَّاصِحَ بِقَوْلِنَا لَهُ تُبَكِّتُنَا وَتُخَجِّلُنَا وَأَنْتَ فِيكَ وَفِيكَ نَظِيرُ
نَفْسِكَ وَلَا عَلَيْكَ مِنَّا كُلُّ أَبْصَرٍ بِنَفْسِهِ .

وَنَشْتَغِلُ بِالْعَدَاوَةِ مَعَهُ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِنَصِيحِهِ بِذَلِكَ مَا نَشْكُرُهُ عَلَى نَصِيحِهِ
لَنَا بِتَنْبِيهِهِ لَنَا عَلَى عُيُوبِنَا . فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللهم ألهمنا رُشدنا وبَصَرنا بِعيوبنا وأشغلنا بِمُداواتِها ووفقنا للقيام
 بِشكر مَنْ يُطِلُّنا على مَسَاوِينا بِمَنكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .
 والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(موعظة)

قال بعضُ العلماء : إعلم أن الذي يُقضى منه العَجَبُ مِن حال الإنسان
 في غفلته عن الاهتمام بِأمر الموت ، وفي عَدَمِ الروعةِ منه مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ
 وَأَنَّهُ فِي حال السعيِ إِلَيْهِ لَا يَفْتَرُّ عن ذلك لحظة .
 وقال بعضُ العلماء : ما رأيْتُ يقينا لَا شَكَّ مَعَهُ أَشْبَهَ بِالشَّكِّ الذي
 لَا يَقِينُ مَعَهُ مِثْلَ الموت ، وما هكذا حال كامل العقل والتمييز .
 عن ابن عباس أَنَّهُ قَرَأَ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ فَبَكَى وقال
 آخِرَ الْعَدَدِ خُرُوجُ نَفْسِكَ ، آخِرَ الْعَدَدِ فِرَاقُ أَهْلِكَ ، آخِرَ الْعَدَدِ دُخُولُ قَبْرِكَ .
 وعن ابن السَّمَاكِ وَقَدْ قَرَأَهَا إِذَا كَانَتْ الْأَنْفَاسُ بِالْعَدَدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَدَدٌ
 فَمَا أَسْرَعَ مَا تَنْفَذُ .

وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِي الْمَتَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ
 يُقال إن أنفاسَ ابن آدَمَ بَيْنَ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَفْسٍ
 « ٢٤٠٠٠ » فِي اليَوْمِ اثْنَتَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَفِي اللَّيْلِ اثْنَتَيْ عَشَرَ أَلْفًا .

وَالسَّبَبُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ أَنِّي عَدَمُ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِ الْمَوْتِ وَعَدَمُ الرُّوعَةِ مِنْهُ
 وَمَا بَعْدَهُ وَحُبُّ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ وَقِلَّةُ السَّبَبِ تَرْكِيبُ الْإِنْسَانِ تَرْكِيبًا
 يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ الْعَاجِلَةِ قَبْلَ حُضُورِ وَقْتِ الْمَشَارِ الْآجِلَةِ .

فهو فِي الْعَاجِلَةِ يَدْفَعُ مَضَارَّ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْخَوْفِ
 وَالسَّقَمِ وَالْغَمِّ وَالْإِهَانَةِ وَالْإِسْتِخْفَافِ وَالشَّمَاتَةَ وَنَحْوَهَا مِنْ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَرَى
 تَجْرِعُهَا الْمَوْتَ أَهْوَنَ مِنْ تَجْرِعِهَا فِيهِوْنَ الْإِهْتِمَامُ بِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِهَا .

وقد أثر عنه ﷺ إن أشق من الموت ما يتمنى الموت من أجله فلذلك هَان في قلبه هَمُّ ما يَعْلَمُهُ مما يَصِيرُ إليه في المستقبل من ضرر الموت .
والأقرب ، والله أعلم أنَّ السبب الحقيقي هو سَلْبُ الله تعالى لِلْحَوَاطِرِ المنصرفه إلى ذكر الموت ، وتَصَوُّر حَقِيقَةِ أمرِهِ ، وسَلْبُ الدواعي إلى الاشتغال به ، لِمَا في ذلك من إعتاد الدنيا وانتظام أمرها الذي هو مقصودُ لِلْحَكِيمِ .
ولو أن الناسَ نَزَّلُوا أمرَ الموت مَنَزَلَتَهُ اللائقةَ به لاقْتَضَى ذلك أن تخرب الدنيا ولا تعمُر ، ولكان المرءُ جديراً بأن لا يَعْمَلَ من أعمالها شيئاً ، فَإِنَّ مَنْ لا يَتَّقُ بالحياةَ لَحْظَةً كَيْفَ يُتَعَبُ نَفْسَهُ وَيُسْهَرُ لَيْلَهُ في مُحَاوَلَةِ أمورٍ يفتقر إليها مَنْ شأنه أن يُخَلِّدَ والله أعلم .

ومثال حال الإنسان في تيقُّنِهِ أنه يَسْهُى كُلُّ يومٍ وليلةٍ مَرَحَلَتَيْنِ إلى الموتِ مَعَ عَفْلَتِهِ عن الاهتمام به والازرعاج لأجله حال رَجُلٍ أَذْنَبَ إلى مَلِكٍ ذَنْباً عَظِيماً يُوجِبُ قَتْلَهُ ، فَأَمَرَ المَلِكُ بإحضاره لِذَلِكَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ .
وقد رَأَى السيفَ مَسْئُولاً أَمَامَهُ وشَاهَدَ مَنْ اسْتَعَدَّ لِقَتْلِهِ ، فسار به المأمُورُونَ بإحضاره وهم يَطْعُنُونَهُ في جَوَانِبِهِ بالشُّوكِ والمِنَاجِيسِ والمفالكِ والسكاكينِ أو نحو ذلك .

ولا يَسْلُمُ منها إلا ما اتقاهُ بترسٍ أو نجوهٍ مِمَّا يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَسَدِهِ ، وما لم يَتَّقِهِ آلَمَهُ وَأَقْلَقَهُ فَصَارَ مَشْغُولاً مُسْتَعْرِقَ الذَّهْنِ باتقاءِ تِلْكَ المطاعينِ عن إهتمامِهِ بما هو سَاجِدٌ إليه مِنْ ضَرْبِ عُقْبِهِ ، وهَانَ عَلَيْهِ ما هُوَ ذَاهِبٌ إليه في جَنْبٍ ما قد صَارَ فِيهِ .

وأما لو قَطَعَ مَوَادُّ ما شَغَلَهُ عن الاهتمامِ بالموتِ مِنْ تِلْكَ المذَكُورَةِ الْمُثَمِّلَةِ بما يَلْحَقُ المَقْدَمَ لِلْقَتْلِ في طَرِيقِهِ لَيَفْرَغَ قلبه لإدراكِ هِمِّ الموتِ وما بَعْدَهُ لاشتغَلْ به واستعْرِقَ في ذلك وَسْعُهُ وَجُهِدَهُ .

فليستعن العبد على ذلك بما ورد في الحديث من الحث على ذكر الموت

وقصر الأمل مثل حديث أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه ما كان في كثير إلا قلله ولا قليل إلا كثره .

ولما كان الموت أمراً حتمياً لا بد منه لكل مخلوق على وجه الأرض فلا بد من تذكره دائماً وأبداً ، ففي تذكره محاسبة للنفس على ما قَدَّمَتْ من خير وشر فإن قَدَّمَتْ خيراً فذكر الموت يريحها ويحثها على التزود من الأعمال الصالحة والإبتعاد عن كل شر وإن فرطت وأهملت واستمرت على فعل المعاصي والشرور فذكر الموت يردعها عن غيها وطفانها ويحول بينها وبين عبثها فإذا تيقن كل إنسان أن الموت لا بد وأن يأتيه وهذا أمر لا خلاف فيه قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وقال الشاعر :

فَهْنُ الْمَتَابَا أَيُّ وَادٍ خَلَلْنَاهُ عَلِمَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ
أخبر :

كُلُّ ابْنِ آتَنَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولٍ
وعَلِمَ أَنَّ التُّرَابَ بَعْدَ الْفَرْشِ مَضْجَعُهُ وَأَنَّ اللُّوْدَ وَالْحَشْرَاتِ أُنَيْسُهُ ،
وَأَنَّ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى مَوْعِدُهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ مَوْرَدُهُ بعد ما يُعَانِي مِنَ الْأَهْوَالِ
وَالْمُزْعِجَاتِ اللَّاتِي يَشْتِيبُ مِنْهَا الْوِلْدَانُ ، فإذا جَعَلَ هَذَا نَصَبَ عَيْنِيهِ لَيْلاً وَنَهَاراً
سراً وَجَهَاراً وَأَمَعَنَ فِي التَّفَكُّرِ فِيهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ تَأْثِيرٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَكُونَ
الموت وما بعده نَصَبَ عَيْنِيهِ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَ أَوْ مَشَى أَوْ اضْطَجَعَ وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ
الدُّنْيَا وَمَصَائِبُهَا وَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا زَادَ عَلَى زَادِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَذَكَرَ الْمَوْتَ
نوعان : نوع باللسان فقط والنوع الآخر وهو النافع المجدي بإِذْنِ اللَّهِ ذَكَرَهُ
بالقلب لأنه المثمر للعمل الصالح .

تَأْهَبُ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ يَتَعَادُ الْعِبَادَ
يَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

شعراً :

ولا تله عن تذكاري ذنبك وابكك بدمع يضاهي الويل حال مصايه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ورزعة ملقاه ومطعم صايه
وأن قصارى مسكني الحي حفرة سينزلها مستنزلاً عن قبايه
وقال آخر : لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا ريق أملك من الشهوة ، ولولا
ثقل الغفلة لما طفرث بك الشهوة .

قال أحد العلماء : أعلم أن من حقق النظر وراض نفسه على السكون
إلى الحقائق وإن آلمتها في أول صدمة كان إغباطه بدم الناس إياه أشد وأكثر
من إغباطه بمدحهم إياه .

لأن مدحهم إياه إن كان بحق وبلغه مدحهم له أسرى ذلك فيه العجب
فأفسد بذلك فضائله وإن كان باطل فبلغه فسره فقد صار مسروراً بالكذب
وهذا نقص شديد .

وأما ذم الناس إياه فإن كان بحق فبلغه فرمى كان ذلك سبباً إلى تجنيبه ما
يغاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه إلا ناقص العقل .
وإن كان الذم له باطل وبلغه فصبر اكتسب فضلاً زائداً في الحلم
والصبر وكان مع ذلك غائماً لأنه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى بها في
دار الجزاء أخوج ما يكون إلى التجاة بأعمال لم يتعب فيها ولا تكلفها وهذا
حظ عظيم لا يزهد فيه إلا مجنون أو في غاية الحمق والجهل .

وأما إن لم يبلغه مدح الناس إياه فكلامهم وسكوئهم سواء وليس كذلك
ذمهم إياه لأنه غانم للأجر على كل حال بلغه ذمهم أو لم يبلغه .

وقال آخر : أعلم أن الدائم لك لا يخلو من إحدى ثلاث خصال : إما
رجل ذمك نصحاً وإشفاقاً عليك فهو عظيم المنه واجب الطاعة فمم يكون

غضبكَ مِنْ نَصَحِ الْمَشْفِقِ عَلَيْكَ لَقَدْ عَظُمَتْ مَصِيبَتُكَ أَنْ تَغْضَبَ عَلَى مَنْ نَصَحَكَ .

وأما الخصلة الثانية : فرجل غير ناصح لك فَذَمُّكَ بِمَا عَرَفَهُ فِيكَ وَعِلْمُهُ مِنْكَ وَأَظْهَرَهُ بِسَبَبِكَ فَوَجَبَ عَلَيْكَ قَبُولُ الْحَقِّ إِنْ كَانَ صَادِقاً فِي مَقَالَتِهِ وَدَعْوِ الْحَقِّ عَلَيْهِ وَبَادِرْ بِالْإِنَابَةِ قَبْلَ الْفُضِيحَةِ فِي الْآخِرَةِ كَمَا افْتَضَحَتْ بِالدُّنْيَا .
وأما الخصلة الثالثة : فَرَجُلٌ اجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ بِبَاطِلٍ لِإِفْتِرَائِهِ وَيُزَوِّرُ يَقُولُهُ عَلَيْكَ لَيْسَبُكَ بِهِ فَقَدْ أَتَى الْبَائِسَ عَلَى نَفْسِهِ .

وأما الذي نِلْتَ مِنْهُ مِنَ الْأَذَى وَقَوْلُ الزُّورِ فِيكَ فَمَا كَسَبْتَ يَدَاكَ وَعَقُوبَةُ الذُّنُوبِ وَكَفَّارَةُ الْمَسَاوِيءِ وَأَجْرُ عَظِيمٍ يَسَاقُ إِلَيْكَ لَمْ تَتَعَبْ عَلَيْهِ لَا فِي صَيْفٍ وَلَا شِتَاءٍ وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْفِلِّ وَالْعِمَائِرِ وَسَائِرِ أُمْتَعَةِ الدُّنْيَا الَّتِي رُبَّمَا كَانَتْ عَذَاباً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فعلى العاقل أن يفتنم نفع المَدْمَةِ فعالباً تكون الحسنات التي تأتيك من عدوك أكثر من الحسنات التي تأتيك من صديقك لأن صديقك يدعو لك .
فإما أن يجاب أو لا وأما علوُّكَ فَيَقَعُ فِيكَ وَيَقْتَابِكَ وَإِنَّمَا هِيَ حَسَنَاتٌ يَزِفُهَا إِلَيْكَ عَفْواً صَفْواً حَلالاً كما قيل :

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ	وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَحْمِلُ وَزْراً عَنْكَ ظَنُّ بِحَمْلِهِ	عَنِ الشُّجْبِ مِنْ أَيْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
وغير شقي من يبيث عِلْوه	يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ
فلا تعجبوا من جاهل ضرَّ نفسه	بِإِمْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عُدَائِهِ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاحِطاً	عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ	وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فـوائد)

لا تحقر شيئاً من عمل غداً أن تُحقِّقه بأن تُعجِّله اليوم وإن كان قليلاً ،
فإن من قليل الأعمال يَجْتَمِعُ كَثِيرُهَا وربما أعجز أمرها عند ذلك فيبطل الكل .
ولا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث والنشور أن تعجِّله
الآن وإن قل ، فإنه يحيط عنك كثيراً لو اجتمع لَقَدْفَ بك في جهنم .
الخوف والوجع والفقر والنكبة لا يحس أذاها إلا مَنْ كان فيها ، ولا
يعلمه مَنْ كان خارجاً عنها ، وفساد الرأي والعار والإثم لا يعلم قبَحَها إلا مَنْ
كان خارجاً عنها ، وليس يراه مَنْ كان داخلياً فيها .

الأمن والصحة والغنى لا يعرف حَقَّها إلا مَنْ كان خارجاً عنها ، وليس
يعرف حقها مَنْ كان فيها ، وجَوْدَةُ الرأي والفضائل وعمل الآخرة لا يعرف
فضلها وفائدتها إلا من كان من أهلها ، ولا يعرفه من لم يكن من أهلها .
أول مَنْ يزهد في العَادِرِ مَنْ غَدَرَ لَهُ العَادِرُ ، وأول مَنْ يَمُتُّ وَيُبْغِضُ
شاهد الزور مَنْ شهد له به ، وأول مَنْ تُهَوَّنُ الزانية بِعَيْنِهِ الذي يَزْنِي بها لأنه
كشف سِتْرَها والعياذ بالله .

لا شيء أضرَّ على السلطان من كثرة المُتَفَرِّغِينَ حَوَالِيهِ ، فاللييب الحازم
الْيَقِظُ يَشْغُلُهُمْ بما لا يَظْلُمُهُمْ فيه ، فإن لم يَفْعَلْ شَغْلُوهُ بما يَظْلُمُونَ فيه ، وأما
مُقَرَّبُ أعدائِهِ فذلك قاتلُ نَفْسِهِ .

إخْرِصْ على أن تُوصَفَ بِسَلَامَةِ الجَانِبِ لِيَوَدَّكَ النَّاسُ وَيَأْمُنُونَ بِمِنكَ
وَاحْذَرْ وَتَحَفَّظْ مِنْ أن تُوصَفَ بِالتَّجَسُّسِ والدَّهَاءِ والمكر والحيل والتميمة والكبر
والحسد والخداع لغير الخداع لك والكيد لمن لا يكيد لك واحذر أن تكون من
المُمَثِّلِينَ وأهل المقابلات .

فَيَكْثُرُ الْمُتَحَفِّظُونَ مِنْكَ وَالْمَأْمُونُونَ لَكَ حتى ربما أضرَّ ذلك بك ضرراً

عظيماً وربما قتلك كما قيل :

كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَخَافُهُ الشُّجْعَانُ
ظَنُّوا بِنَفْسِكَ عَلَى مَا تَكْرَهُ يَقُولُ هُمُكَ إِذَا أَتَاكَ ، وَيَعْظُمُ سُورُكَ
وَفَرْحُكَ ، وَيَتَضَاعَفُ إِذَا أَتَاكَ مَا تُحِبُّ مِمَّا لَمْ تَكُنْ قَدَّرْتَهُ إِذَا تَكَاثَرَتْ الِاهْمُومُ
سَقَطَتْ كُلُّهَا .

الصبر على الجفاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه وهذا ذل ومهانة
وليس من الفضائل ، والرأي لمن خشي لما هو أشد مما يصبر عليه المصارمة
والمشاركة والمباعدة .

والقسم الثاني : صَبْرٌ عَمَّنْ تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ فَهَذَا فَضْلٌ وَهَر
وهو الحلم على الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء .

والقسم الثالث : الصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك وهذا ينقسم
إلى قسمين : إما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه إلا على سبيل الغلط ويعلم قبح
ما أتى به ويندم عليه فالصبر عليه فضل وهو حلم على الحقيقة .

وأما مَنْ كَانَ لَا يَدْرِي بِمِقْدَارِ نَفْسِهِ وَيَظُنُّ أَنَّ لَهَا حَقًّا يَسْتَطِيعُ بِهِ فَلَا
يَنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فَالصَّبْرُ عَلَيْهِ ذُلٌّ لِلصَّابِرِ وَإِفْسَادٌ لِلْمَصْصُورِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَزِيدُ
شَرَّهُ .

والمقارضة له سُخْفٌ وَالْأَحْسَنُ إِعْلَامُهُ بِأَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْتَصِرَ مِنْهُ وَإِنَّمَا
تَرْكُهُ اسْتِزْدَالاً لَهُ فَقَطْ وَصِيَانَةً عَنْ مَرَاجَعَتِهِ ، وَقَدِيمًا قِيلَ :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا
فَوَضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

آخر :

وَكَمْ مِنْ لَيْفٍ وَدَأْنِي شَتْمُهُ وَإِنْ كَانَ شَتِي فِيهِ صَابَ وَعَلَقُمُ
وَلَلْكَفَ عَنْ شَتْمِ اللَّيْفِ تَكْرُمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُومِ وَتَرَكَ أَعْلَاهَا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ كَانَ كَمَنْ
يَغْرِسُ الْأَثْلَ وَالسِّدْرَ وَنَحْوَهُمَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَزْكُو وَيَتَمُوا فِيهَا النَّخِيلُ وَالزَّيْتُونُ
وَالْتَفَاحُ وَالرِّمَانُ وَنَحْوَهَا .

نَشَرُ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كإِطْعَامِكَ الثَّمَرِ وَالْحَلْوَى
مَنْ بِهِ مَرَضُ السُّكَّرِ وَكَمَنْ بِهِ حَرَقٌ وَالْفُلْفُلُ لِمَنْ بِهِ قَرَحَةٌ .

شعراً :

سَأَلْتُمُ عَلِيٍّ عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَافَتِي وَلَا أَثَرَ اللَّزِّ النَّفِيسِ عَلَى الْعَنَمِ
فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ فَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْجَكَمِ
بَكَيْتُ مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ وَلَا فَمَحْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَمِ
فَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

الْبَاخِلُ بِالْعِلْمِ الْأُمُّ مِنَ الْبَاخِلِ بِالْمَالِ لِأَنَّ الْبَاخِلَ بِالْمَالِ يَخَافُ مِنْ فَنَائِهِ
وَذَهَابِهِ مِنْ يَدِهِ وَالْبَاخِلُ بِالْعِلْمِ بَخِلٌ بِمَا لَا يَفْنَى عَلَى النِّفْقَةِ وَلَا يَفَارِقُهُ مَعَ الْبَذْلِ
بَلْ يَزِيدُ وَيُثْبِتُ .

حد البخل الامتناع عن أداء الواجبات أو بعضها .
وحد الجود بذل الفضل في وجوه البر والاحسان إلى عباد الله المؤمنين .
وسبب البخل غلبة الشهوة وطول الأمل ورحمة الولد وخوف الفقر
وقلة الثقة بمجيء الرزق وعشق المال لذاته .

مَنْ رَأَى نَفْسَهُ تَمِيلُ إِلَى عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كالتفسير والتوحيد
وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ فَلْيُقْبَلْ عَلَيْهِ وَلَا يَشْتَغِلْ بغيره حَتَّى يَمُتَ فِيهِ ثُمَّ يَنْتَقِلْ إِلَى الثَّانِي .

ولا بد لمن أَرَادَ العلم وعنده إقبال ونشاط مِن تَغْيِيبِ القرآن وَمَتْنٍ من كل فن من العلم الذي يريد تحصيله لِيُعِينَهُ على تثبيت المعلومات وسُرْعَةِ استخراجها .

وَأَجَلُ العلوم ما قَرِبَكَ من الله وما أعانَكَ على رضاه .

مِن أَضْرَمَا على العلوم وأهلها الدُّخْلَاءُ فيها فَإِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَيُفْسِدُونَ وَيُقْتَرُونَ أَنَّهُمْ يُصْلِحُونَ .

مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الآخِرَةِ وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا وَعَدْلَ السَّيْرِ وَالاحتواء على محاسن الأخلاق كلها ومكارم الشيم واستحقاق الفضائل بِأَسْرَها فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيرَتَهُ ما أَمَكْنَهُ ذَلِكَ ، قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ .

منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو أن يعلم حسن الفضائل فيأتيها ، ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردي فينفر منه ويتعد .

أنظر في المال والحال والصحة إلى مَنْ هو دونك ، وأنظر في العلم والدين والأخلاق الفاضلة إلى مَنْ هو فوقك .

مَنْ استخف بحرمات الله تعالى فلا تَأْمَنَ على شيء مما تشفق عليه وكن على حذر منه دائماً لأن من لا يخاف الله لا يؤمن على شيء .

ولا تُعْتَرِّ بِكَلَامِ الْمُنَافِقِينَ عُمَى الْبَصَائِرِ الَّذِينَ يَصِفُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالْوَفَاءِ وَالصِّدْقِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، فَالْكَفَارُ لَمْ يَقُوا مَعَ اللَّهِ جُلَّ وَعَلَا بَلْ خَانُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَحَذَرْنَا اللَّهَ عَنْهُمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِكَلَامِ الْمُنَافِقِينَ فَتَمْدَحَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَهْلِكَ مَعَ مَنْ هَلَكَ . والله أعلم .

(فصل)

النصيحة مرتان : فالأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير ، وأما الثالثة فتويخ وتقريع إن أمكن ولم يحصل عليك ضرر ، والنصح سرّاً لا جهراً وتعريض لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح ، ولا تنصح على شرط القبول منك فإن تعديت فأنت مخطيء .

مَنْ أَرَدَتْ قَضَاءَ حَاجَتِهِ بَعْدَ أَنْ سَأَلَكَ إِيَّاهَا أَوْ أَرَدَتْ إِبْتِدَاءَهُ بِقَضَائِهَا فَلَا تَعْمَلْ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ هُوَ لَا مَا تَرِيدُهُ أَنْتَ وَإِلَّا فَأَمْسَكَ فَإِنْ تَعَدَيْتَ هَذَا كُنْتَ مُسِيئاً لَا مُحْسِناً .

لَا تَنْقُلْ إِلَى صَدِيقِكَ مَا يُؤْلِمُ نَفْسَهُ وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَعْرِفَتِهِ وَلَا تَكْتُمُهُ مَا يَسْتَضِرُّ بِجَهْلِهِ وَلَا يَسْرُكُ أَنْ تَمْدَحَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ لِأَنَّهُ نَقَصُكَ يُنَبِّهُ النَّاسَ عَلَيْهِ بَلِ الَّذِي يَنْبَغِي لَكَ غُمُّكَ بِذَلِكَ وَقَدِماً قِيلَ :

وَمَذْحُكَ الشَّخْصَ بِالْأَخْلَاقِ يَغْدُمُهَا لِلْحَرِّ ذِي اللَّبِّ تَبْكِيْتُ وَنَحْجِلُ مَا شَيْءٌ أَضْيَعُ وَأَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ وَمَا شَيْءٌ أَضْيَعُ وَأَضْعَفُ مِنْ جَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ .
وَرَوِي أَنْ عُمَرَ أَتَى بِشَاهِدٍ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ إِتْنِي بِمَنْ يَعْرِفُكَ فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ فَأَتْنِي عَلَيْهِ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَنْتَ جَارُهُ الْأَذْنَى الَّذِي يَعْرِفُ مَدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ .

قال لا قال فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ، قال لا قال فعاملته بالدرهم والدينار ، قال لا .

قال أظنك رأيته قائماً في المسجد يهيمهم بالقرآن يخفي رأسه طوراً ويرفعه أخرى .

قال نعم قال إذ ذهب فلست تعرفه ثم قال للرجل إذ ذهب فأتني بمن يعرفك .

من علامات الاستدراج العمى عن العيوب وصرف نعم الله في معاصيه وخير الرزق ما سلم من الاثم في الاكتساب والغش في الصناعة

والسلامة من أثمان المحرمات كالمسكرات والدخان والتلفزيون والفيديو والكورة والورق التي يستعملها سُخَفَاءُ العقول والبعيدون عن الدين ، أراح الله المسلمين منها ومنهم جميع آلات المعاصي والملاهي والسلامة من الربا بجميع أنواعه .

من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .
للإنسان المفرط موقفان يندم الإنسان فيهما على ضياع الوقت ندامة عظيمة حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد التأسف والحزن .

الأول : ساعة الاحتضار حين يَسْتَذِيرُ الإنسان الدنيا وَيَسْتَقْبِلُ الآخرة ويتمنى لو أمهل بُرْهَةً مِنَ الزمان لِيَتَلَفَى ويصلح ما أفسد وهيات .
قال تعالى ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .
والجواب على السؤال الذي قد فات أوانه ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

الموقف الثاني : في الآخرة قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .
وقال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بَآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ .
قال بعض العلماء : أفضل البكاء بكاء العبد على ما سلف من ذنوبه

ومعاصيه وعلى ما فات من أوقاته في غير طاعة الله جل وعلا وقال إنما يخاف المؤمن الموت لخوفه من الذنوب والانقطاع عن الأعمال الصالحة من ذكر الله وما والاه من جميع أفعال الطاعات والقربات وإلا فأحب شيء إليه لقاء ربه جل وعلا الواجب على الإنسان العاقل أن يحافظ على وقته أكثر من محافظته على ماله وأن يحرص على الاستفادة منه فيما ينفعه ويقربه إلى الله عز وجل .

ولقد كان السلف أحرص ما يكونون على أوقاتهم لأنهم يعرفون قيمتها ولذلك يقول الحسن البصري : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم .

وقال يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك .

وقال آخر : الوقت إذا فات لا يستدرك ولا شيء أعز منه .

وكانوا يحرصون كل الحرص ألا يمر زمن ولو يسيراً دون أن يتزود فيه بعمل صالح أو علم نافع أو مجاهدة للنفس أو إيصال نفع إلى قريب أو بعيد .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم

غربت شمس نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

وقال آخر : كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل

فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم .

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه يوم يعرف فيه قيمة الوقت

ولكن بعد فوات الأوان ويتمنى أنه شغل وقته الماضي بالباقيات الصالحات من

تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وقراءة لكتاب الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر

وصلة رحم ونحو ذلك مما يجده موفراً أحوج ما يكون إليه .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت زارعا ندمت على التفريط في زمن البذر

قل لأحد العلماء ما بال كتب السلف وكلامهم ومواعظهم أنفع من

كلامنا وكتبنا ومواعظنا ، قال لأنهم يتكلمون لِعِزِّ الإسلام ونفع المسلمين
ورِضا الرحمن وإزالة ما يضر الإسلام والمسلمين .
ونحن نتكلم لِعِزِّ النَّفْسِ وطلب الدنيا وقبول الخُلُقِ والشهرة
والظهور والتَّصَنُّعِ والرِّياء . وطلب المدح والثناء .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اتق الله بطاعته وأطع الله بتقواه
والتَّخَفُفِ يَدَاكَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَطْنِكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلِسَانِكَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ
وحاسب نفسك في كل خطوة وراقب الله في كل نفس . والله أعلم .

(فصل)

وقال ابن القيم :

دافع الخطرة فإن لم تفعل صَارَتْ شَهْوَةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ عَزِيمَةً وَهَمَةً
فإن لم تدافعها صارت فعلا فإن لم تداركه بصدده صار عادة فيصعب عليك
الانتقال عنها .

واعلم أن كل علم اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب
التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات والارادات تقتضي وقوع الفعل
وكثرة تكراره تعطي العادة .

فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها
وصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها صاعدة إليه دائرة على مرضاته
ومحابه فإنه سبحانه به كل صلاح ومن عنده كل هدى ومن توفيقه كل رشد
ومن توليه لعبده كل حفظ ومن تولى العبد عنه وإعراضه عنه كل ضلال
وشقاء .

واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر
فيؤديها إلى التذكر فيأخذها التذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها
إلى الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فَرَدُّهَا مِنْ مَبَادِئِهَا أَسْهَلُ مِنْ قَطْعِهَا
بَعْدَ قُوَّتِهَا وَتَمَامِهَا .

ومعلوم أن الانسان لَمْ يُعْطَ إِمَاتَةً الْخَوَاطِرِ وَلَا الْقُوَّةَ عَلَى قَطْعِهَا فَإِنِهَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ هُجُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَنْ قُوَّةَ الْإِيمَانِ وَالْعَقْلَ يُعِثُّهُ عَلَى قَبُولِ أَحْسَنِهَا وَرِضَاهُ بِهِ وَمُسَاكَنَتِهِ لَهُ وَعَلَى دَفْعِ أَقْبَحِهَا وَكَرَاهَتِهِ لَهُ وَنَفَرَتِهِ مِنْهُ .

وقد خلق الله النَّفْسَ شَبِيهَةً بِالرَّحَى الدَّائِرَةِ الَّتِي لَا تَسْكُنُ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ شَيْءٍ تَطْحَنُهُ فَإِنْ وُضِعَ فِيهَا حَبٌّ طَحَنَتْهُ وَإِنْ وُضِعَ فِيهَا تَرَابٌ أَوْ حَصَى طَحَنَتْهُ فَالْخَوَاطِرُ وَالْأَفْكَارُ الَّتِي تَجُولُ فِي النَّفْسِ هِيَ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الَّذِي يَوْضَعُ فِي الرَّحَى وَلَا تَبْقَى تِلْكَ الرَّحَى مُعْطَلَّةً قَطُّ بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِيهَا . فَمَنْ النَّاسُ مَنْ تَطْحَنُ رَحَاهُ حَبًّا يَخْرُجُ ذَقِيقًا يَنْفَعُ بِهِ نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ وَأَكْثَرَهُمْ يَطْحَنُ رَمْلًا وَحَصَى وَتَبْنَا وَنَحْوَ ذَلِكَ فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعَجَنِ وَالْخَبْزِ تَبَيَّنَ لَهُ حَقِيقَةُ طَحْنِهِ أَهْ قُلْتُ وَبَعْضُهُمْ مَنْ يَطْحَنُ بِرَحَاهُ نَجَاسَاتٍ كَالزَّنَاةِ وَاللُّوْطِيَّةِ وَاللُّصُوصِ وَأَهْلَ الْمَلَاهِمِ وَجَمِيعِ الْفَسَقَةِ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إرض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أروع الناس وأد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس .

وقال ابن القيم رحمه الله : لله سبحانه على كل أحد عبودية بحسب مرتبته سِوَى الْعِبَادَةِ الْعَامَةِ الَّتِي سَوَّى بَيْنَ عِبَادِهِ فِيهَا .

فعلى العالم من عبودية نشرِ السُّنَّةِ وَالْعِلْمِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ ما ليس على الجاهل وعليه عبودية الصبر على ذلك ما ليس على غيره . وعلى الحاكم من عبودية إقامة الحق وتنفيذه وإلزامه مَنْ هُوَ عَلَيْهِ بِهِ والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي وعلى الغني من عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير .

وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما .

وقد غرَّ إبليسُ كثيراً من الخلق بأن زَيْنَ لهم الاختصارَ على القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع عن الاختلاط بالناس وعطلُّوا القيام بالعبوديات المتعدي نفعها المتقدم ذكرها .

وإذا قلت لأحدهم كيف حالك قال بخير وسرور وأي خير وسرور فيمن يرى محارِمَ الله تُنتَهَكُ وحُلُودُهُ تُضَاعَ والمنكرات والملاهي في الثبوت والأسواق وهو بارد القلب مُدَاهِنٌ سَاكِتٌ لا يشعر بهذا النقص العظيم وعند نقوص الدنيا يشتغل قلبه ولسانه وجسده والله در القائل :

ما لي أرى الناس والدنيا مُوَلَّيَّةٌ وكُلُّ جمع عليها سَوَفَ يَنْتَثِرُ
لا يَشْعُرُونَ إذا ما دِينُهُمْ يُقْصُوا يوماً وإن نُقِصَتْ دُنْيَاهُمْ شِعْرُوا
آخر : وعند مُرادِ الله تَفَنَّى كَمَيِّتٍ وعند مُرادِ النفس تُسَلِّدِي وتُلْجِمُ
آخر : تراه يَشْفِقُ من تضييع ذرهم وليس يَشْفِقُ من دين يضيعه
آخر : تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان دينك والعُمُرِ
ويُلهِيكَ خَوْفُ الْفَقْرِ عن كُلِّ طَاعَةٍ وخِيفَةُ حَالِ الْفَقْرِ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ
قال بعض العلماء : إلزم الأدب وفارق الهوى والغضب واعمل في أسباب التيقُّظ واتخذ الرفق حزباً والثاني صابغات والسلامة كهفاً والفراغ غنيمةً والدنيا مطيئة والآخرة منزلاً .

شعراً :

وأصبحتُ فيما كنتُ أبغي من الغنى إلى الزهد في الدنيا الدنية أحوَجَا
وحسبتُ نفسي بينَ بيتي ومسجدي وقد صيرتُ مثلَ التَّسْرِ أهوى التَّعَرُّجَا
وقال الحسنُ البصري إن الله لم يجعل للمؤمن راحةً دون الجنة . وقال فضيلُ
ليسَ العَرِيبُ من يمشي من بلد إلى بلد ولكن العَرِيبُ صَالِحٌ بينَ فُسَاقٍ قلتُ :
ليسَ العَرِيبُ غريب الشَّامِ واليمن إنَّ العَرِيبَ يَقِي بَيْنَ فُسَاقٍ
وقال آخر : احذر الغفلة ومخاتل العدو وطربات الهوى وأمانى النفس

وضراوة الشهوة قال ابن القيم واعلم أن الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبهُ الشهوة .

فإن الشهوة إما أن تكون توجبُ المأ وعقوبة .
وإما أن تقطع لذة أكمل منها .
وإما أن تضيق وقتاً إضاعته حسرة وندامة .
وأما أن تثلم عريضاً تؤفيره أنفع للعبد من ثلجه .
وإما أن تذهب مالا بقاءه خير من ذهابه .
وإما تضع قدرأ وجاهاً قيامه خير من وضعه .
وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة .
وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك .
وإما أن تجلب همأ وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة .
وإما أن تُنسي علماً ذكره ألد من ثيل الشهوة .
وإما أن تشمت علواً وتُحزن ولياً .
وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة .
وإما أن تُحدث غيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال ثورث الصغبات والأخلاق أ هـ .

وقال المحاسبي رحمه الله : اطلب آثار من زاده العلم خشية والعمل بصيرة والعقل معرفة .
واعلم أن في كل فكرة أدباً وفي كل إشارة علماً وإنما يميز ذلك من فهم عن الله مرادة وحتى فوائد اليقين من خطابه وعلامة ذلك في الصادق إذا نظر اعتبر وإذا صمت تفكر .

وإذا تكلم ذكر وإذا منع صبر وإذا أعطي شكر وإذا أبلي استرجع وإذا

جَهْلَ عَلَيْهِ حَلَمَ وَإِذَا عَلِمَ تَوَاضَعَ وَإِذَا عَلِمَ رَفَقَ وَإِذَا سُئِلَ بَدَّلَ .
 شِفَاءَ لِلْقَاصِدِ وَعَوْنٌ لِلْمُسْتَرْشِدِ حَلِيفُ صِدْقٍ وَكَهْفُ بِرٍ قَرِيبُ الرِّضَا
 فِي حَقِّ نَفْسِهِ يَبْعِدُ الْهِمَّةَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى نَيْتُهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ وَعَمَلُهُ أَبْلَغُ مِنْ
 قَوْلِهِ . مَوْطِنُ الْحَقِّ وَمَعْقِلُ الْحَيَاءِ وَمَعْلُومَةُ الْوَرَعِ وَشَاهِدَةُ الثِّقَةِ لَهُ بَصَائِرُ مِنَ
 النُّورِ يُبَصِّرُ بِهَا وَحَقَائِقُ مِنَ الْعِلْمِ يَنْطَلِقُ بِهَا وَدَلَائِلُ مِنَ الْيَقِينِ يُعَبِّرُ عَنْهَا .
 يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ صِمْتًا عَيًّا وَحِكْمَتُهُ أَصَمَّتُهُ وَيَحْسِبُهُ الْأَحْمَقُ يَهْذَارًا
 وَالتَّصْيِيحَةُ لِلَّهِ أَنْطَقَتُهُ وَيَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ غَنِيًّا وَالتَّعَفُّفُ أَغْنَاهُ وَيَحْسِبُهُ فَقِيرًا
 وَالتَّوَاضَعُ أَدْنَاهُ .

لَا يَتَعَرَّضُ لِمَا لَا يَنْعِنِيهِ وَلَا يَتَكَلَّفُ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ وَلَا يَأْخُذُ مَا لَيْسَ
 بِمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ وَلَا يَدْعُ مَا وَكَّلَ بِحِفْظِهِ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي
 تَعَبٍ قَدْ أَمَاتَ بِالْوَرَعِ حِرْصَهُ وَحَسَمَ بِالتَّقَى طَمَعَهُ وَأَمَاتَ بِنُورِ الْعِلْمِ شَهَوَاتِهِ .
 فَهَكَذَا فَكُنْ وَلِمَثَلِ هَؤُلَاءِ فَاصْنَحْ وَلِآثَارِهِمْ فَاتَّبِعْ وَبِأَخْلَاقِهِمْ فَتَأَدَّبْ
 وَاعْلَمْ وَسِعَ اللَّهُ بِالْفَهْمِ قَلْبَكَ وَأَنَارَ بِالْعِلْمِ صَدْرَكَ وَجَمَعَ بِالْيَقِينِ هَمَّكَ أَلِي
 وَجَدْتُ كُلَّ بَلَاءٍ دَاخِلٍ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ نِتَاجِ الْفُضُولِ وَأَصْلُ ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي
 الدُّنْيَا بِالْجَهْلِ وَنِسْيَانِ الْمَعَادِ بَعْدَ الْعِلْمِ .
 وَالنَّجَاةُ مِنْ ذَلِكَ تَرْكُ كُلِّ مَجْهُولٍ فِي السُّورِ وَأَخْذُ كُلِّ مَعْلُومٍ
 فِي الْيَقِينِ أ هـ .

وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ أَوْ خَفِيَثَ عَلَيْكَ قَضِيَّةٌ فَارْجِعْ إِلَى
 الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تَحْتَكِمْ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَقْوَى وَيَضْعُفُ أ هـ وَيَتَأَثَّرُ
 بِالْمُؤَثِّرَاتِ .

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ الْقَلْبُ مِثْلُ الْمِرْآةِ إِذَا طَالَتْ صَدِثَتْ وَكَالِدَابَةِ إِذَا غَفَلَ
 عَنْهَا عَدَلَتْ عَنِ الطَّرِيقِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْقَلْبُ مِثْلُ يَتِيٍّ لَهُ سِتَّةُ أَبْوَابٍ ثُمَّ يُقِلُّ

إِخْذَرْ أَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ أَحَدِ الْأَبْوَابِ شَيْءٌ فَيُفْسِدُ عَلَيْكَ الْبَيْتَ .
وَالْأَبْوَابُ هِيَ الْعَيْنَانِ وَاللِّسَانُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ فَمَتَى
انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ بَغَيْرِ عِلْمِ ضَاعَ الْبَيْتُ .
وَفَرَضَ اللِّسَانُ الصَّدَقَ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَكُفُّ الْأَذَى .

وَفَرَضَ الْبَصَرُ الْقَضُ عَنْ الْحَارِمِ وَتَرْكُ التَّطَلُّعِ فِيمَا حُجِبَ وَسِتْرٌ .
وَفَرَضَ السَّمْعُ تَبِعُ لِلْكَلَامِ وَالتَّنْظَرُ فَكُلُّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ الْكَلَامُ فِيهِ وَالنَّظَرُ
إِلَيْهِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَلَا التَّلَذُّذُ بِهِ وَالتَّبَحُّثُ عَمَّا كُتِمَ عَنْكَ تَجَسُّسٌ .
وَسَمَاعُ اللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ وَأَذَى الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ كَالْمَيْتَةِ ، سُئِلَ الْقَاسِمُ
عَنْ سَمَاعِ الْغِنَاءِ فَقَالَ : إِذَا مَيَّزَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ يَقَعُ
الْغِنَاءُ قِيلَ فِي حَوْزِ الْبَاطِلِ قَالَ فَأَقْبَتِ نَفْسُكَ .

وَفَرَضَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ أَنْ يَكْفَهُمَا وَلَا يَسْطَهَمَا إِلَى مُحَرَّمٍ وَلَا يَقْبِضَهُمَا
عَنْ حَقٍّ وَفَرَضَ الْأَنْفَ أَنْ لَا يَشُمَّ مَا لَا يَجُوزُ لَهُ شِمُّهُ . قُلْتُ وَقَدْ تَرَكَ بَابًا وَهُوَ
أَمُّهَا وَأَخْطَرُهَا وَهُوَ الْفَرْجُ وَفَرَضَهُ حِفْظُهُ عَمَّا عَدَا الزَّوْجَةَ وَالْمَمْلُوكَةَ قَالَ تَعَالَى
﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَنْجَى الطَّرِيقِ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ وَالتَّحَرُّزُ بِالْخَوْفِ وَالْغِنَى بِاللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ فَاشْتَغَلْ بِإِصْلَاحِ حَالِكَ وَافْتَقِرْ إِلَى رَبِّكَ وَتَنَزَّهِ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَأَقْلِلْ
حَوَائِجَكَ إِلَى النَّاسِ فَإِنَّ كَثِيرَ الْحَاجَاتِ مَمْلُوءٌ عِنْدَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ .

لَا تُسْأَلَنَّ إِلَى صَدِيقٍ حَاجَةً فَيَحُولَ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحُولُ
وَاسْتَعْنِ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّهُ مَا صَانَ عِرْضَكَ لَا يُقَالُ قَلِيلٌ
مَنْ عَفَّ نَحَفَ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَتَخَوِ الْحَوَائِجَ وَجَهَهُ مَنَلُوهُ
وَأَتَخَوِكَ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ وَمَتَى عَلِقَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ
قِيلَ لِأَحَدِ الْفُقَرَاءِ مَا أَفْقَرُ فَقَالَ لَوْ عَرَفْتُ رَاحَةَ الْفَقْرِ لَشَغَلَكِ التَّوَجُّعُ
لِنَفْسِكَ عَنِ التَّوَجُّعِ لِي فَالْفَقْرُ مِلْكٌ مَا عَلَيْهِ مُحَاسَبَةٌ وَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا يَرَى أَثَرَ

الحزن عليك فقال لأنني لم أتخذ شيئا يحزنني فقدته .

وقال بعض الحكماء مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَقْلَ هُمُومُهُ وَمَصَائِبُهُ فَلْيُقِلِّلْ قُنَيْتَهُ لِلخَارِجَاتِ مِنْ يَدِهِ لِأَنَّ أَسْبَابَ الْهَيْمِ فَوْثُ الْمَطْلُوبِ أَوْ فَقْدُ الْمَحْبُوبِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُمَا إِنْسَانٌ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوؤُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئاً يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
وذكر أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون لإخراج أموالهم فخرج
الحسن رضي الله عنه ومعه قصعته وعصاه فقال نجا المخفون وقيل لأحد الزهاد
أترضى من الدنيا بهذه الحالة فقال ألا أدلك على من رضي بدون هذا قال نعم
قال من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة .

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله أترضى بالدون فقال إنما رضى بالدون
من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة . وقال زاهد لمالك أنت عبد عبيد لأنك
تعبد الدنيا لرغبتك فيها وأنا مؤلاها لرغبتني عنها وزهدي فيها . شعراً :

أنت الأمير على الدنيا لزهدك في حطايها وطريق الحق مسلوك
وأنت عبد لها ما دمت تعشقها إن المحب لمن يهواه مملوك
آخر : أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكبر كل من هانت عليه
إذا استغنى عن شيء فدعه وتحذ ما أنت محتاج إليه

آخر : أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تفشع

وقال مالك بن أنس : كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري
فقال له حدثني رحمك الله فقال يا أبا عبد الله أكثر من الحديث أعلمك ثلاثاً
خير لك من مال كثير يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله

فإن الله تعالى يقول ﴿لَعَنَ شَرُّكُمْ لِأَزِيدَكُمْ﴾ .
وإذا قُلْتَ تَفَقَّتَكَ فَعَلَيْكَ بِالاستغفار فإنه يَزِيدُكَ من المال والولد والنعمة
قال الله تعالى ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً
ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ وإذا اشتد بك
الكرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة فجعل سفيان
يقولها ويعدها في يده ثلاثاً .

وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى
لك ما عند الناس فبلغ ذلك الزهري فقال لقد وعظه بالتوراة والأنجيل
والفرقان .

من أصعب الأشياء على الانسان معرفته بعيوبه والإمساك عن الدخول
فيها لا يَعْنِيهِ . قُلْتُ والغيبة والكذب والرياء .

مما يَجِبُ الابتعاد عنه والتحذير منه مُجَالَسَةُ أهل الفساد لأنه يَعلَقُ
بالانسان مِن مُجَالَسَتِهِم والاتصال بهم أَضعاف ما يَعلَقُ به من مُجَالَسَةِ الْعُقَلَاءِ
لأنَّ الْفَسَادَ أَشدُّ اتِّحَاماً بِالطَّبَاعِ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ يُسَاعِدَانِ على ذلك .
وما يَنْفَعُ الْجَرْبَاءَ قُرْبُ صَاحِبَةٍ إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تُجَرِّبُ
العاقل حَقِيقَةً هُوَ مِنْ آثَرِ الطَّاعَةِ على المعصية وآثر الْعِلْمِ على الجهل وآثر
الدِّينِ على الدُّنْيَا وَكَفَّ آذَاهُ عن الناس والعَالِمُ حَقِيقَةٌ هُوَ مَنْ خَشِيَ الله تعالى
وَعَمِلَ بما عَلِمَ . قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .

(فائدة)

إِحَالَةُ الأعمال الصالحة إلى وجود الفراغ من أمور الدنيا من الحُمُقِ
لِوُجُوهٍ منها إِيثارُ الدنيا على الآخرة والله يقول ﴿بل تؤثر الحياة الدنيا
والآخرة خير وأبقى﴾ .

والثاني : أن تسوِّفَ العمل إلى أوان فراغه ذليل على جَهْلِ الانسان

وَعَبَاوَتُهُ لَأَنَّهُ قَدْ لَا يَجِدُ مُهَلَّةً فَرِمَا اخْتَطَفَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا يَزْدَادُ شُغْلُهُ
لَأَنَّ اشْتِغَالَ الدُّنْيَا يَجْذِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا تَنْتَهِي غَالِبًا إِلَّا بِالْمَوْتِ .

قال الشاعر :

وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَاتِقَهُ وَلَا انْتَهَى أَرْبَ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ
فَالوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ
وَأَنْ يَنْتَهِيَ فُرْصَةُ الْإِمْكَانِ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَأَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَيَطْلُبَ
مِنْهُ الْعَوْنَ فِي تَسْيِيرِهَا إِلَيْهِ وَصَرَفِ الْمَوَانِعِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

قال الشاعر على اهتمام الوقت :

وَتُخَذُ مِنْ قَرِيبٍ وَاسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ غَدًا

وَشِمِّرْ عَنِ السَّاقِ لِاجْتِهَادٍ بِنَهْضَةٍ
وَأَيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أخطرُ عِلَّةٍ
بَطَالَةٍ مَا أَخْرَتْ عَزْمًا لِصِحْحَةٍ
تَجِدُ نَفْسًا فَالنَّفْسُ إِنْ جُدَّتْ جُدَّتْ
وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي عَسَى
وَسِرَرٍ مِنْهَا وَانْهَضْ كَسِيرًا فَحِظْكَ أَلْ
وَجُدْ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُدْ

قال الفضيل بن عياض : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على
دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة
وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعًا وعزَّ الاسلام وأهله .

ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يُبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم
دنياهم فبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي الناس فذلوا وهانوا
على الناس . انتهى

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهائوه فهانوا ودنسوا
فإن قلت زند العلم كاب فائما
ولو عظموه في النفوس لعظمما
محياه بالأطماع حتى تجهما
كبي حيث لم تحمي حماه وأظلمما

(فائدة)

إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ورؤوف به وناظر إليه فكل ما يرد عليه من أنواع البَلَايا والرَّزَايَا والمَصَائِب يَتَنَبَّيْ له أن يَصْبِرَ وَيَحْتَسِبَ ولا يَكْتَرِثَ بذلك فإنه لم يَتَعَوَّذْ مِنَ الله إلا خيراً له .

فليُحَسِّنْ طَنَّهُ بربه وليَعْتَقِدْ أن ذلك خيراً له وأن له في ذلك مَصَالِحَ خفية لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى ﴿ وَعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ فقد يُحِبُّ الإنسانُ الشهرةَ والعافيةَ والغِنَاءَ ويكون شراً له كما في قصة قارون وثعلبة .

وَيُخَفِّفْ عَنِّي مَا آلَايَ مِنَ الْعَنَاءِ بِأَنَّكَ أَنْتَ الْمُبْتَلَى وَالْمُقْلَدُّرُ
وما لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللهُ مَعْدَلٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ الَّذِي يَتَخَيَّرُ

(فائدة)

قيل من علاماتِ التوفيقِ دُخُولُ أعمالِ البرِ عليكِ مِنْ غيرِ قَصْدٍ لها ، وصَرْفُ المعاصي عنكَ مَعَ السَّعْيِ إليها ، وَفَتْحُ بابِ اللِّجَاءِ والافتقارِ إلى الله تعالى في كلِّ الأحوال ، واتباعُ السيِّئةِ الحسنة ، وعِظَمُ الذَّنْبِ في قلبِكَ وإن كان من صغائر الذنوب والاكثار من ذكر الله وشكره وحمده والاستغفار .

ومن علامات الخذلان تَعَسُّرُ الطاعاتِ عَلَيْكَ مَعَ السَّعْيِ فيها ، ودُخُولُ المعاصي عَلَيْكَ مَعَ هَرَبِكَ منها ، وغلُقُ بابِ الألتجاءِ إلى الله وتركِ التضرعِ له وتركِ الدُّعَاءِ ، وإتباعُ الحَسَنَةِ بالسيِّئات ، واحتقارُكَ لِذُنُوبِكَ وعَدَمُ الاهتمامِ بها وإهمالُ التوبةِ منها والاستغفارِ وَنِسْيَانُكَ لِرَبِّكَ .

ذم الإنسان نفسه واحتقارَهُ لها إِذَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ عُيُوبِهَا وآفَاتِهَا مَطْلُوبٌ منه لأنه يُؤَدِّبُهُ إلى التَّفَتُّيشِ عليها ومحاسِنَتِهَا بِدَقَّةٍ وَيُؤَدِّبُهُ أَيْضاً إلى الحَلِّ بِمِنْ غُرُورِهَا وَشُرُورِهَا .

فتصلَحْ بسببِ ذلك أعمالُهُ وتصدقْ أحواله وتستقيم بإذن الله أموره وإلا

فَسَدَّتْ عَلَيْهِ وَاعْتَلَّتْ لِدُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهَا وَلَا يَصُدُّنَهُ عَنْ ذَلِكَ مَدْحُ الْمَادِحِينَ وَثَنَاءُ الْمُتَمَلِّقِينَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عَيُوبِ نَفْسِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ .
 الْمُؤْمِنُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي إِذَا مُدِّحَ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ وَذُكِرَ طَرَفًا مِنْ مَحَاسِنِهِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِحْيَا تَعْظِيمَ وَاجْلالِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِصِفَةٍ لَيْسَتْ فِيهِ .
 فَيَزِدُّهُ بِذَلِكَ مَقْتًا لِنَفْسِهِ وَاسْتِحْقَارًا لَهَا وَنُفُورًا عَنْهَا وَيَقْوَى عِنْدَهُ رُؤْيُ إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَشُهُودُهُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ وَمِنْتَهُ فِي إِظْهَارِ الْمَحَاسِنِ عَلَيْهِ وَيَشْكُرُ اللَّهُ وَيَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصَى .

قِيلَ إِنْ رَجُلًا أَخْرَجَ مِنَ السَّجْنِ فِي رَجْلِهِ قَيْدٌ وَهُوَ يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ لِلنَّاسِ عَاقِلٌ أَعْطِنِي كِسْرَةَ خُبْزَةٍ فَقَالَ لَوْ قَطَعْتَ بِالْكَسْرِ لِمَا وَضِعَ الْقَيْدُ فِي رِجْلِكَ ، وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ الْحُكَمَاءِ يَأْكُلُ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الْبَقْلِ عَلَى رَأْسِ الْمَاءِ .

فَقَالَ لَوْ تَخَدَّمْتُ السُّلْطَانَ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى أَكْلِ هَذَا ، فَقَالَ الْحَكِيمُ وَأَنْتَ لَوْ قَنِعْتَ بِهَذَا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانَ ، وَقَالَ رَجُلٌ لآخرَ كَيْفَ حَالُكُمْ مَعَ السُّلْطَانَ ، فَقَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَاثُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ .

(فَائِدَةٌ)

الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده المؤمن تُذَكَّرُ مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

- (١) قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه .
- (٢) الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
- (٣) التقوى ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
- (٤) طهارة الباطن والظاهر ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ .
- (٥) التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض فإنها توصل إلى محبة الله لعبده كما في الحديث « وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ » الحديث .

- (٦) دوام ذكر الله على كل حال في كل مكان إلا في المحلات المستندرة كالخلاء ونحوه ويكون ذلك باللسان والقلب والعمل .
- (٧) إثارة مَحَابِّهِ على محابك عند غلبات الهوى .
- (٨) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديتها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .
- (٩) مشاهدة بَرِّهِ وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .
- (١٠) إنكسار القلب بين يديه والتضرع والتذلل له وإظهار الإفتقار إليه وإظهار العجز والمسكنة والتلهف إلى رحمته ورأفته ولطفه .
- (١١) مجالسة التالين للقرآن العاملين به والذاكرين الله كثيرا .
- (١٢) القتال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴾ .
- (١٣) إتباع النبي ﷺ ، قال الله جل وعلا ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .
- (١٤) الصبر ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .
- (١٥) الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي أي وقت التجلي الإلهي ، وهو في الاسحار قبل الفجر لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقلب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .
- (١٦) مباحدة العوائق والحوائل وكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل .

قال رَجُلٌ لَطَّاءُؤُس : أوصني قال أوصيك أن تحب الله حُباً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ منه وَخِفَهُ خَوْفاً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَخَوْفَ إِلَيْكَ منه وارْجُ اللهَ رَجَاءً يَحُولُ بَيْنَكَ وبين ذلك الخوف وارض للناس ما ترضى لنفسك .

المراقبة في ثلاثة أشياء : مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان قال تعالى ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ وقال النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

قالت أسماء بنتُ عُمَيْسٍ : إنا لعند علي بن أبي طالب بعد ما ضربته ابنُ مُلْجَم ، إذ شَهِقَ ثم أغميَ عليه ثم أفاق فقال مَرَحَباً ، مَرَحَباً ، الحمد لله الذي صَدَقْنَا وَغَدَهُ وأورثنا الجنةَ ففيل له ما ترى ، قال هذا رسول الله وأخي جَعْفَر وعيبي حَمَزَةُ وأبوابُ السماء مُفَتَّحَةٌ والملائكةُ يَنْزِلُونَ يُسَلِّمُونَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرُونَ وهذه فاطمة قد طافَ بها وَصَائِفُهَا مِنَ الحُورِ وهذه مَنَازِلِي في الجنة « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

عن كثير بن زَيْد قال كَبُرَ حَكِيمُ بْنُ جِزَامٍ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ ثم اشْتَكَى فاشتدَّ وَجَعُهُ فَقُلْتُ لأَحْضَرُهُ وَلَا أَنْظُرَنَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَإِذَا هُوَ يُهَمِّهِمْ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحِبَّكَ وَأَخْشَاكَ حَتَّى مَاتَ . انتهى

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى قالوا ما يبكيك ، قال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار .

ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحباً بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك .

اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْهِ الأَنْهَارِ وَلَا لِقَرَسِ الأشْجَارِ وَلَكِنْ لَطُولِ ظَمَأِ الهَوَاجِرِ وَقيامِ ليلِ الشتاءِ وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُرَاحِمَةِ العلماء بالركب عند خلق الذكر ثم قبض رحمه الله .

ولما حضرت أبا الدرداء الوفاة جَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَصْرِعِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ ثم قبض رحمه الله .

ثم اعلم : أنَّ الأَلمَ المَصِيبَ لِلْبَيدِ إنما يدرك بواسطة الروح ، وإذا وصل الأَلمُ إلى نفس الروح فلا تُسأل عن كَربِه وآلَمِه حَتَّى قالوا إِنَّهُ أَشدُّ من ضَربِ السُّيُوفِ ونَشْرِ المَناشِيرِ وقَرَضِ المَقَارِيطِ .
والسَّبَبُ في أَنه لا يَقْدِرُ على الصَّبَّاحِ مَعَ شدة الأَلمِ لِرِيادةِ الوجعِ والكَربِ حَتَّى قَهَرَ كُلَّ قُوَّةٍ وَضَعَفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فلم يَبَقْ لَهُ قُوَّةُ الإِسْتِغَاثَةِ والإِسْتِغَاةِ .

أما العَقْلُ فقد غَشِيَهُ وَشَوَّشَهُ وأما اللسان فقد أَهَمَّهُ وأما الأطراف فقد حَذَرَهَا وَضَعَفَهَا فَإِنْ بَقِيََتْ فِيهِ قُوَّةٌ سَمِعَتْ لَهُ حُورًا وَغَرَّغَةً مِنْ صَدْرِهِ وَخَلَقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا إلى الحُلُقُومِ .

فَإِذَا ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَتُغْلَقُ أَبْوابُ التَّوْبَةِ قَالَ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فالموفق مَنْ يَكُونُ المَوْتُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ لا يَغْفُلُ عَنْهُ سَاعَةً فَيَسْتَعِذُّ للموت .

وَيُقَيِّدُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَفَقَّدُهَا مِنْ قَبْلِ الصَّلَوَاتِ وَمِنْ قَبْلِ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ هَلْ أَقَامَ الصَّلَاةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ هَلْ أَدَّى الزَّكَاةَ كَامِلَةً مُكَمَّلَةً هَلْ أَتَى مِنْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ .

هَلْ أَدَّى الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا هَلْ تَفَقَّدَ مَا عِنْدَهُ مِنْ وَصَايَا وَوَكَالَاتٍ هَلْ عِنْدَهُ أَشْيَاءٌ مُعَارَاةٌ كُتِبَ أَوْ نَحْوَهَا يُرْجَعُهَا هَلْ عِنْدَهُ كُتُبٌ زَائِلَةٌ يُفَرِّقُهَا عَلَى طَلِبَةِ الْعِلْمِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمْ . وَيَتَلَفَ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ آلَاتٌ لَهُوَ لَا تَقْبِضُ رُوحَهُ وَهِيَ عِنْدَهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ عِلَامَةَ قِصَرِ الْأَمَلِ الْمُبَادَرَةُ فِي الْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ وَمَنْ ادَّعَى قِصَرِ الْأَمَلِ وَهُوَ يَغْتَنِي بِالدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهِ
فالتوفيق أن يكون الموت أمانة في كل لحظة لا يغفل عنه أبداً إن أصبح

أَضْمَرَ أَنَّهُ لَا يُنْسَى وَإِنْ أَمْسَى قَدَّرَ أَنَّهُ لَا يُصْبِحُ .
 مُدِيمُ الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ شَاكِرًا لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِذَلِكَ مُلَازِمًا لِذِكْرِ اللَّهِ تَلِيًّا
 وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا .
 وَلَكِنْ لَا يَتَيَسَّرُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ عَنِ الْغَدِّ وَمَا يَكُونُ فِيهِ وَعَنِ الدُّنْيَا
 وَأَشْغَالِهَا وَزَخَارِفِهَا وَجَمِيعِ مَتَعَلِقَاتِهَا .
 إِلَّا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَدَاءً لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ نَسْأَلِ اللَّهِ
 الْإِعَانَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

فِيهَا أَيُّهَا الْغَافِلُ الْمُهْمِلُ الْمَفْرُطُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ اتَّبِعْهُ وَتَصَوَّرْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ
 لِنَفْسِكَ وَتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وَتَصَوَّرْ كُرْبَهُ وَسَكَرَاتِهِ وَغُصَصَهُ وَغَمَّهُ وَقَلْقَهُ .
 وَتَصَوَّرْ بُنُوَ الْمَلِكِ لِحُذْبِ رُوحِكَ مِنْ قَدَمَيْكَ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارَ لِجَذْبِ
 الرُّوحِ مِنْ جَمِيعِ بَدَنِكَ فَتَشِيطَتْ مِنْ أَسْفَلِكَ مُتَصَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ
 مِنْكَ الْكَرْبُ وَالْوَجَعُ وَالْأَلَمُ مُنْتَهَاهُ وَعَمَّتِ الْآلَامُ جَمِيعَ بَدَنِكَ وَقَلْبِكَ وَجَلَّ
 مَحْزُونٌ مُنْتَظِرٌ إِمَّا الْبُشْرَى مِنَ اللَّهِ بِالرِّضَا وَإِمَّا بِالْغَضَبِ .
 فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي كَرْهِكَ وَغَمُّومِكَ وَشِدَّةِ حُزْنِكَ لَا رَتْقًا بَكَ إِحْدَى
 الْبُشْرَيْنِ إِذْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ إِمَّا بِمَا يَسُرُّكَ وَإِمَّا بِمَا يَغْمُكَ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ غَايَةَ الْهَمِّ
 وَالْحُزْنِ أَوِ الْفَرَحِ وَالْأَنْسِ وَالسُّرُورِ قَلْبَكَ حِينَ انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا مُدَّةُكَ
 وَانْقَطَعَ مِنْهَا أَثَرُكَ وَحُمِلْتَ إِلَى دَارٍ مِنْ سَلَفِ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكَ .
 وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حِينَ اسْتَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا وَسُرُورًا أَوْ مُلِيءَ رُغْبًا وَحُزْنًا
 وَغَيْرَةً وَبِزَارَةَ الْقَبْرِ وَهَوْلَ مَطْلَعِهِ وَرَوْعَةَ الْمَلَكَيْنِ مِنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَسَوَالِمَهُمَا لَكَ فِي
 الْقَبْرِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مَا فِيهَا تَخْيِيرٌ ، الْأُولَى مَنْ رَبُّكَ وَالثَّانِي مَا دِينُكَ وَالثَّالِثُ مَنْ
 نَبِيُّكَ .

فتصوّر أوصوئَهُمَا عِنْدَ نِدَائِهِمَا لَكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤَالِهِمَا لَكَ فِيهِ فَتَصَوِّرْ
 جَلَسَتَكَ فِي ضَيْقِ قَبْرِكَ وَقَدْ سَقَطَ كَفَنُكَ عَنْ حَقْوَيْكَ وَالْقَطْلُ مِنْ عَيْنِكَ .
 ثم تصوّر شُحُوصَكَ بَبَصْرِكَ إِلَيْهِمَا وَتَأْمَلْكَ لِصُورَتَيْهِمَا فَإِنْ رَأَيْتَهُمَا
 بِأَحْسَنِ صُورَةٍ أَتَقَنَّ قَلْبُكَ بِالْفُوزِ وَالنَّجَاةِ وَالسُّرُورِ وَإِنْ رَأَيْتَهُمَا بِأَقْبَحِ صُورَةٍ
 أَتَقَنَّتْ بِالْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ .
شعراً :

وَالْمَرَّةَ يَوْمَ يَنْقُضِي فِيهِ عُمْرُهُ وَمَوْتُ وَقَبْرٌ ضَيْقٌ فِيهِ يُؤَلَّجُ
 وَيَلْقَى نَكِيرًا فِي السُّؤَالِ وَمُنْكَرًا يَسُومَانِ بِالتَّكْوِيلِ مَنْ يَتَلَجَّلُجُ
آخر :

تَفَكَّرْ فِي مَشْيِئِكَ وَالْمَآبِ إِذَا وَافَيْتَ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ
 وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى فَلَوْلَا الْقَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرًا
 خَلَقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصُرْتَ حَيًّا فَطُلُقْ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا
 نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ قَوْلِي وَنَصَحِي تُخْلِقُنَا لِلْمَمَاتِ وَلَوْ تَرَكْنَا
 يُنَادِي فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ وَذَفْنِكَ بَعْدَ عِرْكَ فِي التُّرَابِ
 تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةً الْإِهَابِ
 لِأَتَيْتِ الْأَبَاطِحُ وَالرَّوَابِي وَعُلِمْتَ الْفَصِيحُ مِنَ الْخِطَابِ
 وَبَادَرُ قَبْلَ مَوْتِكَ بِالْمَتَابِ فَمِثْلُكَ قَدْ يُدَلُّ عَلَى الصُّوَابِ
 لَضَاقَ بِنَا الْفَسِيحُ مِنَ الرِّحَابِ لِلنُّوِ لِلْمَوْتِ وَابْنُو لِلْخَرَابِ

ثم تصوّر كَيْفَ يَكُونُ شُعُورُكَ إِنْ تَبَيَّنَكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَنَظَرْتَ إِلَى مَا
 أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ وَقَوْلُهُمَا لَكَ هَذَا مَنْزِلُكَ وَمَصِيرُكَ فَتَصَوِّرْ فَرَحَكَ وَسُرُورَكَ بِمَا
 تُعَايِنُهُ مِنَ النِّعَمِ وَبَهْجَةِ الْمُلْكِ وَإِقْيَانِكَ بِالسَّلَامَةِ مِمَّا يَسُوءُكَ .
 وإن كانت الأخرى فتصوّر ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ إِنْتِهَارِكَ وَمُعَايِنَتِكَ جَهَنَّمَ

وقولهما لك هذا منزلُك ومَصِيرُك فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ غَمْرَةٍ لَا تُقَالُ .

ثم بعد ذلك الفناء والبلاء حتى تُنْقَطِعَ الأوصالُ وتُفْتَتِ الْعِظَامُ وَيَبْلَى جَسَدُكَ وَيَسْتَمِرُّ حُزْنُكَ فِيَا حَسْرَةٍ رُوحِكَ وَغُموِمِهَا وَهُموِمِهَا .
حتى إذا تَكَامَلَتْ عِدَّةُ الأُمُوتِ وَقَدْ بَقِيَ الْجَبَّارُ الْأَعْلَى مُنْفَرِّدًا بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ ثُمَّ لَمْ يَفْجَأْكَ إِلَّا نِدَاءُ الْمُنَادِي لِلْخَلَائِقِ لِلْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ جَل وَعَلَا .

قال تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ يأمر الله ملكاً أن يُنَادِيَ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ أَتَيْهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ وَاللَّحُومُ الْمُتَمَزِّقَةُ وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ .

فَتَصَوِّرُ وَقُوعَ الصُّوْبِ فِي سَمْعِكَ وَدُعَايَكَ إِلَى الْعَرْضِ عَلَى مَالِكِ الْمُلِكِ فَيَطِيرُ فُؤَادُكَ وَيَشِيْبُ رَأْسُكَ لِلنِّدَاءِ لِأَنَّهَا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْعَرْضِ عَلَى الرَّبِّ جَل وَعَلَا قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ .

فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي فَرْعٍ مِنَ الصُّوْبِ إِذْ سَمِعْتَ بِانْشِقَاقِ الْأَرْضِ فَخَرَجْتَ مُعْبَرًا مِنْ غِبَارِ قَبْرِكَ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْكَ شَاخِصًا بَبَصَرِكَ نَحْوَ النِّدَاءِ قَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تَشْهَقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وَقَالَ ﴿نُحْشَأُ أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ .

فَتَصَوِّرُ ثَقَرِيكَ وَمَذَلَّتَكَ وَانْفِرَادَكَ بِخَوْفِكَ وَأَحْزَانِكَ وَهُموِمِكَ وَغُموِمِكَ فِي زَحْمَةِ الْخَلَائِقِ خَاشِعَةً أَبْصَارَهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ تَرْهَقُهُمُ الذِّلَّةُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَنُحْشِيتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿نُحْشَأُ أَبْصَارَهُمْ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مِهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾ .

ثم تصور إقبال الوحوش من البراري مُنَكِسَةً رُؤُوسَهَا لِهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَبَعْدَ تَوَحُّشِهَا وَانْفِرَادِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ ذَلِكَ يَوْمَ النُّشُورِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا
الْوَحُوشُ حَشَرَتْ ﴾ .

وتصور تَكْوِيرَ الشَّمْسِ وَتَنَاقُثَ النُّجُومِ وَانْشِقَاقَ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ الْخَلَائِقِ
مَعَ كَثَافَةِ سَمَكِهَا فِيَا هَوْلٍ صَوْتِ ذَلِكَ الْانْشِقَاقِ .

وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى خَافَاتٍ مَا يَتَفَطَّرُ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَانْشَقَّتْ
السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتْ
السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ .

قِيلَ تُلُوبُ كَمَا تُلُوبُ الْفِضَّةِ فِي السَّبَكِ وَتَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغَ الَّتِي
يُدَهْنُ بِهَا فَتَارَةُ حَمْرَاءَ وَتَارَةُ صَفْرَاءَ وَزَرْقَاءَ وَخَضْرَاءَ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ
وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ قِيلَ كَالْفِضَّةِ
الْمَذَابَةِ أَوْ الرِّصَاصِ الْمَذَابِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ .

فَتَصُورُ وَقُوفُكَ مَفْرَدًا عَرِيَانًا حَافِيًا وَقَدْ أَدْنَيْتِ الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ
وَلَا ظِلَّ لِأَحَدٍ إِلَّا ظِلَّ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَرْعُوجَةِ اسْتَشَدَّ
الْكَرْبُ وَالْوَهْجُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ثُمَّ ازْدَحَمَتِ الْأُمَمُ وَتَدَافَعَتْ وَتَضَايَقَتْ وَاخْتَلَفَتْ
الْأَقْدَامُ وَانْقَطَعَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْخَوْفِ الْعَظِيمِ .

وَانْضَافَ إِلَى حَرِّ الشَّمْسِ كَثْرَةُ الْأَنْفَاسِ وَازْدِحَامُ الْأَجْسَامِ وَالْعَطَشُ
تَضَاعَفَ وَلَا نَوْمَ وَلَا رَاحَةَ وَفَاضَ عَرْقُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارْتَفَعَ
عَلَى الْأَبْدَانِ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ .

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها قال تعالى ﴿ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

فَلَا يَبْقَى مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا جِثًّا لِرُكْبَتِهِ يَقُولُ يَا رَبِّ نَفْسِي

نفسى فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأ القلوب رعباً وخوفاً وقلقاً ودُعراً يا له من موقف ومنظر مزعج .

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفزع والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء ، قال تعالى ﴿ وَتُنذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه ينادي نفسي نفسي قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأُيَيْهِ ﴾ الآية .

فتصور نفسك وحالتك عند ما يتبرأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلقل والأهوال التي ملأت القلوب من الخوف والفزع والرعب والدعرج .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمرواة والحفاظ أن تفر من أمك وأبيك وأخيك وبنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك قال الله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ .

فبينما أنت في تلك الحالة مملوء رعباً قد بلغت القلوب الحناجر من شدة الأهوال والمزعجات والخوف العظيم إذ ارتفع عنق من النار يلتقط من أمر بأخذه فينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتليهم ثم تصور الميزان وعظمته وقد نصيب لوزن الأعمال وتصور الكتب المتطايرة في الأيمان والشمايل وقلبك واجف مملوء خوفاً متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك أو من وراء ظهرك .

فَالْأَتْقِيَاءُ يُعْطَوْنَ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِم وَالْأَشْقِيَاءُ بِالشَّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ ،
قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ فُسُوفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ
إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فُسُوفَ يَدْعُوا
ثُبُورًا وَيَصِلَى سَعِيرًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ كِتَابِيهِ ﴾
الآيات وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَلَمْ
أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ﴾ الآيات .

فِيَالَهَا مِنْ مَوَاقِفٍ وَيَا لَهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَيَا لَهَا مِنْ تُحْطُوبٍ مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا
يُتَكَيِّمُ الْمُؤْمِنُ بِهَا حَقًّا .

عن الحسن « أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فَتَحَسَنَ
فَتَذَكَّرَتْ الْآخِرَةَ فَبَكَتْ فَسَالَتْ دُمُوعُهَا عَلَى خَدِّ النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَيْقِظَ بِدُمُوعِهَا
فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا يُتَكَيِّمُكَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ هَلْ تَذْكُرُونَ
أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قال : والذي نفسي بيده في ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَإِنْ أَحَدًا لَا يَذْكُرُ إِلَّا نَفْسَهُ :
إِذَا وَضَعْتَ الْمَوَازِينَ وَوُزِنَتْ الْأَعْمَالُ حَتَّى يَنْظُرَ ابْنُ آدَمَ أَيَحْفَ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ
وَعِنْدَ الصِّحْفِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيَمِينُهُ يَأْخُذُ أَمْ بِشِمَالِهِ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ .

وعن أنس بن مالك قال : يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ
كَفَتَيْ الْمِيزَانِ وَيُوكَلُ بِهِ مَلَكٌ فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ
سَعِدَ فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ سَعَادَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا .

وإن نَحَفَ مِيزَانُهُ نَادَى بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ شَقِيَ فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ
شَقَاوَةٌ لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا .

وَتَصَوَّرْ يَتِيمًا أَنْتَ وَاقِفٌ مَعَ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِذْ نُوْدِيَ بِاسْمِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ أَمِنْ

فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل .
فَقِمْتَ أَنْتَ لَا يَقُومُ غَيْرُكَ لِمَا لَزِمَ قَلْبَكَ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ أَنْتَ الْمَطْلُوبُ
فَقِمْتَ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُكَ وَتَضْطَرُّ رِجْلَاكَ وَجَمِيعُ جَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ وَالذُّهُولِ فِي أَشَدِّ الْخَفَقَانِ مَرْتَعِياً إِلَى الْحَنْجَرَةِ .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَنَذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ خَوْفَكَ وَذَلِكَ وَضَعْفَكَ وَانْهِيَارَ أَعْصَابِكَ وَقُوءَكَ مُتَغَيِّراً لَوُثِّكَ
مَرْغُوباً مَذْغُوراً مُرْتَكِضاً مُزْعِجاً قَدْ حَلَّ بِكَ الْعَمُّ وَالْهَمُّ وَالْاضْطِرَابُ وَالْقَلْقُ
وَالذُّهُولُ لِمَا أَصَابَكَ وَرَأَيْتَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ وَالْمُخْزِنَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ
عَلِيمٌ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَكَيْفَ
تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ بَعْدَهَا .

وَتَصَوَّرْ وَقُوءَكَ بَيْنَ يَدَيْ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي الْأَرْضُ جَمِيعاً
قَبِضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينُهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَقَلْبُكَ خَائِفٌ
مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّغْبِ مَحْزُونٌ وَجَلَّ وَطَرَفَكَ خَائِفٌ خَافِي خَاشِعٌ ذَلِيلٌ .
وَجَوَارِحُكَ مَرْتَعِدَةٌ بِيَدِكَ صَحِيفَةٌ مُخْصَصَةٌ فِيهَا الدَّقِيقُ وَالْجَلِيلُ لَا تُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً فَقْرَأَتَهَا بِلِسَانٍ كَلِيلٍ وَقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ وَدَاخَلَكَ مِنَ الْحُجْلِ
وَالْجُبْنِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ إِلَيْكَ مُحْسِناً وَعَلَيْكَ سَائِراً .

فَبَايَ لِسَانِ ثُجْبِيهِ حِينَ يَسْأَلُكَ عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ جُرْمِكَ وَبَايَ
قَدَمِ تَقِفُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَايَ طَرْفِ تَنْظُرٍ إِلَيْهِ وَبَايَ قَلْبٍ تَحْتَمِلُ كَلَامَهُ الْعَظِيمِ
الْجَلِيلِ وَمُسَاءَلَتُهُ وَتَوْيِيحُهُ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بِصَغَرِ جِسْمِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ

كخردلة في كفه الكبير المتعالي شديداً المحال الذي ما من دابة إلا هو آخذ
بناصيتها وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه لا إله إلا هو القوي العزيز .
وتصور نفسك بهذه الهيئة والأحوال مُحَدِّقَةً بِكَ مِنْ جَوَانِبِكَ وَمِنْ
خَلْفِكَ فَكَمْ مِنْ كَبِيرَةٍ قَدْ نَسِيَتْهَا أَثْبَتَهَا عَلَيْكَ الْمَلَكُ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ أَحَدَتْهَا
فَذَكَّرَتْهَا وَكَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ قَدْ كُنْتَ كَتَمْتَهَا قَدْ ظَهَرَتْ وَبَدَتْ .

وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ خَلَصَ لَكَ وَسَلَمَ فَإِذَا هُوَ بِالرِّيَاءِ قَدْ
حَبِطَ بَعْدَ مَا كَانَ أَمْلَكَ فِيهِ عَظِيماً فَيَا خَسِرَةً قَلْبِكَ وَتَأْسُفَكَ عَلَى مَا قَرُطْتَ فِي
طَاعَةِ رَبِّكَ قَالَ تَعَالَى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا خَسِرْتُنَا عَلَى مَا قَرُطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ
وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِدِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

حتى إذا كُرِّرَ عَلَيْكَ السُّؤَالُ بِذِكْرِ الْبَلَايَا وَنُشِرَتْ مَخْبَأَتُكَ الَّتِي طَلَمَّا
أَخْفَيْتَهَا وَسَتَرْتَهَا عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلَكَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لغيرِهِ ضِراً وَلَا نَفْعاً
وَقَدْ ظَهَرَتْ قَلَّةُ هَيِّئِكَ لِلَّهِ وَقَلَّةُ حَيَاتِكَ مِنْهُ وَظَهَرَتْ مُبَارَزَتُكَ لَهُ بِفَعْلٍ مَا نَهَاكَ
عَنْهُ .

فَمَا ضُنُّكَ بِسُّؤَالٍ مَنْ قَدْ اِمْتَلَأَ سَمْعُكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ
وَسَائِرِ صِفَاتِهِ كَمَا هُوَ وَكَيْفَ بِكَ إِنْ ذَكَرَكَ مُخَالَفَتَكَ لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيهِ وَقَلَّةَ
اهْتِمَامِكَ بِتَهْنِئِهِ وَنَظَرِهِ إِلَيْكَ وَقَلَّةَ اكْتِرَائِكَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ .

وَمَاذَا تَقُولُ إِنْ قَالَ لَكَ يَا عَبْدِي مَا أَجَلْتُنِي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَمَا رَاقَبْتَنِي
اسْتَحْفَفْتُ بِنَظَرِي إِلَيْكَ أَلَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ أَلَمْ أَنْعِمْ عَلَيْكَ مَا غَرَّكَ مِنِّي .
شَبَّابُكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ وَغُمُوكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ وَمَالُكَ مِنْ أَثْنِ اكْتَسَبْتَهُ وَفَيْعَمَ
أَنْفَقْتَهُ وَعِلْمُكَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيهِ .

وورد عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَيَقْفَنُ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرْجَمُ عَنْهُ فَيَقُولُ أَلَمْ

أُنْعِمَ أَلَمْ آتِكَ مَا لَا يَقُولُ بَلَى .

فيقول أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فيقول بَلَى ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ أَحَدَكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فَأَعْظِمَ بِهِ مَوْقِفًا وَأَعْظِمَ بِهِ مِنْ سَائِلٍ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ سَخَايَةُ وَأَعْظِمَ بِمَا يُدَاخِلُكَ مِنَ الْحَجَلِ وَالْغَمِّ وَالْحُزَنِ وَالْأَسَفِ الشَّدِيدِ .

عَلَى مَا قَرَّطْتَ فِي طَاعَتِهِ وَعَلَى رُكُوبِكَ مَعْصِيَتِهِ وَعَلَى أَوْقَاتِ ضَاعَتْ عِنْدَ الْمَلَاهِمِ وَالْمُنْكَرَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُجْرِمِينَ الْمَفْرُطِينَ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخْلِدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ الْآيَةُ .

وَكَيْفَ تُثَبِّتُ رِجْلَاكَ عِنْدَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ لِسَانُكَ عِنْدَمَا يَسْأَلُكَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَكَ جَلُّ وَعَلَا وَيَقْدِرَكَ عَلَى ذَلِكَ فَإِذَا تَبَالَعَ فِيكَ الْجُهْدُ مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزَنِ وَالْحِيَاءِ وَالْحَجَلِ بَدَأَ لَكَ مِنْهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا الْغَضَبَ أَوْ الرِّضَا عَنْكَ .

فَإِمَّا أَنْ يَقُولَ يَا عَبْدِي أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ كَبِيرَ جُرْمِكَ وَكَثِيرَ سَيِّئَاتِكَ وَتَقَبَّلْتُ مِنْكَ يَسِيرَ إِحْسَانِكَ فَيَسْتَطِيعُ قَلْبُكَ بِالْبَهْجَةِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فَيُشِيرُ لِذَلِكَ وَجْهَكَ .

فَتَصَوِّرُ نَفْسَكَ حِينَ مَا يَقَالُ لَكَ وَتَهْدَأُ نَفْسُكَ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَيُتَوَرَّ وَجْهَكَ بَعْدَ كَاثِبَتِهِ وَتُكْسِفُهُ مِنَ الْحَيَاءِ مِنَ السُّؤَالِ .

وَتَصَوِّرُ رِضَاهُ عَنْكَ حِينَمَا تَسْمَعُهُ مِنْهُ فَتَارُ فِي قَلْبِكَ فَاثِلًا سُرُورًا وَكَيْدًا أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْفَرَحِ فَأَنْتَ سُرُورٌ أَعْظَمُ مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَجِ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ وَقَدْ بَدَا لَكَ مِنَ الرِّضَا وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ فَتَكَادُ رُوحُكَ
أَنْ تَطِيرَ مِنْ بَدَنِكَ فَرِحاً فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرِّضَا عَنْكَ
وَالْمَغْفِرَةَ لَكَ فَأَمِنْ خَوْفِكَ وَسَكَنَ حَذْرِكَ وَتَحَقَّقَ أَمْلُكَ وَرَجَاؤُكَ بِخُلُودِ الْأَيْدِ
وَأَيَقَنْتَ بِفُوزِكَ وَتَعَيَّنِكَ أَبَدًا لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ وَطَارَ قَلْبُكَ فَرِحاً وَابْتِضُّ
وَجْهُكَ وَأَشْرَقَ وَأَنَارَ .

ثُمَّ خَرَجْتَ إِلَى الْخَلَائِقِ مُسْتَيَّزٍ الْوَجْهِ قَدْ حَلَّ بِكَ أَكْمَلُ الْجَمَالِ
وَالْحُسْنِ كِتَابُكَ يَمِينُكَ وَقَدْ شَخَّصْتَ أَبْصَارَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ غِبْطَةً لَكَ وَتَأْسُفًا
عَلَى أَنْ يَنَالُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ مَا نِلْتَ .

وَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْكَ رَبُّكَ وَأَيَقَنْتَ بِالْهَلَاكِ وَذَهَبَ بِكَ إِلَى
جَهَنَّمَ مُسَوِّدُ الْوَجْهِ تَتَخَطَّى الْخَلَائِقُ بِسَوَادٍ وَجْهَكَ وَكِتَابُكَ فِي شِمَالِكَ أَوْ مِنْ
وَرَاءَ ظَهْرِكَ تُنَادِي بِالتَّوْبِ وَالْتِبُورِ وَالْمَلَكُ آخِذٌ بِعَصِيدِكَ ينادي هَذَا فُلَانٌ هُنَّ
فُلَانٌ قَدْ شَقِيَ شَقَاءٌ لَا يَسْعُدُ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وَتَصَوِّرِ الصِّرَاطَ وَهُوَ الْجَسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ قَدْ أَمَكَ وَتَصَوِّرْ
مَا يَحِلُّ بِكَ مِنَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدِ حِينَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَتَنَظَّرْتَ إِلَيْهِ بِدَقِّهِ
وَحُوضِهِ وَجَهَنَّمَ تَضْطَرِبُ وَتَتَغَيَّضُ وَتُخْفِقُ بِأَمْوَاجِهَا مِنْ تَخَبُّهِ .
فَيَالَهُ مِنْ مَنَظَرٍ مَا أَفْظَعُهُ وَأَهْوَلُهُ وَسَمَاعُكَ شَهيقَهَا وَتَغْيُضُهَا وَقَصْفُ
أَمْوَاجِهَا وَجَلْبَةَ ثَوْرَانِهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَقَدْ اضْطَرُرْتَ عَلَى الْمَشْيِ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّتْ
عَلَيْكَ صِفَتُهُ .

ثُمَّ قِيلَ لَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى الْجَسْرِ بِفَضَاطِلِهِ وَفَضَاعَتِهِ وَقِيلَ لِلْخَلْقِ مَعَكَ
ارْكَبُوا الْجَسْرَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ فَتَصَوِّرْ حَالَتَكَ وَخَفَقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَانَ
جِسْمِكَ مِمَّا عَايَنْتَ مِنَ الْمَزْعَجَاتِ وَالْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَعَظَائِمِ
الْأُمُورِ وَقِلَّةِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالرَّاحَةِ .
وَلَمَّا قِيلَ ارْكَبْ طَارَ عَقْلُكَ رُغْبًا وَخَوْفًا ثُمَّ إِذَا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وَأَنْتَ

تَنْتَفِضُ لِتَرْكَبِ الْجَسَرِ فَوْقَ قَدَمِكَ عَلَى حِدَّتِهِ وَدِقَّتِهِ فَازْدَادَ فَرْعُكَ وَازْدَادَ رَجْفَانُ قَلْبِكَ وَرَفَعَتْ رِجْلُكَ الْأُخْرَى وَأَنْتَ مَضْطَرِبٌ تَتَمَرَّجُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ الْعَظِيمِ وَقَدْ انْقَلَبَتْ الْأَوْزَارُ وَأَنْتَ حَامِلُهَا عَلَى ظَهْرِكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ يَتَهَاقَتُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ وَرَائِكَ .

فَتَصُورُ مُرُورَكَ عَلَيْهِ بَضْعُفِكَ وَثِقَلِكَ وَأَوْزَارِكَ وَقِلَّةَ حِيلَتِكَ وَأَنْتَ مِنْدَهِشٌ مِمَّا تَحْتَكَ وَأَمَامَكَ مِمَّنْ يَكُونُونَ وَيَزُولُونَ وَقَدْ تَنَكَّسَتْ هَامَاتُهُمْ وَأَرْتَفَعَتْ أَرْجُلُهُمْ وَآخَرُونَ يُخْتَطِفُونَ بِالْكَلايِبِ وَتَسْمَعُ الْعَوِيلَ وَالْبَكَاءَ وَالْأَصْوَاتَ الْمَزْعِجَاتِ الْمُنَادِيَاتِ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ .

فِيَالِهَ مِنْ مَنَظَرٍ قَظِيعٍ وَمُرْتَقَى مَا أَصْنَعْتَهُ وَمَجَازِ مَا أَضِيقُهُ وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلُهُ وَمَوْقِفٍ مَا أَشَقُّهُ وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الدُّغْرِ وَالرَّغْبِ وَالْقَلَقِ مُلْتَفِتاً يَمِيناً وَشِمَالاً إِلَى مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ وَهُمْ يَتَهَاقَتُونَ قُدَّامَكَ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تُحْشَى أَنْ تَتَّبِعَهُمْ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ .

فَتَصُورُ هَذَا بِعَقْلِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَتَنَكَ وَبَيْنَهُ فَلَا يَفِيدُكَ التَّفَكِيرُ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَلَا فِي تَفْرِيطِكَ وَتُحَاسِبَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانُ فَتَبْوَأَ بِالْفَشَلِ وَالْخَبِيَّةِ وَالْجِرْمَانِ .

وَتَصُورُ حَالَتَكَ إِنْ بُوتَ بِالْخُسْرَانِ وَزَلَّتْ رِجْلُكَ عَنِ الصِّرَاطِ وَوَقَعْتَ فِيمَا كُنْتَ تُحَاذِرُ وَتُخَافُ وَطَارَ عَقْلُكَ ثُمَّ زَلَّتْ رِجْلُكَ الْأُخْرَى فَتَنَكَّسَتْ عَلَى هَامَتِكَ وَعَلَتْ رِجْلَاكَ فَلَمْ تُشْعَرْ إِلَّا وَالْكَلُوبُ قَدْ دَخَلَ فِي جِلْدِكَ وَلَحْمِكَ . فَجَذِبَتْ بِهِ وَبَادَرَتْ إِلَيْكَ النَّارُ ثَائِرَةً غَضَبَانَةً لِعُضْبٍ مَوْلَاهَا وَقَدْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِكَ النَّدَمُ وَالتَّاسُفُ عَلَى أَوْقَاتِ ضَيَعَتِهَا فِيمَا يُسْخِطُ اللَّهَ .

وَتَصُورُ سَمَاعَكَ لِنِدَاءِ النَّارِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هَلْ امْتَلَأْتَ ﴾ وَسَمِعْتَ إِبْجَابَتَهَا لَهُ ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَهِيَ تَلْتَبُ فِي بَدَنِكَ لَهَا قَصِيفٌ فِي جَسَدِكَ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَفْطَرَ جِسْمَكَ وَتَسَاقَطَ لَحْمُكَ وَبَقِيَتْ عِظَامُكَ .

ثم اطلعت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه وأنت تُنادي وتستغيث
فلا تُرحم حتى إذا طال فيها مُكثك واشتد بك العطش .

فذكرت الشراب في الدنيا فزعت إلى الجحيم فتناولت الآناء من يد
الخازن الموكل بعذابك فلما تناولته تمزعت كفك من تحته واحترقت من حرارته
ثم قربته إلى فمك والألم بالغ منك كل مبلغ فشوى وجهك وتساقط لحمه .
ثم تجرعت ماء فسليخ حلقك ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك قال الله جل
وعلا ﴿ وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿
ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما
هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

ثم ذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته فبادرت إلى الحميم لئبرد به كبدي
كما تعودت في الدنيا فسقيت فقطع أمعاءك والحميم شراب كالنحاس المذاب
يقطع الأحشاء والأمعاء ثم بادرت إلى النار رجاء أن تكون أهون منه ثم اشتد
عليك حرير النار فرجعت إلى الحميم قال الله تعالى ﴿ يطوفون بينها وبين
حميم آن ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ .

فقدرت نفسك مع الضائعين والخاسرين لعلك أن تلحق بالابرار والمقرين
وتصور حالتك لما اشتد بك الكرب والعطش وبلغ منك كل مبلغ وذكرت
الجنان وما فيها من التعميم المقيم والعيش السليم .

وهاجت الأخران وهاجت غصة في فؤادك إلى حلقك أسفاً على ما فات
من رضى الله عز وجل وحزناً على نعيم الجنة .

ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وذكرت أن فيها بعض القرابة من أب أو أم
أو ابن أو أخ أو غيرهم من القرابة أو الأصدقاء في الدنيا فناديتهم بقلوب محزون

مُخْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَاءً أَوْ نَحْوَهُ فَأَجَابُوكَ بِالرَّدِّ وَالْحَيِّيةِ فَتَقَطَعَ قَلْبُكَ حَسْرَةً
وَأَسْفًا .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فَيَا
خَبِيَّةَ مَنْ هَذَا حَالُهُ وَهَذَا مَالُهُ .

لَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبُكَ حُزْنًا إِذْ خَيَّبُوا أَمَلَكَ فِيهِمْ وَبِمَا رَأَيْتَ مِنْ غَضَبِهِمْ عَلَيْكَ
لِعُضَبِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَفَزَعْتَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّدَاءِ بِطَلَبِ الْخُرُوجِ مِنْهَا فَبَعْدَ مُدَّةٍ اللَّهُ
أَعْلَمَ بِهَا جَاءَ الْجَوَابُ ﴿ لِمُحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلُمُونَ ﴾ .

فَلَمَّا سَمِعْتَ الْإِدَاءَ بِالتَّخْصِيفَةِ لَكَ وَلِأَمْثَالِكَ بَقِيَ نَفْسُكَ مِنْ شِدَّةِ الضِّيقِ
وَالْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ مُتَرَدِّدًا فِي جَوْفِكَ لَا مَخْرَجَ لَهُ فَضَاقَتْ نَفْسُكَ ضَيْقًا شَدِيدًا لَا
يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَبَقِيَتْ قَلِقًا تَزْفُرُ وَلَا تُطِيقُ الْكَلَامَ ثُمَّ أَتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ حَيْثُ
أُطِيقَ أَبْوَابُ النَّارِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَعْدَائِهِ فِيهَا فَانْقَطَعَ الْأَمَلُ كُلِّيًّا .

فَيَا إِيَّاسَكَ وَيَا إِيَّاسَ سُكَّانِ جَهَنَّمَ حِينَ سَمِعُوا وَقَعَ أَبْوَابُهَا تَطِيقُ عَلَيْهِمْ
قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ .

فَعَلِمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ لَا فَرْجَ أَبَدًا وَلَا مَخْرَجَ وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ

اللَّهِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَعَذَابٌ لَا زَوَالَ لَهُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ وَدَوَامٌ خَرَقَ قُلُوبَهُمْ .

أَحْزَانٌ لَا تَنْقُضِي وَهُمُومٌ وَغَمُومٌ لَا تُنْفِذُ وَسُقْمٌ لَا يَبْرَأُ وَقَيْوْدٌ لَا تُحَلُّ
وَأَغْلَالٌ لَا تُفَكُّ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ

رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

لَا يَرْحَمُ بُكَاءُهُمْ وَلَا يَجَاب دَعَاؤُهُمْ وَلَا يَغَاثُونَ عِنْدَ تَضَرُّعِهِمْ وَلَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَلَا تُقَالُ عَثَرَتُهُمْ غَضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ أَبَدًا فَمَثَلُ نَفْسِكَ بِهَذَا الْوَصْفِ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْكَ رَبُّكَ لَعَلَّكَ أَنْ تُسْتَقْبَضَ فَتَسْتَدْرِكَ .

فَلَوْ رَأَيْتَ الْمُعَذِّبِينَ وَقَدْ أَكَلَتِ النَّارُ لُحُومَهُمْ وَمَحَتْ مَحَاسِينَ وَجُوهِهِمْ وَانْدَرَسَ تَحْطِيطُهُمْ فَبَقِيََتِ الْعِظَامُ مُحْتَرَقَةً مُسْوَدَّةً وَقَدْ قَلَقُوا مِنْ شِدَّةِ تَكَرُّرِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ .

وَهُمْ يُنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ وَيَصْرَخُونَ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ .

فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَذَابَ قَلْبِكَ فَرَعًا وَرُغْبًا مِنْ سُوءِ خَلْقِهِمْ وَلِخَرَجَتْ رُوحُكَ مِنْ تَنَنٍ رَائِحَتِهِمْ فَكَيْفَ لَوْ نَظَرْتَ نَفْسَكَ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَقَدْ زَالَ مِنْ قَلْبِكَ الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَلَزِمَكَ الْقَنُوطُ وَالْإِيَّاسُ فَمَثَلُ نَفْسِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَأَثَّرَ فَتَسْتَعِذَّ لِقَاءَ اللَّهِ . وَنَظَرْتَ إِلَى النَّارِ وَهِيَ تَشْتَعِلُ فِي أَجْزَاءِ بَدَنِكَ فَتَدْخُلُ أَذُنَيْكَ وَعَيْنَيْكَ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِبَاعَادِهَا عَنْكَ لِمَلَاذِمَتِهَا لَكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ فَهَنَّاكَ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِكَ التَّأْسُفُ وَالْحَسْرَاتُ وَالنَّدَامَةُ قَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ الْآيَةُ .

فَتَصَوَّرْ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَالْعِظَائِمَ بِعَقْلِ فَارِغٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَرَاجِعِ نَفْسِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَتُبَّ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَنْ مَا يَكْرَهُهُ مَوْلَاكَ وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ وَابْلُغْ مِنْ خَشْيَتِهِ لَعَلَّهُ يَرْحَمَكَ وَيُقْبِلَ عَثَرَتَكَ فَإِنَّ الْخَطَرَ عَظِيمٌ وَالْبَدَنُ ضَعِيفٌ وَالْمَوْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ ، انْتَهَى بِتَصَرُّفٍ مِنْ كَلَامِ الْحَاسِبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

مَثَلُ وَقُوفِكَ يَوْمَ الْحَشْرِ عَرِيَانَا
النَّارُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ
إِقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ
لَمَّا قَرَأْتَ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ لِسِي
قَالَ الْجَلِيلُ مَحْلُوهُ يَامَلَايَكْتِي
يَارَبِّ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا
مُسْتَعْطِفًا قَلِقَ الْأَحْشَاءُ حَيْرَانَا
عَلَى الْعَصَاةِ وَتَلَقَّى الرَّبُّ غَضَبَانَا
وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
حَرْفًا وَمَا كَانَ فِي سِرِّ وَإِعْلَانَا
مُرُّوا بِعَبْدِي إِلَى الْيَرَّانِ عَطَشَانَا
تَجْعَلَ لِتَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

اللهم ارزقنا أنفساً تقنع بِعَطَائِكَ ، وتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وتصبر على
بلائِكَ ، وتُؤَوِّنُ بِلِقَائِكَ وتشكر لنعمائِكَ وتحب أوليائِكَ وتبغض أعداءكَ واغفر
لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

في ذكر بعض الفوائد والمواعظ

سنة خصال يرفع الله بها العبد : العلم النافع ، والأدب المستفاد من
الكتاب والسنة ، والأمانة ، والعفة والصدق ، والوفاء .
من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله والتخلص من حقوق العباد ومن
علامات محبة العبد لله إتباع محمد ﷺ .
سُئِلَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ مَا بَالُ الْإِنْسَانِ يَحْتَمِلُ مِنْ مُعَلِّمِهِ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنْ
أَبَوَيْهِ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَوَيْهِ سَبَبُ حَيَاتِهِ الْفَانِيَّةِ وَمُعَلِّمُهُ سَبَبُ حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ .
إِحْتِيَاجُ الْأَخْيَارِ لِلْأَشْرَارِ فِتْنَةٌ لِلطَّائِفَتَيْنِ .
وَإِحْتِيَاجُ الْأَشْرَارِ لِلْأَخْيَارِ صِلَاحٌ لِلطَّائِفَتَيْنِ .
بَصِيحَةُ الْإِيمَانِ ، وَكَمَالُ الثَّقْوَى ، يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ خَيْرَ الدُّنْيَا

والآخرة قال الله عز وجل ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۝ ﴾ .

عِمَارَةُ الْقَلْبِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فِي الْعِلْمِ ، وَالتَّقْوَى ، وَطَاعَةِ اللَّهِ ، وَذِكْرِ اللَّهِ .

وَتَحْرَابُ الْقَلْبِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالْمَعْصِيَةِ ، وَالْإِغْتِرَارِ ، وَالْعُقْلَةِ .

الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ عِلَامَةُ فَلَاحِ الْمُصَلِّي قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ﴾ .

مِنْ عِلَامَاتِ مَوْتِ الْقَلْبِ عَدَمُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْكَ مِنَ الزَّلَّاتِ قَالَ ﷺ « مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ .

مِنْ نَتَائِجِ الْمَعْصِيَةِ ، قِلَّةُ التَّوْفِيقِ ، وَفَسَادُ الرَّأْيِ ، وَخِفَاءُ الْحَقِّ ، وَفَسَادُ الْقَلْبِ ، وَخَمُولُ الذِّكْرِ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ ، وَنَفَرَةُ الْخَلْقِ ، وَالْوَحْشَةُ مَعَ الرَّبِّ ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَمَحَقُّ بَرَكَةِ الْعُمْرِ وَلِبَاسُ الذِّلِّ ، وَضِيقُ الصَّدْرِ .

سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَ عَنْهَا فَقَالَ السَّائِلُ : إِنَّ الْفُقَهَاءَ يُخَالِفُونَكَ فَقَالَ لِلْسَّائِلِ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ رَأَيْتَ فُقِيهًا بِعَيْنِكَ : إِنَّمَا الْفُقَيْهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبُ فِي الْآخِرَةِ .

الْبَصِيرُ بِدِينِهِ الْمَدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ الْوَارِثُ الْكَافُّ نَفْسَهُ عَنْ أَغْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ الْبَغِيضُ عَنْ أُمُورِهِمُ النَّاصِحُ لْجَمَاعَتِهِمُ الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ الْمَقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ مَنْ فَوْقَهُ وَلَا يَسْخَرُ مِنْ دُونِهِ وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِ عِلْمِهِ اللَّهُ لَهُ حُطَاتًا مِنَ الدُّنْيَا قُلْتُ هَذَا يَعْزُّ وَجُودُهُ فِي زَمَانِنَا .

وَقُلْتُ هَذَا فِي زَمَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَى أَهْلَ زَمَانِنَا وَمَا دَهَاغِهِمْ مِنْ

أنواع المعاصي والشرور والتكالب على الدنيا والزهادة في الآخرة .

وعن سفيان بن عيينة قال : جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه فقل له جَلَسَ إليك ابنُ أمير المؤمنين فلم تَلْتَفِتْ إليه ، قال أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَزْهَدُونَ فيما في يديه .

وعن ميمون بن مهران قال بعث الحجاج بن يوسف إلى الحسن وقد هَمَّ بِهِ فلما دخل عليه وقامَ بين يديه قال يا حَجَّاجُ كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ مِنْ أَبٍ قال كثير قال فَأَيْنَ هُمْ قال ماثُوا قال فَتَكَسَّ الحجاجُ رأسه وخرجَ الحسنُ .

وعن جعفر بن سليمان قال سمعتُ مالكَ بْنَ دينارٍ يقول إِنَّ العالمَ إِذْ لم يَعْمَلْ بعلمه زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفاة .

وَوَاسَفَاهُ على وَقْتٍ كان فيه العلماء العاملون بعلمهم أَعَزَّ مِنَ الملوك نفوساً وأوطأ جانباً مِنَ الفقراء وأَغْيَرَ الناسَ على الدين وأزهدهم في حطام الدنيا وأشدَّ أخذاً لأحكام الله ورغبةً فيما أَعَدَّه لأوليائه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حكى عن بعض المتقدمين أنهم كانوا يَخْتَبِرُونَ الْمُتَعَلِّمَ مُدَّةً في أَخْلَاقِهِ فَإِنْ وَجَدُوا فِيهِ خُلُقاً رَدِيئاً مَنَعُوهُ مِنَ الْعِلْمِ وقالوا إِنَّهُ يَسْتَعِينُ بِالْعِلْمِ على مُقْتَضَى الْخُلُقِ الرَّدِيِّ فَيَصِيرُ الْعِلْمُ آلَةً شَرًّا فِي حَقِّهِ .

وقد قالت الحكماء زِيَادَةُ الْعِلْمِ في الرجلِ السَّوِّ كزِيَادَةُ الْمَاءِ في أَصُولِ الْحَنْظَلِ الْمَرُّ كُلَّمَا أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَارَةً .

وفي قول الله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم ﴾ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنْ حِفْظَ الْعِلْمِ عَنْ مَنْ يُفْسِدُهُ وَيَسْتَضِرُّ بِهِ أَوَّلَى .

وقال بعضُ العلماء وهذا كله صحيح مُجَرَّبٌ فِينبغي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِهَذَا وَلَا يُهْمِلَهُ بَلْ يُرَاعِيهِ وَيُمَثِّلُهُ وَلَا عِيرَةَ بِمَا يَتَوَهَّمُهُ في تعليمهم مِنْ وُجُودِ مَصَالِحٍ على تقدير حُصُولِ تَوْفِيقِ اللَّهِ تعالى لَهُمْ لَأَنْ يَعْمَلُوا بِبَعْضِ مَا يَتَعَلَّمُونَهُ

من العلم الصحيح إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك .
فإن المفاسد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفاسد التي
تتعدى إلى غيرهم أكثر .

ومن القواعد المقررة (أن ذرة المفاسد أولى من جلب المصالح) .
أما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم
الفايدة اللئيمة بما يطلبونه من العلم لأنهم يتوسلون به إلى مطالبهم الدنيوية على
غاية الكمال والتمام ، فهم بالحقيقة يجعلونه كالشبكة والفخ يصطادون به حطام
الدنيا .

فإذا استشعروا بذلك توجهوا بهمهم إليه وعكفوا بالجد والاجتهاد
عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فإذا حصلوا على شيء من ذلك
وظهر مخايل وصوهم إلى أغراضهم الدنيوية فرحوا بذلك .
وهذا الفرح والاعتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا
وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وبعدها عن التأثير بالمواعظ
والحكم كما قيل : إذا قسى القلب لم تنفعه مؤعدة

كالأرض إن أسبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها الذميمة وتظهر آثار ذلك
على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون إليها وإلى من هي عنده من
المترفين وليس لهم ما يتوسلون به إليهم سوى علمهم فيختالون على تحصيل
إقبالهم عليهم وصرف وجوهم إليهم بالتفنن عندهم بأنواع الحيل .
ولا يسلمون في ذلك من الرياء والنفاق والتصنع والدهان والكذب
والغيبة ويجرهم ذلك إلى أنواع من المحرمات وصنوف من العصيان مع ما يحل
بهم من الدل والإهانة ونحو ذلك .

وأما الفساد الذي يتعدى منهم إلى غيرهم فهو وقوع الاغترار للجهلة

والأغمارِ والمُعْظِلِينَ بِمُشَاهَدَةِ خَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُشَاهِلُونَهُمْ قَدْ حَازُوا مِنْ رَبِّ الدُّنْيَا مَا أَرَادُوهُ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ نَالُوا شَرَفَ الْآخِرَةِ بِمَا أَفَادُوهُ وَاسْتَفَادُوهُ فَيَقْتَدِي بِهِم الْجَهْلَةُ وَالْأَغْمَارُ وَالْمُعْظِلِينَ .

فَيَقْعُوا فِيهَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ أَوْ يُودِعَهُمْ ذَلِكَ إِلَى تَعْظِيمِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَمَوَالِيَتِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ أَرْبَاباً يَسْتَمْعُونَ مِنْهُمْ وَيَطِيعُونَهُمْ فِي أَوْامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ .
ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِمْ اسْتِخْسَانُ خَالِهِمْ إِلَى الدَّاءِ الدِّينِ وَهُوَ مُسَارَقَةُ طِبَاعِهِم الدَّيْنِيَّةَ وَأَخْلَاقِهِم الرَّدِيقَةَ فَإِنَّ نَفْسَ الْعَامَّةِ قَابِلَةٌ لِلذَّكَ وَمُهِيَاةٌ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الصَّبِيِّ الَّذِي تَرَسَّخَ فِيهِ الْأَخْلَاقُ عَنْ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ .

قال عبد الله بن المبارك :

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَجْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهُمَا
فَبَاعُوا النُّفُوسَ وَلَمْ يَرْبُحُوا وَلَمْ تَغْلُ فِي الْبَيْعِ أُمَّتُهُمَا
لَقَدْ رَنَّ الْقَوْمُ فِي جَيْفَةٍ يَبِينُ لِذِي الْعَقْلِ انْتَائُهُمَا
(فـصـل)

مَجَامِعُ الْهَوَى خَمْسٌ وَهِيَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ .
وَالْأَعْيَانُ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْهَا هَذِهِ الْخَمْسَةُ سِتَّةٌ يَجْمَعُهَا قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقْدُسُ ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْمُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .
(فَائِدَةٌ)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هوان الدنيا وتحقارتها أن الله

أَخْرَجَ أَطْيَبَهَا مِنْ نَحْسَائِهَا فَالِدُنْيَا سَبْعَةُ أَشْيَاءَ : مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَلْبُوسٌ
وَمَشْمُومٌ وَمَنْكُوحٌ وَمَسْمُوعٌ وَمُبْصَرٌ .

أَمَّا الْمَأْكُولَاتُ فَأَشْرَفُهَا الْعَسَلُ وَهُوَ لُعَابُ ذَبَابٍ وَأَطْيَبُ الْمَشْرُوبَاتِ الْمَاءُ
وَيَسْتَوِي فِي شُرْبِهِ الْأَدَمِيُّ وَالْكَلْبُ وَالْخَنَزِيرُ وَالْجِمَارُ .

وَأَفْضَلُ الْمَلْبُوسَاتِ الْحَرِيرُ وَالْإِبْرَيْسِمُ وَهُوَ لُعَابُ دُوْدَةٍ وَأَشْرَفُ الْمَنَاجِحِ
النِّسَاءُ وَحَقِيقَتُهَا مَبَالٌ فِي مَبَالٍ وَأَشْرَفُ الْمَشْمُومَاتِ الْيَسْكُ وَهُوَ دَمٌ غَزَالٍ
وَالْمَسْمُوعُ وَالْمُبْصَرُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ .

قَدْ أَوْلَعَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بَارَبَعَةَ أَكَلٍ وَشُرْبٍ وَمَلْبُوسٍ وَمَنْكُوحٍ
وَعَايَةَ الْكُلِّ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ إِلَى رَوْثٍ وَبَوْلٍ وَمَطْرُوحٍ وَمَفْضُوحٍ

فَإِنْ قِيلَ مَا السَّبَبُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا وَالتَّكَالُبِ عَلَيْهَا مَعَ كَثْرَةِ
هَمِّهَا وَغَمِّهَا وَأَنْكَادِهَا فَالْجَوَابُ قِلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِعَيْبِهَا فَلَوْ كَشَفَ الْغَطَاءَ لَهَرَبُوا
مِنْهَا فَإِنْ قِيلَ مَا سَبَبُ زَهْدِ الْأَمْرَاءِ فِي أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ وَرَغْبَةِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عِنْدَ
الْأَمْرَاءِ قِيلَ سَبَبُ زَهْدِهِمْ لِقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَأَمَّا رَغْبَةُ الْعُلَمَاءِ
فَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

عُمِرَ الْإِنْسَانُ مَبْدَانًا لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ لَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ
الثَّوَابَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الَّتِي يَكْدُحُ الْعَبْدُ وَيَسْتَعِي مِنْ أَجْلِهَا
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا مَا سَعَى كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُ مِنَ الْعُمَرِ خَالِيًا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ
بِقُدْرِهِ وَلَا يَوْضَعُ لَهُ مِنْهُ وَلِهَذَا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنْفُسِهِمْ
وَلِحَظَاتِهِمْ وَبَادَرُوا إِلَى اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهِمْ وَسَاعَاتِهِمْ وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُمْ فِي الْبَطَالَةِ
وَالْتَقْصِيرِ وَلَمْ يَقْنَعُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَوْلَاهُمْ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ .

وَلَا يَذْهَبُ الْعُمَرُ مِنْكَ سَهْلًا وَلَا تُغْنِيَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكْبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ

وقال رجل لعامر بن قيس وهو يريد الجمعة قف حتى أكلمك فقال لولا
أنني أبادر لوقفت لك قال وما تبادر قال أبادر لخروج رُوحِي وجلس آخر إلى
رجل ممن عرفوا قيمة الوقت يريد أن يتحدث معه فقال أنا في شغل اذهب إلى
أمثالك ممن لا يعرفون قيمة الوقت فانصرف .

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق في غير واجب
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك

فيها ما فات ويحيي ما أمان) وفي هذا المعنى قال النازم :
بَقِيَّةُ الْعُمُرِ عِنْدِي مَا لَهَا ثَمَنٌ وَإِنْ غَدَا لَيْسَ مَحْسُوبًا مِنَ الزَّمَنِ
يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءُ فِيهَا كُلَّ فَائِتَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ
سَبَّ رَجُلٍ الشُّعْبِي بِقَبَائِحَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ فَقَالَ الشُّعْبِي : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا
فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي .

وقال رجل للأحنف بن قيس : إِنْ قُلْتُ لِي كَلِمَةً اسْمَعْتُكَ عَشْرًا فَقَالَ
الْأَحْنَفُ : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِي عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً .

وقال رجل لأبي بكر لأُسْبُنْكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
يَدْخُلُ مَعَكَ وَلَا يَدْخُلُ مَعِي .

وقال رجل لبغض الصالحين إِنْ فَلَانَا يَقَعُ فِيكَ وَيَذْكُرُ فِيكَ أَشْيَاءَ حَتَّى
رَحِمْتُكَ مِنْهَا فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ قَالَ لَا قَالَ فَإِيَّاهُ فَارْحَمْ .

وَوَقَعَ فَخَرُ الْمُلْكِ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ سَعَى بِرَجُلٍ : السَّعَايَةُ قَبِيحَةٌ وَلَوْ كَانَتْ
صَحِيحَةً فَلَيْنَ كُنْتُ أَخْرَجْتُهَا بِالنُّصْجِ فَعُخْرَانُكَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنَ الرِّبْحِ وَإِنَّا لَا
نَدْخُلُ فِي مَحْظُورٍ وَلَا نَسْمَعُ قَوْلَ مَهْتُوكٍ فِي مَسْتَوْرٍ .

ولولا أنَّكَ فِي خَفَارَةِ شَيْبِكَ لَقَابَلْنَاكَ عَلَى جَرِيرَتِكَ مُقَابَلَةً تُشْبِهُ أَعْمَالَكَ
وَتُرْوَعُ أَمْثَالُكَ فَاسْتَرْ عَلَى نَفْسِكَ هَذَا الْعَيْبَ وَاتَّقِ مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لِلصَّالِحِ وَالطَّالِحِ بِالْمَرْصَادِ .

وَكَتَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ إِنْ فَلَانًا قَدْ تَوَفَّى وَخَلَّفَ مُحْسِنٌ
أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَّفَ طِفْلاً فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
يَسْتَقْرِضُ هَذَا الْمَالَ إِلَى وَقْتِ بُلُوغِ الصَّبِيِّ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ ضَيَاعَهُ فَعَلَّ فَكَتَبَ عَلَى
ظَهْرِ السُّعَايَةِ «أَمَّا الْمَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالطِّفْلُ جَبْرَةُ اللَّهِ وَالْمَالُ ثَمَرَةُ اللَّهِ
وَالسَّاعِي لِعَنَةِ اللَّهِ وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى مَالِ الْيَتَامِ» .

وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ إِيَّاكَ أَغْنَى فَقَالَ وَعَنْكَ أَغْضَى .
وقال الفضيل : الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليك بذلك وهو
الذي يَسْتَمِدُّ الْغِيْبَةَ إِذَا سَمِعَهَا . قُلْتُ وَلَأنَّهُ جَعَلَ اسْمَ اللَّهِ وَتَنْزِيهَهُ آلَةً فِي
تَحْقِيقِ حُجَّتِهِ وَلَأنَّ فِي ذَلِكَ تَنْبِيْهُ لِلْغَافِلِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَزِيَادَةُ نَشَاطٍ لِلْمُغْتَابِ .
وقيل إِذَا رَأَيْتَ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ وَيَقَعُ فِي أَعْرَاضِهِمْ فَاحْرَصْ عَلَى أَنَّهُ
لَا يَعْرِفَكَ فَاشْقَى النَّاسِ بِهِ مَنْ عَرَفَهُ وَالسَّالِمُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْغِيَابُ .
جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْخَيْرَ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا وَلَا بَيْنَهُ وَدُّ بِهِ نَتَعَرَّفُ
فَمَا سَأَمْنَا ضَيْمًا وَلَا شَفْنَا أَدَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ نَوَدُّ وَنَعْرِفُ

(فَائِدَةٌ فِي مُعَالَجَةِ حُبِّ الدُّنْيَا الْمُسْتَعْرِقِ لِلْوَقْتِ)

إِعلم أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يَنْدُرُ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ وَهُوَ يَنْبَغُ مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ يَقُولُ الْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَفْعَلُ غَدًا كَذَا وَبَعْدَ غَدٍ سَأَفْعَلُ وَأَتَمَتَّعُ بِالدُّنْيَا
وَالْتَوْبَةُ مَفْتُوحَةٌ بِأُفْهَامِهَا وَتَتِمَّادَى بِهِ الْأَيَّامُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ
وَتَشْتَعِبُ آمَالُهُ إِلَى أَنْ يَنْسَى أَنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُبْعِدُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَيُذْنِبُهُ مِنَ
الْآخِرَةِ .

وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِبُ الْمَنَائِمَا لِلنَّفُوسِ فَتَقْرُبُ
وَلَكِنْ مِنَ الْعِلَاجِ النَّافِعِ أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ لَيْسَ بِيَدِي فَكَيْفَ اعْتَمَدْتُ عَلَى

الحياة فَرُبَّمَا قَضَى والموتُ لا يَتَأَخَّرُ بِكَرَاهَتِي قال الله جل وعلا ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ .

ومن ذلك أن يقول هَبْنِي جَمَعْتُ الدُّنْيَا أَلَيْسَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَتْرُكُ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ عَنْهُ وَيَتَمَتَّعُ فِيهِ غَيْرِي فَلَمَّا لَا أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعُ الدُّنْيَا لَغَيْرِي وَأَبُوءُ بِحِسَابِهَا وَاضْطَرَّارِهَا . وَأَكُونُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

كَدُوْدٌ كَلُوْدُ الْقَرْ يُنْسِجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطَ مَا هُوَ نَاسِجُ
آخِرُ : وَذِي جِرْصٍ تَرَاهُ يُلْمُ وَفَرًا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَائِرُ فَرِيْسَتِهِ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ
ومن العلاج أن يَعْلَمَ أن مَنْ كَانَتْ دُنْيَاهُ أَكْثَرَ حَسْرَتُهُ أَشَدَّ وَخَوْفُهُ أَعْظَمَ
بِخِلَافِ مَنْ كَانَ أَخَفَّ مِنْهُ دُنْيَاً فَأَمْرُهُ أَسْهَلُ فَصَاحِبُ الْأَلْفَيْنِ أَشَدُّ حِسَاباً مِنْ
صَاحِبِ الْأَلِفِ وَهَلُمَّ جَرًّا .

ومن العلاج زِيَارَةُ الْمَقَابِرِ وَالنَّظَرُ فِي مَصَارِعِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْأَخْوَةِ
وَالْأَخَوَاتِ وَسَائِرِ الْقَرَابَاتِ وَالْأَقْرَانِ وَالزُّمَلَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَيَزُورُ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ
وَالْمَرْضَى وَالسَّجُونَ وَالْمُسْتَوْصِفَاتِ لِيَشْكُرَ اللَّهُ عَلَى نِعْمَةِ الْعَظِيمَةِ .

تَزَوَّدُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلٌ وَبَادِرُ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ
آخِرُ : خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَهُمْ نَحْوَ الْمَنَآيَا الْمَقَادِرُ
وَحَلُّوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمُّهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْحَقَائِرُ
آخِرُ : وَعَظَمْتَ أَجْدَاثَ وَهْنٍ صُمُوتٍ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتٍ
أَيَا جَمَاعِ الدُّنْيَا وَمُهْمِلٍ نَفْسِهِ لِمَنْ تَجَمَّعَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

ومن العلاج أن يَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَى جِسْمِهِ وَانْحِلَالِ قُوَّاهُ وَاشْتِعَالِ الشَّيْبِ
الَّذِي هُوَ بَرِيْدُ الْمَوْتِ وَضَعِيفُ نَظَرِهِ وَسَمْعِهِ وَتَقَارُبِ خُطَاهُ وَسُقُوطِ أَسْنَانِهِ .

تَسَاقَطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعُفُ نَاطِلٌ وَتَقْصُرُ خُطَوَاتُ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ الرُّسُلُ أَعْلَمُ مِنِّي قَبِعُوا بِالْقُوَّةِ وَرَضُوا بِالْكَفَافِ
وَمَا طَلَبُوا الدُّنْيَا فَلَمَّا ذَا أَنْهَيْكَ فِيهَا وَأَحْرِقْ نَفْسِي وَأَغْفُلْ عَنِ مَا قُدَّامِي مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ الَّتِي أَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ .

أَيُّ الْمُلُوكِ أَيْنَ الْجَبَابِرَةِ أَيْنَ الطُّغَاةِ وَأَعْوَانُهُمْ انْظُرِي يَا نَفْسُ هَلْ يَبْقَى
مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ تَفَرِّضُ أَنَّكَ مَلَكَتِي. الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَصَفَا لَكَ
عَذْبُهَا وَلِأَلْهَا وَادْرِكْتَ الْأَمَانِي أَلَيْسَ آخِرَ ذَلِكَ الْمَوْتُ وَعَاقِبَتُهُ الْفَوْتُ فَلَمَّا ذَا
تُحْرِقُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ مَا هُوَ عَارِيَّةٌ وَوَدِيعَةٌ وَلَا تَذْهَبُ إِلَّا بِالْكَفَنِ فَقَطْ .

فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طَوْلَ عُمُرِهِ وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَارِفِ تَحْدَعُ
أَفِقْ وَانْظُرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَائِعَ تَرْجِعُ
آخِرُ :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

آخِرُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنتَ مِثْلُ النَّاسِ مِعْرُورٌ

وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسَ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورٌ

آخِرُ : لَمَّا تُؤْذِنُ النَّيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُؤَلَّدُ

آخِرُ : نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرُ كُلَّهُ رِذَاآنٍ تُطْلَوِي فِيهِمَا وَخُسُوطُ

(فصل)

عن إبراهيم التيمي قال يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَحْزَنُ أَنْ يَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ
النَّارِ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ » وَيَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ
يُشْفِقْ أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا « إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ » .

وعن الفضيل بن عياض قال قيل لِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ أَنْتَ وَأَنْتَ أَيْ يُشْتَوْنَ عَلَيْهِ قَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا فَإِنِّي لَا أَذَرِي مَا يَتْلُو لِي مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جَزَعَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقِيلَ لَهُ لِمَ تَجَزَعُ فَقَالَ أَخْشَى آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتْلُو لِي مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ أَكُنْ أَحْتَسِبُ .

قلت وفيه آيات أخرى ينبغي أن تكون نُصِبَ عَيْنِي الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تَبْلُغُوا كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّآخِرِينَ﴾ وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

وقال عَبْدُ الْأَعْلَى التَّيْمِيُّ شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَّةُ الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وعن أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ أَوْى أَبُو مَيْسَرَةَ عَمْرُو بْنُ شَرْحِبِيلَ إِلَى فَرَاشِهِ فَقَالَ يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي فَقَالَتْ لَهُ إِمْرَأَتُهُ أَبَا مَيْسَرَةَ أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ هَذَاكَ لِلْإِسْلَامِ وَقَعَلَ بِكَ كَذَا قَالَ بَلَى وَلَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَا وَإِرْدُونَ عَلَى النَّارِ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّا صَادِرُونَ عَنْهَا .

وقال الحسنُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُصْبِحُ حَزِينًا وَيُمْسِي حَزِينًا وَيَنْقَلِبُ بِالْيَقِينِ فِي الْحُزْنِ وَيَكْفِيهِ مَا يَكْفِيهِ الْعُنِيزَةُ الْكَفُّ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّرْبَةُ مِنَ الْمَاءِ .

وقال حبيبُ ابن أبي ثابت ما استقرضتُ من أحد شيئاً أحبُّ إلى من نفسي أقولُ لها أمهلي حتى يَجىء من حيث أحبُّ .
شعراً :

إذا رُميتَ أن تُستقرِضَ المالَ مُنفقاً على شهواتِ النفسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلِّ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلُّ مَنْوَعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ
وقال الثوري ما ضرَّهم ما أصابهم في الدنيا جَبَر الله لهم كُلَّ مُصِيبَةٍ
بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال
له مِسْعَرُ بْنُ كُدَّامٍ ما يُبْكِيكَ قال وأيُّ مُصِيبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُؤْمَلَ فِيكَ رَجُلٌ
خيراً فلا يُصِيبُهُ عِنْدَكَ .

وبكى ثابتٌ حتى كَادَتْ عَيْنُهُ تَذْهَبُ فجاءوا برجل يُعَالِجُهَا فقال الرجلُ
أَعَالِجُهَا عَلَى أَنْ تَطِيعَنِي قال وأيُّ شَيْءٍ قال على أَنْ لَا تُبْكِي قال فما خَيْرُهُمَا
إِنْ لَمْ تُبْكِيَا وَأَيُّ أَنْ يُعَالِجَهَا .

وكان شقيقُ بن سلمة إذا صَلَّى فِي بَيْتِهِ يَنْشُجُ - أَيُّ يَحْشَعُ وَيَبْكِي - ولو
جُعِلَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَى أَنْ يَفْعَلَهُ وَأَحَدٌ يَسْمَعُهُ أَوْ يَرَاهُ مَا فَعَلَهُ - أَيُّ يَحْشَى مِنْ
الرَّيَاءِ . رَوَى شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الرَّيَاءُ» .

وكان عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ بْنُ فَرْقَدٍ يَخْرُجُ عَلَى فَرَسِهِ لَيْلاً إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَيَقِفُ
عَلَى الْقُبُورِ فيقولُ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ قَدْ طَوَيْتُ الصُّحُفَ وَقَدْ رُفِعَتِ الْأَعْمَالُ ثُمَّ
يَبْكِي وَيَصِفُ قَدَمَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ فَيَرْجِعَ فَيَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ .

وقالت امرأةُ حسانَ بنِ سنانٍ كان يَجِيءُ فَيَدْخُلُ مَعِيَ فِي فِرَاشِي ثُمَّ
يُخَادِعُنِي كَمَا تُخَادِعُ الْمَرْأَةَ صَبِيهَا فَإِذَا عَلِمَ أَنِي تُمْتُ سَلَّ نَفْسَهُ فَخَرَجَ ثُمَّ يَقُومُ
فِيصَلِّي قَالَتْ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَمْ تُعَذِّبُ نَفْسَكَ أَرْفُقُ بِنَفْسِكَ فَقَالَ
اسْكُنِي وَيَحَلِكِ فَيُوشِكُ أَنْ أَرْقُدَ رَقْدَةً لَا أَقُومُ مِنْهَا زَمَاناً .

عن عبد الله بن المبارك قال حدثنا وهيبُ قال ما اجتمع قومٌ في مجلسٍ أو مَلَأٌ إلا كان أولاهم بالله الذي يَفْتَتِحُ بذكر الله حتى يُفَيْضُوا في ذِكْرِهِ وما اجتمع قومٌ في مجلسٍ أو مَلَأٌ إلا كان آخدهم من الله الذي يَفْتَتِحُ بالشر حتى يخوضوا فيه وفي الحديث طُوبَى لِمَنْ كان مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِغْلَقاً لِلْشَّرِّ وَوَيْلٌ لِمَنْ كان مِفْتَاحاً لِلْشَّرِّ مِغْلَقاً لِلْخَيْرِ .

« فصل »

كتب عُمرُ بنُ عبدالعزيز إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلى بشيءٍ من رَسَائِلِ عُمرَ بن الخطاب فَكَتَبَ أن يَا عُمرَ اذكر الملوك الذين تَفَقَّأَتْ أَعْيُنُهُم الذين كَانَتْ لَا تَنْقُضِي لَدَائِهِمْ وَانْفَقَّأَتْ بَطُونُهُم الَّتِي كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ بِهَا وَصَارُوا جِيْفًا فِي الْأَرْضِ وَتَحْتَ أَكْتافِهَا أن لو كانت إلى جَنْبِ مِسْكِينٍ لَتَأْذَى بِرِيحِهِمْ .

وقال بلالُ بنُ سَعْدٍ رَبُّ مَسْرُورٍ مَعْبُودٍ وَرَبُّ مَعْبُودٍ لَا يَشْعُرُ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَهُ الْوَيْلُ وَلَا يَشْعُرُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَضْحَكُ وَيَلْعَبُ وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ فِي قَضَاءِ اللَّهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

عن عون بن عبد الله بن عُثْبَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَا وَنَحْ نَفْسِي كَيْفَ أَغْفَلَ وَلَا يُغْفَلُ عَنِّي أَمْ كَيْفَ تَهْنِئُنِي مَعِيشَتِي وَالْيَوْمُ الثَّقِيلُ وَرَأَيْتِي أَمْ كَيْفَ يَشْتَدُّ عَجْجِي بِدَارٍ فِي غَيْرِهَا قَرَارِي .

وكان ذَاوُدُ الطائِي فِي دَارٍ وَاسِعَةٍ خَرِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا بَيْتٌ وَلَيْسَ عَلَى بَيْتِهِ بَابٌ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَنْتَ فِي دَارٍ وَخَشَةَ فَلَوْ اتَّخَذْتَ لَبَيْتِكَ هَذَا بَاباً أَمَا تَسْتَوْجِشُ فَقَالَ حَالَتْ وَخَشَةُ الْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ وَخَشَةِ الدُّنْيَا .

وقال محمدُ بنُ كعبٍ : الدُّنْيَا دَارٌ فَنَاءٍ مَنَزَلُ بُلُقَةٍ رَغِبَتْ عَنْهَا السُّعْدَاءُ وَأَسْرَعَتْ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ فَأَشْقَى النَّاسِ بِهَا أَرْغَبُ النَّاسِ فِيهَا وَأَسْعَدُ النَّاسِ فِيهَا أَزْهَدُ النَّاسِ بِهَا هِيَ الْمَعْدِبَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا الْمُهْلِكَةُ لِمَنْ اتَّبَعَهَا الْخَائِنَةُ لِمَنْ

انقاذ لَهَا عِلْمُهَا جَهْلٌ وَغِنَاؤُهَا فَقْرٌ وَزِيَادَتُهَا نُقْصَانٌ وَأَيَّامُهَا دُؤْلٌ .
وعن بكر بن محمد قال : قُلْتُ لِداود الطائي أوصيني قال : عَسْكَرُ المَوْتِ
يَنْتَظِرُونَكَ .

وقال أبو حازم : مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا لَمْ يَفْرَحْ فِيهَا بِرِخَاءٍ وَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى
بَلْوَى .

وقال ابنُ المبارك : أَهْلُ الدُّنْيَا تَحْرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَّمُوا أَطِيبَ
مَا فِيهَا قِيلَ لَهُ وَمَا أَطِيبُ مَا فِيهَا قَالَ المَعْرِفَةُ بِاللهِ عِزَّ وَجَل .

وقال شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَسْبَابَهُ
وَلَمْ تَرَوْا مِنَ الشَّرِّ إِلَّا أَسْبَابَهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِحَذَائِفِرِهِ فِي الْجَنَّةِ وَالشَّرُّ كُلُّهُ بِحَذَائِفِرِهِ فِي
النَّارِ وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرْضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْآخِرَةُ وَغَدٌ صَادِقٌ يَحْكُمُ
فِيهَا مَلِكٌ قَاهِرٌ وَلِكُلِّ بَنَوْنٍ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا .

وقال عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ ااعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ فِي هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ فَإِنَّ
الْمَغْبُونَ مَنْ غُيِبَ خَيْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهُمَا وَإِنَّمَا جُعِلَ سَبِيلُ
لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَوَبَالاً عَلَى الْآخِرِينَ لِلْعَقَلَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَأَحْيُوا اللَّهَ
أَنْفُسَكُمْ بِذِكْرِهِ .

فإنما تَحْيَا القُلُوبَ بِذِكْرِ اللهِ كَمْ مِنْ قَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي
حُفْرَتِهِ وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُولِ نَوْمِهِ عِنْدَ مَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ
اللهِ عِزَّ وَجَلَّ لِلْعَابِدِينَ غَدًا فَاغْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ .

وقال رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي أوصيني فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَخِي إِنَّمَا
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاجِلُ تَنْزِلُ بِالنَّاسِ مَرَحَلَةٌ مَرَحَلَةٌ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ
سَفَرِهِمْ فَإِنْ اسْتَطِيعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَحَلَةً زَاداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَافْعَلْ .
فإنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ وَالْأَمْرَ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ
وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَعَثْتَكَ إِنِّي لأَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ
أَحَدًا أَشَدَّ تَضَيُّعًا مِنِّي لِذَلِكَ ثُمَّ قَامَ .

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بالفي درهم وقال هذا شيء جاء الله به
لم تطلبه ولم تشتره له نفسك قال داود إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك
منه قال لعل تركه أن يكون أنجى .

وقال محمد بن واسع : لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع
رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خدّه من دُموعه لا تشعر به امرأته
ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دُموعه على خدّه
ولا يشعر به الذي إلى جنبه .

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث
ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل لا يغفل عنه وضاحك ملء فيه
لا يدري أمس خط ربه أم مرضيه .

وأبكاني ثلاث فرقة الأجيّة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات
الموت والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى
الجنة .

وقال أحد السلف لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل
أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقول ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في النار أعالج أغلالها وسعيرها وآكل
من زقومها وأشرب من حميمها فقلت يا نفس أي شيء تشتهين قالت أرجع
إلى الدنيا أعمل عملاً أنجو به من هذا العذاب .

ومثلت نفسي في الجنة مع حورها ألبس من سندسها واستبرقها وحريرها
فقلت يا نفس أي شيء تشتهين قالت أرجع إلى الدنيا فأعمل عملاً أزداد به من
هذا الثواب فقلت الآن أنت في الدنيا وفي الأمانة . والله أعلم وصلى الله على
محمد وآله وسلم .

(فصل)

كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض مَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ وَمَنْ أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وقال محمد بن كعب القرظي إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِلَالٍ : فِقْهٍ فِي الدِّينِ وَزَهَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَبُصْرٍ بِمُعْيُوبِهِ .

وقال الحسن بن صالح : العملُ بالحسنة قُوَّةٌ فِي الْبَدَنِ وَنُورٌ فِي الْقَلْبِ وَضَوْءٌ فِي الْبَصَرِ وَالْعَمَلُ بِالسَّيِّئَةِ وَهَنٌ فِي الْبَدَنِ وَظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ وَعَمَى فِي الْبَصَرِ .

وَكَتَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعْظُمُهُ : اِحْتِمَالُ الْمُؤْنَةِ الْمُنْقَطِعَةِ الَّتِي تَعْقِبُهَا الرَّاحَةُ الطَّوِيلَةُ خَيْرٌ مِنْ تَعَجُّلِ رَاحَةٍ مُنْقَطِعَةٍ تَعْقِبُهَا مُؤْنَةٌ بَاقِيَةٌ وَنَدَامَةٌ طَوِيلَةٌ .

واعلم أن الهول الأعظم أمامك ومن وراء ذلك داران إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه وكأنك بالدنيا لم تكن وبالأخرة لم تزل .

وكتب أحدُ عمال عمر بن عبدالعزيز إليه « إِنْ مَدِينَتُنَا قَدْ تَهَدَّدَتْ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ يَقْطَعَ لَنَا مَالاً تُرْمِيهَا بِهِ فَعَلْ فَكُتِبَ عُمَرُ إِلَيْهِ إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ وَتَقِ طَرَفَهَا مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّهُ عِمَارَتُهَا .

وَقِيلَ لِلدِّينِ وَالْمُلْكِ أَخَوَانُ تَوْأَمَانِ لَا قَوَامَ لِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ لِأَنَّ الدِّينَ أَسَاسُ الْمُلْكِ ثُمَّ صَارَ الْمُلْكُ بَعْدَ حَارِسٍ لِلدِّينِ فَلَا بُدَّ لِلْمُلْكِ مِنْ أَسَاسٍ وَلَا بُدَّ لِلدِّينِ مِنْ حَارِسٍ وَمَا لَا حَارِسَ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ وَمَا لَا أَسَاسَ لَهُ فَهُوَ مَهْلُومٌ .

كان جماعة من الملوك يُوعَظُونَ فَيُؤَثِّرُ الْوَعْظُ فِي قُلُوبِهِمْ فَيَخْرُجُونَ مِنْ

مُلْكِهِمْ وَذُيَاهُمْ وَيَزْهَدُونَ وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَعْلَمُ انْقِطَاعَ الدُّنْيَا عَنْهُ وَقَرَّبَ رَحِيلَهُ مِنْهَا وَيَخَافُ شِدَّةَ الْحِسَابِ وَأَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ فَيَنْفِرُ مِنَ الدُّنْيَا وَيَزْهَدُ فِي الْوَلَايَةِ وَكُلُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ مَنْ مَضَى لِأَبَدٍ أَنْ يَتَأَثَّرَ وَيَتَجَالَى عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ مُقَلٌّ وَمُكْثَرٌ إِلَّا مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ .

شعراً :

يَا خُذْ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْلًا وَسُدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُتُّ الْجَنَدِلِ
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَتَذَمَّنْ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
قَالَ تَعَالَى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ .
قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُمْ يَرُونَهُ بَعِيدًا وَرَأَاهُ قَرِيبًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ .

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينا رجل من كان قبلكم في مملكته تفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن الذي هو فيه قد شغله عن عبادة ربه تعالى فخرج ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره فألقى ساحل البحر وكان يضرب اللين بالأجرة فيأكل ويتصدق بالفضل من قوته فلم يزل كذلك حتى رُفِعَ أمره إلى ملك تلك الناحية .

فأرسل الملك إليه أن يأتيه فأبى فأعاد إليه الرسول فأبى وقال ماله وإيائي فركب الملك فلما رآه الرجل ولى هارباً فلما رأى ذلك الملك جَدُّ في أثره فلم يدركه فناداه يا عبد الله إنه ليس عليك مِنِّي بَأْسٌ فَأَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ .
فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ صَاحِبُ كَذَا وَكَذَا
فَقَالَ وَمَا شَأْنُكَ فَقَالَ تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ عَنِّي لَا مَحَالَةَ وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَالَ مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي فَتَزَلَّ عَنْ دَائِرَتِهِ فَسَيَّهَا وَإِلَى نِيَابِهِ
فَالْقَى بِهَا ثُمَّ اتَّبَعَهُ فَكَانَا جَمِيعاً فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَهُمَا جَمِيعاً فَمَاثَا قَالَ بُنْ
مَسْعُودَ وَلَوْ كُنْتُ بِرَمْلِيَّةٍ مِصْرَ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَيْهِمَا بِالنُّعْتِ الَّذِي نَعْتُ لَنَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْمْ نَفْسٍ شَجِيحَةٍ عَلَى الْخَيْرِ قَدْ أَضْنَى فَوَادِي عِلَاجُهَا
إِذَا سَأَلْتَنِي شَهْوَةً قَدْ مَنَعْتَهَا أَدَامَتْ سُؤَالِي وَاسْتَمَرَّ لَجَاجُهَا
وَإِنْ سُمِّتُهَا خَيْرًا تَفُوزُ بِنَفْعِهِ غَدًا تَفَرُّثُ مِنِّي وَدَامَ الزَّرْعَاجُهَا
فَقَدْ ضَيَّقْتُ يَامُولَايَ ذَرْعًا وَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَرْضِي الْوَاسِعَاتِ فَجَاجُهَا
فَهَبْ لِي يَا ثَوَارِ السَّمَوَاتِ فِطْرَةً يُضِيءُ لِعَيْنِي فِي السُّلُوكِ سِرَاجُهَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : ثم أعلم أن الدنيا بأسرها وبجميع لذاتها لا تُساوي في باب
السَّعَادَةِ واللَّذَةِ الرُّوحِيَّةِ شَيْئاً قَالَ الْأَمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَابَ الدُّنْيَا مَنْ
حَذَرَهَا وَأَصَابَتْ مَنْ أَمِنَهَا وَقَالَ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ وَلَا
تَحْلُو مِنْ فِتْنَةٍ وَلَا تَكْشِفُ إِلَّا عَنْ مِحْنَةٍ .

فَأَعْرِضْ بِقَلْبِكَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْكَ وَاسْتَبْدِلْ بِهَا خَيْراً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ
تَسْتَبْدِلَ بِكَ فَإِنْ نَعِمَ بِهَا مَتَحَوَّلَ وَأَحْوَالُهَا مُتَنَقِّلَةٌ وَلَذَائِهَا فَانِيَةٌ وَتُبْعَاتُهَا بَاقِيَةٌ .
وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ كَيْنَ مَسُّهَا قَاتِلٌ سُمُّهَا فَاقْتَصِدْ فِيمَا
يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْنَحُكَ مِنْهَا وَكُنْ أَحَذَرُ مَا تَكُونُ لَهَا وَأَنْتَ آئِسٌ بِهَا
فَإِنْ صَاحَبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ اشْخَصَ ذَلِكَ إِلَى مَكْرُوهِهِ أَوْ غُرُورٍ .
وَقَالَ آخَرُ : وَجُمَلْتُ الْأَمْرَ أَنْكَ إِذَا نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ أَيْهَا الرَّجُلُ فَعَلِمْتَ
أَنَّ الدُّنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا وَأَنَّ نَفْعَهَا لَا يَفِي بِضُرِّهَا وَتَبْعَاتِهَا مِنْ كَدِّ الْبَدَنِ وَشُغْلِ
الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْحَسَابِ الطَّوِيلِ فِي الْآخِرَةِ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ
بِهِ .

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ جَدًّا زَهَدْتَ فِي فَضُولِ الدُّنْيَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهَا إِلَّا مَا لَا بَدَأَ
لَكَ مِنْهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ وَتَدْعُ التَّعَمُّعَ وَالتَّلَذُّدَ إِلَى الْجَنَّةِ دَارِ النِّعَمِ الْمَقِيمِ فِي جَوَارِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلِمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا وِفَاءَ لَهُمْ . قَالَ
الْوَاصِفُ لِحَالِ أَهْلِ وَقْتِهِ :

غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقِسْمُ

وَعَلِمْتَ أَنَّ مَوْنَةَ الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِنْ مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَغْنِيكَ وَتَرَكْتَ
مُخَالَطَتَهُمْ إِلَّا فِيمَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ تَتَنَفَّعُ بِخَيْرِهِمْ وَتَجْتَنِبُ مِنْ ضَرَرِهِمْ وَتَجْعَلُ
صُحْبَتَكَ لِمَنْ تَرْبِحُ فِي صُحْبَتِهِ وَلَا تَخْسِرُ وَلَا تَنْدَمُ عَلَى خِدْمَتِهِ وَأَنْسِكَ بِكِتَابِهِ
وَمُلَازِمَتِكَ إِيَّاهُ .

فَشَمَّرَ وَلَدًا بِاللَّهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ فِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَلِلْخَيْرِ جَامِعُ
هُوَ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَثْرُ وَالرَّجَاءُ وَمِنْهُ بِلَا شَكٍّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَهْمِهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهَتْهُ الْفَجَائِعُ

فَتَرَى مِنْهُ كُلَّ جَمِيلٍ وَإِفْضَالٍ وَتَجِدُهُ عِنْدَ كُلِّ نَائِبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا
فِي الْحَدِيثِ : (احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ وَفِي رِوَايَةٍ تَجِدْهُ
أَمَامَكَ تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ) الْحَدِيثُ .
وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ خَبِيثٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِمُعَادَاةِكَ فَاسْتَعِذْ بِرَبِّكَ الْقَادِرِ
الْقَاهِرِ مِنْ هَذَا الْكَلْبِ اللَّعِينِ وَلَا تُغْفَلْ عَنْ مَكَائِدِهِ فَتَطْرُدَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ .

فَإِنَّهُ يَسِيرُ إِذَا ظَهَرَ مِنْكَ عَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

وقال آخر ما الدنيا وما إبليس ، أما الدنيا فَمَا مضى منها فحلم وما بقى
هَامَانِي وأما الشيطان فوالله لقد أَطِيعَ فما نَفَعَ بَلْ ضُرَّ ولقد عُصِيَ فما ضُرَّ .
وعلمتْ جَهَالَةَ هذه النفس وجمَاخَهَا إلى ما يضرُّهَا ويُهْلِكُهَا فنظرت
إليها رحمةً لها نظرةَ العُقلاء والعُلَماء الذين ينظرون في العواقب .
لأنظر الجُهال والصبيان الذين ينظرون في الحال ولا يفتنون لغائلة
الأذى وينفرون من مرارة الدواء فألجمها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج
إليه بالحقيقة من فضول الكلام والنظر والتلبس بخصلة فاسدة من طول أمل أو
حسد أو كبر أو نحو ذلك .

ثم إعلم أن الشيطان قَاسَمَ أَبَاكَ وَأَمَّكَ حَوَاءَ إنه لَهُمَا لَمِنَ الناصحين وَقَدْ
عَلِمْتَ كَذِبَهُ وَغِشَّهُ ورَأَيْتَ فِعْلَهُ بهما وَأَمَّا أَنتَ فقد أَقْسَمَ أن يُغْوِيكَ قال
﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَاغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فأخذَهُ وشِمِرَ عن سَاقِ الجِدِّ في الْفِرَارِ عن
مَكَايِدِهِ والعَجَبُ مِمَّنْ يُصَدِّقُ في عِدَاوَتِهِ وَيَتَّبِعُ غَوَايَتَهُ .

والنفسُ كالطِفْلِ إن تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاكِ وَإِنْ تُفْطِنَهُ يَنْفُطِمَ
وَرَايَهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتْ المَرْعَى فَلَا تُسِيمُ
كَمْ حَسُنَتْ لَذَّةُ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَتَحَالِيفِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاعْصِيهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ التَّنْصَحَ فَاتَّهِمِ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَغَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ المَحَارِمِ وَالزَّمِّ جَمِيعَةَ النَّدَمِ
قال في الفنون مِنْ عَجِيبٍ مَا نَقَدْتُ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ كَثْرَةً مَا نَاحُوا عَلَى
تَحْرَابِ الدِّيَارِ وَمَوْتِ الْأَقَارِبِ وَالْأَسْلَافِ وَالتَّحَسُّرِ عَلَى الْأَرْزَاقِ بِذِمِّ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
وَذِكْرِ نَكْدِ الْعَيْشِ فِيهِ .

وَقَدْ رَأَوُا مِنْ انْهِيَادِ الْإِسْلَامِ وَشَعَثِ الْأَذْيَانِ وَمَوْتِ السُّنَنِ وَظُهُورِ الْبِدَعِ
وَارْتِكَابِ المَعَاصِي وَتَقْضِي الْعُمُرِ فِي الْفَارِغِ الَّذِي لَا يُجْدِي وَالْقَبِيحِ الَّذِي يُوبِقُ
وَيُؤْذِي فَلَا أَجْدَ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ عَلَى دِينِهِ وَلَا بَكَى عَلَى فَارِطِ عُمُرِهِ وَلَا آسَى عَلَى
فَائِتِ ذَهْرِهِ .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم بالأذيان وعظم الدنيا في عُيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ وينوحون على الدين ، قلت فكيف لو رأى أهل هذا الزمن الذي كثرت فيه المعاصي والملاهي وانفتحت فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن عجيب ما رأيت أنا أن أجدنا إذا ناداه أمير أو وزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لداعي الدنيا ولا يتأخر ويسمع داعي الله يدعوه إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيشاكل ولا يهيم لها وإن قام بعد التريث فكأنه مكررة يدفع إليها دفعا عكس ما عليه السلف الصالح من المبادرة والمrapطة وترك الأعمال فوراً عند ما يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجدد الصف الأول يتم قبل الأذان وقد ازداد الطين بلة بما حدث عندنا من المنكرات قتالة الأوقات ، مفرقة النفوس والأبدان ، ومشتت القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم الله .

سِيرَ المنايا إلى أعمارنا خَبَبُ	فما تبيّن ولا يعتاقها نُصَبُ
كيف النجاء وأيديها مُصَمَّمَتُ	يَذْهَبُنَا بِمَدَى لَيْسَتْ لَهَا نُصَبُ
وهل يُؤْمَلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمَعاً	سَقَرُ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رِحْلَةُ عَجَبُ
وما إقامتنا في مَنْزِلٍ هَتَفَتْ	فيه بنا مُذْ سَكَنَّا رَعَهُ تَوْبُ
وآذنتنا وقد تَمَّتْ عِمَارَتُهُ	بأنه عن قَرِيبٍ دَاثِرُ خَرَبُ
أَزْرَتْ بنا هذه الدُّنْيَا فما أُمَلُ	إِلَّا لِزَيْبِ المنايا عِنْدَهُ أَرْبُ
هذا وليست سِيَهَامُ المَوْتِ طَائِشَةٌ	وهل تَطْيِشُ سِيَهَامُ كُلُّهَا نُصَبُ
ونحنُ أغراضُ أنواعِ البَلَاءِ بها	قَبْلَ المَمَاتِ فَمَرِمِي ومُرْتَقِبُ
أَيْنَ الذين تَنَاهَوْا في انْتِثَائِهِمُ	صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا

قال ابن القيم رحمه الله كُلَّ آفَةٍ تَدْخُلُ عَلَى الْعَبْدِ فَسَبَّبُهَا ضَيَاعُ الْقَلْبِ وَفَسَادُ الْقَلْبِ يَعُودُ بِضَيَاعِ حَقِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَنَقْصَانِ دَرَجَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ .
ولهذا أَوْصَى بَعْضُ الشُّيُوخِ فَقَالَ احْذَرُوا مُخَالَطَةَ مَنْ تُضَيِّعُ مُخَالَطَتُهُ الْوَقْتَ وَتُفْسِدُ الْقَلْبَ فَإِنَّ ضَيَاعَ الْوَقْتِ وَفَسَادَ الْقَلْبِ انْفَرَطَتْ عَلَى الْعَبْدِ أُمُورُهُ كُلُّهَا وَكَانَ يَمُنُّ قَالَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ وَلَا تُطْعَمُ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا ﴾ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ حَالَ هَذَا الْخَلْقِ وَجَدَهُمْ كُلَّهُمْ إِلَّا أَقْلَ الْقَلِيلِ مِمَّنْ غَفَلَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي بِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ وَتَطْمَئِنُّ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَصَارَتْ أُمُورُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ قَرْطًا ، أَيْ قَرَطُوا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ بَلْ بِمَا يَعُودُ بِضَرَرِهِمْ عَاجِلًا وَآجِلًا .
وهؤلاء قد أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أَنْ يُطِيعَهُمْ فَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ لَا تَمَّ إِلَّا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ مَتَى تَزَوَّجْتَ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى تُولَدُ بَيْنَهُمَا كُلُّ شَرٍّ وَكَثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلَا يَفَارِقُهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ فُسَادَ أَحْوَالِ الْعَالَمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجَدَهُ نَاشِئًا عَنْ هَٰذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ فَالْغَفْلَةُ تَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ تَصَوُّرِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعِلْمُ بِهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ الضَّالِّينَ ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى يَصُدُّهُ عَنْ قَصْدِ الْحَقِّ وَإِرَادَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، فَيَكُونُ مِنَ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ فَهُمْ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ عِلْمًا وَبِالْإِنْقِيَادِ إِلَيْهِ وَإِتِّبَاعِهِ عَمَلًا وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ وَمَنْ سِوَاهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْهَلَاكِ .

ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقول كل يوم وليلة عِدَّة مرات ﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

فإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشيه ومعاديه وأن يكون مؤثراً مريداً لما ينفعه مُجتنباً لما يضره فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاتته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين .

وإن فاتته قصته واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تعرف قدر هذا الدعاء العظيم وشدت الحاجة إليه وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضيعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلك ونهارك وجدد توبتك في كل وقت .

وقسم وقتك ثلاثة أقسام قسم لطلب العلم وقسم للعمل الذي تستعين به على مصالح دنيائك وآخرتك وقسم لحقوق نفسك وما يلزمك واعتبر بمن مضى وتفكر في منصرف الفريقين بين يدي الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرام قريبه أوجب لأنه أسبق و ألصق وليس بينك وبينه جدار ولا أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهما لا تفتر على مر الساعات ولكن مقل ومكثر .

شعرا :

كُنْ لَيْنًا لِلْجَارِ وَاحْفَظْ حَقَّهُ كَرَمًا وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرَبًا
وَاحْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِزًّا لَهُ أَبَدًا وَعَمَّا سَاءَهُ فَتَجَنَّبَا

علامةٌ صحيحةُ الإرادة أن يكونَ همُّ المرِيدِ رضاءَ ربِّه واستعدادُهُ لِلِقَائِهِ وَحُزْنُهُ
على وقتٍ في غيرِ مرضاةِ ربِّه وأُسْفُهُ على قربه والآنسُ به وجماعُ ذلك أن يُصْبِحَ
ومسيَ وليسَ له همٌ غيره .

وقال : أعظمُ الإضاعاتِ إضاعتانِ هما أصلُ كلِّ إضاعةٍ إضاعةُ القلبِ
وإضاعةُ الوقتِ ، فإضاعةُ القلبِ من إثارةِ الدنيا على الآخرةِ وإضاعةُ الوقتِ من
طُولِ الأملِ .

فاجتمعُ الفسادُ كله في اتباعِ الهوى وطُولِ الأملِ والصلاخُ كُلُّه في اتباعِ
الهدى والاستعدادِ لِلِقَاءِ اللَّهِ وَاللَّهُ المستعان .

الناسُ منذُ خُلِقُوا لم يَزَالُوا مُسَافِرِينَ وليسَ لَهُمْ حَطٌّ عن رحالِهِمْ إِلَّا في الجنةِ
أو النارِ والعاقلُ يَعْلَمُ أن السفرَ مبني على المشقةِ وَرُكُوبُ الأخطارِ .

وَمِنَ الحَالِ عَادَةٌ أن يُطْلَبَ فيها نعيمٌ وَلَذَّةٌ وراحةٌ إِنَّمَا ذلك بعد انتهاءِ السفرِ
وَمِنَ المعلومِ أن كُلَّ وَطْأَةٍ قَدِمَ أو كُلِّ آيَةٍ من آثَاتِ السَّفَرِ غَيْرِ واقفةٍ ولا المكلفُ
واقفٌ . وقد ثبتُ أَنه مُسَافِرٌ على الحَالِ التي يجبُ أن يكونَ المُسَافِرُ عليها من تهيئةِ
الزَادِ المُوصِلِ وإذا نزلَ أو نامَ أو استراحَ فعَلَى قَدَمِ الاستعدادِ لِلسَّيْرِ .

قال بعضُ العلماءِ يَا إِخْوَانِي اجْتَهِدُوا في العملِ فَإِنَّ يَكُنَّ الأُمُورُ كَمَا تُرْجَوُ
من رَحْمَةِ اللَّهِ وعَفْوِهِ كَانَتْ لَنَا دَرَجَاتٌ في الجنةِ وَإِنْ يَكُنَّ الأُمُورُ شَدِيدًا كَمَا نَخَافُ
وَتُحَاذَرُ لم نَقُلْ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نقولُ قد عَمِلْنَا
فلم يَنْفَعْنَا .

وقال رجلٌ لمحمد بن المنكدر الجَدُّ الجَدُّ و الحَذَرُ الحَذَرُ فإن يكن الأمر على ما ترجون كان ما قدّمتم فضلاً وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلوّموا أنفسكم .

يَا رَبِّ صَفِّحْكَ يَرْجُو كُلُّ مُقْتَرِفٍ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَغْفُو وَمَنْ صَفِّحَا
يَا رَبِّ لَا سَبَبَ أَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ إِلَّا رَجَاءً وَلُطْفًا مِنْكَ إِنْ تَفَحَّصَا
فَمَا لَجَأْتُ إِلَى رَبِّ بِمَغْضَلَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ جَنَابَ اللَّطِيفِ مُنْفَسِحَا
وَلَا تَضَيِّقْ أَمْرًا فَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا تَفَرَّجَ بَابُ الضِّيقِ وَانْفَتَحَا
وقال بعضهم لبعض الفقراء مرة وقد رأى عليه أثر الجوع والضر : لِمَ لَا
تَسْأَلُ النَّاسَ لِيُعْطُوكَ ، قَالَ أَخَافُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ فَيَمْنَعُونِي فَلَا يُفْلِحُوا ، وَقَدْ بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ مَنَعَهُ» .

المراحل التي يَمُرُّ بها الخلق ستة :

السَّفَرُ الْأَوَّلُ سَفَرُ السَّلَاطَةِ مِنَ الطِّينِ .

السفر الثاني سَفَرُ النُّطْفَةِ مِنَ الظَّهْرِ إِلَى الْبَطْنِ .

السفر الثالث مِنَ الْبَطْنِ إِلَى الدُّنْيَا .

السفر الرابع مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْقُبُورِ .

السفر الخامس مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْعَرْضِ لِلْحِسَابِ .

السفر السادس مِنَ الْعَرْضِ إِلَى مَنْزِلِ الْإِقَامَةِ .

وقد قطعنا نصف السَّفَرِ نسأل الله الإعانة والسداد على الباقي والله أعلم
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فصل)

اختارَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعِ كُتُبٍ مِنَ التَّوْرَةِ : مَنْ رَضِيَ بِمَا أَعْطَاهُ
الله استراح في الدنيا والآخرة ، ومن الإنجيل : مَنْ هَدَمَ الشَّهَوَاتِ عَزَّ فِي الدُّنْيَا

والآخرة ، ومن الزبور : مَنْ تَقَرَّدَ عن الناس نجا في الدنيا والآخرة ، ومن الفرقان : مَنْ حَفِظَ اللسانَ سَلِمَ في الدنيا والآخرة .

وعن عبد الله بن المبارك قال إِنَّ رَجُلًا حَكِيمًا جَمَعَ الأحاديثَ فاختار منها أربعين ألفاً ثم اختار منها أربعة آلاف ثم اختار منها أربعمئة ثم اختار منها أربعين ، ثم اختار منها أربع كلماتٍ إحداهُنَّ لا تُثَقَّنُ بامرأةٍ على كل حال ، والثانية لا تُعْتَرَّ بالمال على كل حال ، والثالثة لا تُحْمَلُ مَعْدَتُكَ ما لا تطيقه ، والرابعة لا تجمع من العلم ما لا ينفَعُكَ .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال أربعة من ظلمة القلب ، بطن شعبان من غير مُبالاة وصحبة الظالمين ، ونسيان الذنوب الماضية وطول الأمل .

وأربعة من نور القلب ، «بطن جائع من حذر» أي خشية أن يكون بما لا يحل له» وصحبة الصالحين ، وحفظ الذنوب الماضية ، وقصر الأمل .

وروى أن رجلاً خَرَجَ من بَنِي إِسْرَائِيلَ إلى طلب العلم فبلغ ذلك نبيهم فبعث إليه فقال له يا فتى ، أَعْظَمَكَ بثلاث خصال ، فيها عِلْمُ الأولين والآخِرِينَ ، خِيفَ الله في السر والعلانية ، وأَمْسِكَ لِسَانَكَ عن الخلق لا تذكرهم إلا بخير ، وانظُرْ تُحْبِزَكَ الذي تأكله حتى يكون من الحلال فامتنع الفتى عن الخروج ، كان مَنْ قبلنا يتواصون بثلاث خصال مَنْ عمل لآخرته كفاه الله أمر دينه ودنياه ، وَمَنْ أَحَسَّنَ سريره أَحَسَّنَ الله علانيته ، وَمَنْ أَصْلَحَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله أَصْلَحَ الله ما بينه وبين الناس .

روى عن النبي ﷺ أنه خَرَجَ ذاتَ يوم على أصحابه فقال كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ ، فقالوا أَصْبَحْنَا مُؤْمِنِينَ بالله فقال وما علامة إيمانكم ، قالوا نصبر على البلاء ونشكر على الرخاء ونرضى بالقضاء فقال عليه الصلاة والسلام أنتم مؤمنون حقاً ورب الكعبة .

شعرا :

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمٌّ تَسْمُوا إِلَى أَحَدٍ
فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
مَا إِنْ تَنَازَعَهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ مِنَ الْمَطَامِعِ وَاللَّذَّةِ وَالْوَلَدِ
وَلَا لِلْبَسِ نَفْسٍ فَاتَّقِ أَنْفِي وَلَا لِرُوحٍ سُورٍ حَلٌّ فِي بَلَدِ
إِلَّا مُسَارَعَةً فِي نَيْلِ مَنْزِلَةٍ يَخْطِي بِهَا مُخْلِصٌ لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ
قِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ بِمَا وَجَدْتَ الرَّهْدَ ، قَالَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، رَأَيْتُ الْقَبْرَ
مُوحِشاً وَلَيْسَ مَعِيَ مُؤَنَسٌ وَرَأَيْتُ طَرِيقاً طَوِيلاً وَلَيْسَ مَعِيَ زَادٌ وَرَأَيْتُ الْجَبَارَ
قَاضِياً وَلَيْسَ مَعِيَ حُجَّةٌ .

حُصُونُ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَةٌ ، الْمَسْجِدُ حِصْنٌ ، وَذِكْرُ اللَّهِ حِصْنٌ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
حِصْنٌ .

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا خَيْرُ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قِيلَ وَمَا خَيْرُ الشُّهُورِ
قَالَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، قِيلَ وَمَا خَيْرُ الْأَعْمَالِ ، قَالَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَوَقْتُهَا .
وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ ، وَخَيْرُ الشُّهُورِ مَا
تَتُوبُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ، وَخَيْرُ الْأَيَّامِ مَا تَخْرُجُ فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مُؤْمِناً بِاللَّهِ وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ أَلْسِنَةِ تَصِفُ وَقُلُوبِ تَعْرِفُ وَأَعْمَالِ
تَخَالِفُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ ،
وَجَعَلْتُ قَرْتَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَكَانَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ جُلُوساً .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثُ النَّظَرِ إِلَى
وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنْفَاقِ مَالِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْ تَكُونَ ابْتَدَى رَسُولَ اللَّهِ .
فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالتَّوْبِ الْخَلْقِ .

فقال عثمان صدقت يا عُمَرُ وَحُبِّتْ إِلَيَّ من الدنيا ثلاث إشباعُ الجِيعانِ
وكسوةُ العريانِ ، وتلاوةُ القرآنِ .

فقال علي صدقت يا عثمان وَحُبِّتْ إِلَيَّ من الدنيا ثلاث الخدمةُ للضعيفِ ،
والصومُ في الصيفِ ، والضربُ بالسيفِ .

فبينما هم كذلك إذ جاء جِبْرِيلُ وقال أرسَلَنِي اللهُ تبارك وتعالى لما سَمِعَ
مَقَالَتِكُمْ وأمرَكُ أن تَسْأَلَنِي عَمَّا أَحِبُّ إن كُنْتُ من أهل الدنيا فقال لإرشادِ
الضَّالِّينَ ، وموائسةِ الغرباءِ القانتينَ ، ومعاونةِ أهلِ العيالِ المعسرينَ .

وقال جِبْرِيلُ ربُّ العزةِ جل جلاله يُحِبُّ من عباده ثلاثَ خصالٍ ، بَذَلَ
الاستطاعةَ والبُكَاءَ عندَ التَّدَامَةِ ، والصَّبْرَ عندَ الفاقةِ .

وعن علي أن أصعبَ الأعمالِ أربعَ خصالٍ العَفْوُ عندَ الغضبِ والجودُ في
العُسْرَةِ ، والعفةُ في الخلوةِ ، وقولُ الحقِّ لمن يخافه ، أو يرجوه .

وفي الزبور أوحى اللهُ تعالى إلى داود عليه السلام أن العاقلَ الحكيمَ لا يخلو
من أربعِ ساعاتٍ، ساعةٍ فيها يَنَاجِي رَبَّهُ ، وساعةٍ فيها يَحَسِبُ نَفْسَهُ ، وساعةٍ
يَمشي فيها إلى إِخْوَانِهِ الذين يَخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ ، وساعةٍ يُحَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَدَاتِهَا
الحلالِ .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر الغفاري «يا أبا ذر جدد
السفينة فإن البحر عميق ، وخذ الزاد كاملاً فإن السفر بعيد ، وخفف الحمل
فإن العقبة كثود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير . شعراً :
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَذْرِ فِي أَيِّ الْمَكَاتِينِ تَنْزِلُ
آخِرُ : أَمَامَكَ يَا تَوْمَانُ دَارُ سَعَادَةٍ يَطُولُ الثَّوِي فِيهَا وَدَارُ شَقَاءٍ
تُحِلِقَتِ لِأَحَدِي الْغَايَتَيْنِ فَلَا تَنَمُ وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهَا وَرَجَاءٍ
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليكم بخص كلمات لا يرجون

أَحَدُكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَحْيَ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَلَا يَسْتَحْيَ إِذَا سَأَلَ عَمَّا لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ أَعْلَمَ وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ .

إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقَدَّمُ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ الْأَهَمُّ أَمْرُ الدِّينِ فَلْيَقْدِمِهِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْمَقْدَمِ مِنَ أَمْرِ الدِّينِ صِحَّةُ الْعَقِيدَةِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَاعْتِقَادِ انْفِرَادِهِ وَاسْتِخْصَاصِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ .

وَتَجَرُّدِهِ عَنِ النِّقَاصِ وَالْعُيُوبِ كُلِّهَا الْمُتَصَلَّاتِ وَالْمُنْفَصَلَاتِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَعْمَالِهِ وَأَنَّهُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَا وَالْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ .

وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ ، أَرْبَعَةٌ حَسَنٌ وَلَكِنْ أَرْبَعَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحَيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ مِنَ النِّسَاءِ أَحْسَنُ ، وَالْعَدْلُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ مِنَ الْقَضَاةِ وَالْأُمَرَاءِ أَحْسَنُ .

وَالْتَوْبَةُ مِنَ الشَّيْخِ حَسَنٌ وَلَكِنَّهَا مِنَ الشَّابِّ أَحْسَنُ ، وَالْجُودُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَحْسَنُ .

وَعِنْدَ أَحَدِ الْحُكَمَاءِ أَرْبَعَةٌ قَبِيحٌ ، لَكِنْ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا أَقْبَحُ ، الذَّنْبُ مِنَ الشَّابِّ قَبِيحٌ ، وَهُوَ مِنَ الشَّيْخِ أَقْبَحُ ، وَالِاسْتِغْثَالُ بِالدُّنْيَا مِنَ الْجَاهِلِ قَبِيحٌ .

وَمِنَ الْعَالَمِ أَقْبَحُ ، وَالتَّكَاسُلُ فِي الطَّاعَةِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ قَبِيحٌ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ وَطَلِبَةِ الْعِلْمِ أَقْبَحُ ، وَالتَّكَبُّرُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ قَبِيحٌ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ اشْتِاقٍ إِلَى الْجَنَّةِ سَارِعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَمِنْ تَيَقُّنِ الْمَوْتِ انْتِهَدَمَتْ عَلَيْهِ اللَّذَاتُ ، وَمِنْ عَرَفِ الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَاتُ .

وَمِنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ انْتَهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ .

وَقَالَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْهَوَى بِحَرِّ الذُّنُوبِ ، وَالنَّفْسُ بِحَرِّ

الشهوات ، والموت بحر الأعمار ، والقبر بحر الندامات .
 تُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَتُسْكُنُ حِينَ تَحْفَى ذَاهِبَاتِ
 كَرُوعَةٍ ثُلَّةٍ لِيُظْهِرَ ذَنْبٌ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
 وعن عثمان رضي الله عنه : وجدت حلاوة العبادة في أربعة أشياء أولها
 في أداء فرائض الله ، والثاني في اجتناب محارم الله ، والثالث في الأمر بالمعروف
 ابتغاء ثواب الله ، والرابع في النهي عن المنكر إقناء غضب الله .

وقال أيضاً أربعة ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة ، مخالطة الصالحين فضيلة
 والافتداء بهم فريضة ، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة ، وزيارة القبور فضيلة
 والاستعداد للموت فريضة ، وعيادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة .
 وعن علي رضي الله عنه لا يزال الدين والدنيا قائمين مادام أربعة أشياء ،
 مادام الأغنياء لا يَبْخُلُونَ بما تُحَوَّلُوا ، ومادام العلماء يعملون بما عَلِّمُوا ، ومادام
 الجُهلاء لا يستكبرون عما لم يعلموا ، ومادام الفقراء لا يبيعون آخرتهم
 بدينهم .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه الظلمات خمس والسراج لها
 خمس ، حُبُّ الدنْيَا ظِلْمَةٌ والسراج له التَّقْوَى والذَّنْبُ ظِلْمَةٌ والسراج له التَّوْبَةُ
 والقَبْرُ ظِلْمَةٌ والسراج له لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والآخرة ظِلْمَةٌ
 والسراج لها العمل الصالح ، والصراط ظِلْمَةٌ والسراج له اليقين .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما خمس من كن فيه سعد
 في الدنيا والآخرة ، أولها أن يذكر لا إله إلا الله محمداً رسول الله وقتاً بعد وقت .
 وإذا ابتلى ببليّة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
 العظيم ، وإذا أُعْطِيَ نِعْمَةٌ قال الحمد لله رب العالمين شكراً للنعمة .
 وإذا ابتدأ في شيء قال بسم الله الرحمن الرحيم .

وإذا أفرط منه ذنبا قال استغفر الله العظيم وأتوب إليه .

وعن سفیان الثوري أنه قال اختار الفقراء محمداً واختار الاغنياء محمداً ،
اختار الفقراء راحة النفس ، وفراغ القلب ، وعبودية الرب ، وخفة الحساب ،
والدرجة العليا ،

واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وعبودية الدنيا وشدة الحساب
والدرجة السفلى .

وقال بعضهم العَجَلَةُ تُحَسِّنُ في تجهيز الميت ، وتزويج البنت إذا
بلغت ، وقطف الثمرة إذا استوت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب
إذا فرط ، وإطعام الضيف إذا نزل .

وقال عثمان رضي الله عنه إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف ، أحدها من
قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان ، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما
يفتضح به يوم القيامة .

والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله ، والرابع من قبل ملك الموت أن
يأخذه في غفلة بغتة ، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتشتغل عن الآخرة ،
والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشتغلوا عن ذكر الله تعالى .
وقال أيضا أضيع الأشياء عشرة عالم لا يُسأل عنه ، وعلم لا يُعمل به ،
ورأي صواب لا يُقبل ، وسلاح لا يُستعمل ومسجد لا يُصلى فيه ، ومصحف
لا يُقرأ فيه ، ومال لا يُنفق منه ، وخيل لا تُركب ، وعلم الزهد في بطن من يريد
الدنيا ، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفه .

وقال ابراهيم بن أدهم حين سألوه عن قول الله تعالى ﴿ اذْعُونِي اَسْتَجِبْ
لَكُمْ ﴾ وإنا ندعوه فلم يستجب لنا فقال ما تلت قلوبكم من عشرة أشياء ، أولها
أنكم عرفتم الله ولم تودوه حقه ، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به ، وادعيتم عداوة
إبليس وواليتموه .

وَادْعَيْتُمْ حُبَّ الرِّسُولِ ﷺ وَتَرَكْتُمْ أَثَرَهُ وَسُنَّتَهُ ، وَادْعَيْتُمْ حُبَّ الْجَنَّةِ وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا ، وَادْعَيْتُمْ خَوْفَ النَّارِ وَلَمْ تَنْتَهُوا عَنِ الذُّنُوبِ ، وَادْعَيْتُمْ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ ، وَاشْتَغَلْتُمْ بِمُيُوبٍ غَيْرِكُمْ وَتَرَكْتُمْ غُيُوبَ أَنْفُسِكُمْ وَتَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَلَا تَشْكُرُونَهُ . لَأَنْتَهَى بِتَصْرِفٍ يَسِيرٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(مَوْعِظَةٌ)

قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرفت لكم بغرورها ، وفشتتكم بأمانيتها ، وتزيئت لحطابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتل .

ولو كانت الدنيا من الإنس لم تكن سيوى موسى أفنت بما ساء عمرها آخر: ولو كانت الدنيا عروساً وجدتها بما قتل أولادها لا تزوجكم مطمئن إليها نخلت فانظر إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها نحالها دار نفاد لا دار إخلاد ودار عبور لا دار حبور ودار فناء لا بقاء ودار انصرام لا دار دوام جديدها يبلى وملكها ينفى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودُّها يموت وخيرها يفوت .

وقد تطابق على ما ذكر دلالات قواطع الثقول وصحاح العقول والطغام وقضى به الحس والعيان حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة في العرفان .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج الثهارة إلى دليل ولما كانت الدنيا بهاذه الحال التي ذكرت والعظة التي تقدمت جاء في القرآن الكريم من التحذير عن الاغترار بها والركون إليها والاعتماد عليها ما هو أعرف من أن يذكر وأشهر من أن يشهر .

وكذلك جاءت الأحاديث النبوية والآثار الحكيمة فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العلماء العقلاء الزهاد .

العاملون بعلمهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم لم يركنوا إل الدنيا بل اتخذوها مَطِيَّةً إلى الآخرة .

لا علماء الألسن الذين يلبسون للناس جلود الظان من اللين وقلوبهم قلوب الذئاب الذين يتخللون بالسنتهم كما تتخلل البقرة بلسانها . قال بعضهم وأجاد في وصف الدنيا .

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَجِيفَةِ مَيْتَةٍ وَطَلَابُهَا مِثْلُ الْكِلَابِ الْهَوَامِيسِ وَأَعْظَمُهُمْ ذِمًّا لَهَا وَأَشَدَّهُمْ بِهَا شَغْفًا قَوْمٌ طَوَّالُ الْقَلَائِيسِ وَخَتَامًا فَاسْتَيْقَظُوا رَجِمَكُمُ اللَّهُ مِنْ غَفْلَتِكُمْ وَانْتَبَهُوا مِنْ رَقَدَتِكُمْ قَبْلَ أَنْ يُقَالَ فَلَانٌ مَرِيضٌ أَوْ مُذْنِفٌ ثَقِيلٌ فَهَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى النَّوَاءِ لِهَذَا الْعَلِيلِ أَوْ هَلْ إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ سَبِيلٍ .

فَتَنَقَّلْ إِلَى الْمُسْتَشْفَى وَتَدْعِ لَكَ الْأَطْبَاءَ وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ثُمَّ يُقَالَ فَلَانٌ أَوْصَى وَلِمَالِهِ أَحْصَى ثُمَّ يُقَالَ قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ وَمَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُكَلِّمَ إِخْوَانَهُ .

وَمَا هُوَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَا يَعْرِفُ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَإِخْوَانِهِ وَجِيرَانِهِ وَغَرِقَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِينُكَ وَتَتَابَعَ أَنْيُنُكَ وَتَبَّتْ يَقِينُكَ وَارْتَفَعَتْ جُفُونُكَ وَصَدَقَتْ ظَنُونُكَ .

وَتَلَجَّجَ وَتَحَيَّرَ لِسَانُكَ وَبَكَى أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ وَقِيلَ لَكَ هَذَا ابْنُكَ فَلَانٌ وَهَذَا أَخُوكَ فَلَانٌ وَهَذِهِ أُمُّكَ وَهَذَا أَبُوكَ وَبَصُرُكَ شَاخِصٌ وَعُيُونُكَ غَرِقَ مِنَ الدَّمْعِ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ .

فَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ يَا مِسْكِينَ وَأَنْتَ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقْتَ مِنْهَا جُثَّةً
تَقْصَاعُهُ رُوحَكَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ يَبْكُونَ وَلَكِنْ دُونَ جَلْدِي لِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدَرَهُ
لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ .

ثُمَّ تُحْتِمِ عَلَى لِسَانِكَ فَلَا يَنْطِقُ ثُمَّ حَلَّ بِكَ الْقَضَاءُ وَانْتَزَعْتَ نَفْسَكَ مِنَ
الْأَعْضَاءِ ثُمَّ عُرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ وَأَحْضَرْتَ
أَكْفَانِكَ وَجِئْتَ بِالنَّعْشِ وَالْمُقَسِّلِ .

فَجَرَّدَكَ مِنَ الثِّيَابِ وَغَسَّلَكَ وَجِئْتَ بِالْكَفَنِ فَكَفَّنْتُوكَ وَخَطَّطُوكَ فَانْقَطَعَ
عَوَاذُكَ وَاسْتَرَاحَ حُسَاؤُكَ وَانْصَرَفَ أَهْلُكَ إِلَى مَالِكَ وَبَقِيَتْ مُرْتَبَةً بِأَعْمَالِكَ فِيهَا
مِنْ رَحْلَةٍ وَيَالَهُ مِنْ قُلُومٍ .

تَصَيِّبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِذَاآنَ تُثْلَوِي فِيهِمَا وَخُنُوطُ
آخِرٍ : تَجَرَّدُ مِنَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ إِثْمًا تَخَرَّجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
آخِرٍ : فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى خُنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي يَحْرِقِ
وغيرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ
اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَا وَاهْدِنَا سَبِيلَ الرِّشَادِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَوْمِ
الْمَعَادِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالصَّلَاةِ إِثْمًا هُوَ تَعْظِيمُ الْمَعْبُودِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ،
وَتَعْظِيمُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحُضُورِ قَلْبٍ .
وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِيهِمْ مَنْ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَيَقُولُ
أَتَرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقِفَ .

فإذا أَرَدْتَ اسْتِجْلَابَ حُضُورِ قَلْبِكَ الْغَائِبِ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا فَفَرِّغْهُ مِنْ الشُّوَاعِلِ كُلِّهَا مَهْمَا اسْتَطَعْتَ .

واعْلَمْ أَنَّ إِضَاعَتَهَا أَعْظَمُ مِنْ إِضَاعَةِ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالضَّيْعَاتِ وَجَمِيعِ أَمْتِعَةِ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

(وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ) وقد كَانَ السَّلَفُ أَرْبَابُ التَّفَكُّرِ يُشَاهِدُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةً فَيَذْكُرُونَ بِالْأَذَانِ نِذَاءَ الْعَرَضِ عَلَى الْجَبَّارِ ، وَبَطْهَارَةَ الْبَدَنِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَالغِلِّ وَالْحَقْدِ وَ الرِّهَاءِ وَالظَّنِّ السَّيِّئِ .

وَيَذْكُرُونَ بِسِتْرِ الْعَوْرَةِ سِتْرِ الْقَبَائِحِ مِنْ عُيُوبِ الْبَاطِنِ مِمَّا تَقْدُمُ وَنَحْوُهُ وَبِاسْتِقْبَالِ الْقَبْلَةِ صَرَفَ الْقَلْبِ إِلَى مُقْلَبِ الْقُلُوبِ ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ كَذَلِكَ فَهُوَ غَافِلٌ .

وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِالصَّلَاةِ لِأَنَّهَا الصَّلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَيَقْدُمُ الْقِيلُولَةَ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلصَّلَاةِ وَإِنْ كَانَ لَهُ قِيَامٌ فِي اللَّيْلِ أَوْ سَهَرٌ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَإِنْ فِيهَا مَعُونَةٌ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ .

وَيَحْرُسُ عَلَى أَنْ يَسْتَيْقِضَ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَيَتَوَضَّأُ وَيَحْضُرُ لِلْمَسْجِدِ وَيُصَلِّي تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ وَيَنْتَظِرُ الْمُؤَذِّنَ فَيَجِيبُهُ ثُمَّ يَصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَتَيْنِ الرَّوَاطِبِ الَّتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ يُصَلِّي الْفَرْضَ مَعَ الْإِمَامِ ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَ الْفَرِيضَةِ رَكَعَتَيْنِ فَهُمَا مِنَ الرَّوَاطِبِ الثَّابِتَةِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَشْتَغَلَ إِلَى الْعَصْرِ إِلَّا بِتَعْلِيمٍ عِلْمٍ أَوْ إِعَانَةٍ مُسْلِمٍ أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ أَوْ مُطَالَعَةٍ فِي كُتُبِ الْعِلْمِ تَفْسِيرٍ أَوْ تَوْحِيدٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ فِقْهِ أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى دِينِهِ .

ثم يصلي أربع ركعات قبل العصر وهي سنة مؤكدة فقد قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً » فاجتهد واحرص أن يتالك دُعَاؤُهُ ﷺ .

ولا تشتغل بعد صلاة العصر إلا بمثل ما سَبَقَ مِنْ قِرَاءَةِ قرآن أو تعليم علم نافع وهو ما جاء عن النبي ﷺ أو سعي فيما تُسْتَعِينُ به على دينك .
ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مُهْمَلَةً بل احرص كل الحرص على أن تكون مَمْلُوءَةً بالأعمال الصالحة وحَاسِبٌ نَفْسَكَ وَرَتَّبَ أَعْمَالَكَ وَأُورِادَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ .

وَعَيْنٌ لِكُلِّ وَقْتٍ شَغْلًا لَا تَتَعَدَّاهُ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ سِوَاهُ مِمَّا تَقْدِمُ ذِكْرَهُ مِنْ أَعْمَالِ الآخِرَةِ فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ بَرَكَتُ أَوْقَاتِكَ وَتَصُونُ عُمرَكَ مِنَ الضَّيَاعِ .
ولما إذا أَهْمَلْتَ نَفْسَكَ سُدَى إِهْمَالِ الْبَهَائِمِ لَا تَدْرِي بِمَاذَا تَشْتَغِلُ كُلَّ وَقْتٍ فَيَنْقُضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِكَ ضَائِعًا وَأَوْقَاتُ عُمرِكَ هِيَ رَأْسُ مَالِكَ وَلَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ شعرا :

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بَأَنَّ حَيَاتِي تَكُونُ كَسَاءَةً
فَلَمْ لَا أَكُونُ بِهَا ظَنِينًا وَاجْعَلْهَا فِي صَلاَحٍ وَطَاعَةٍ
آخِر :

إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبٍ
وعليه تجارتك وبه وصُولُكَ إِلَى نَعِيمِ دَارِ الْآبِدِ فِي جِوَارِ اللَّهِ تَعَالَى فَكُلُّ نَفْسٍ
مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرَةٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا لِأَنَّ نَفْسَكَ لَا بَدَلَ لَهُ فَإِذَا فَاتَ فَلَا يَعُودُ أَبَدًا .
ولكن لَا يَنْتَبِهْ لِهَذَا إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِحِفْظِ عُمرِهِ عَنْ الضَّيَاعِ فَلَا تَكُنْ
كَالْحَمَقِ الْجَهْلَةِ الْمَغْرُورِينَ الَّذِينَ تَذْهَبُ أَعْمَارُهُمْ قُرْطًا الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّ يَوْمٍ
بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ .

فأيُّ خيرٍ في مالٍ يزيدُ وعُمُرٌ ينقُصُ في غير طاعة فلا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح قال الله تعالى ﴿وقل رب زدني علماً﴾ وقال تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾ .

فإنَّهُما رفيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ في القبر حيثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ ومَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَقَارِبُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ ثم إذا بقي على الغروب مقدارُ نصفِ ساعةٍ أو ثلثٍ أو رُبُعٍ تَقَدَّمْ إلى المسجد واشتغل بالتسبيح والاستغفار .

قال جَلَّ وَعَلَا ﴿وسُبِّحْ بحمد ربك قبل طُلُوع الشمس وقبل الغُروب﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿وسُبِّحْ بحمد ربك قبل طُلُوع الشمس وقبل غروبها﴾ واحرص على أن تغربَ وأنت تلهجُ بالتسبيح والاستغفار .

وإذا سَمِعْتَ المؤذنَ فَاجِبُهُ وَقُلْ بَعْدَهُ : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَهُ .

(فصل)

ثم إذا أقامَ الصلاة قم عند قوله قد قامت الصلاة ثم صلِّ الفرضَ مَعَ الإمام وصل بعده ركعتين وهما راتبة المغرب .

وإن أُحْيِيَتْ ما بين العشائين بصلاة فَحَسَنٌ فقد ورد أن ناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء لأن معنى نشأ ابتداء .

وكان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة هي بدأ الليل .

وقيل في قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ إنه التنفل ما بين المغرب والعشاء قاله قتادة وعكرمة .

فإذا دَخَلَ وقت صلاة العِشاء فصلَّها مع الإمام وصلَّ بعدها الراتبة ركعتين .

ثم ركعتين تقرأ في الأولى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم أوتر وقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص ﴿قل هو الله أحد﴾ فإن كنت ممن يقوم ويصلي بالليل فأخّر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وقرأ .
ثم اشتغل بعد ذلك بقراءة القرآن أو مطالعة في كتب توحيد أو تفسير أو فقه أو تجويد أو أصول تفسير أو أصول فقه أو قواعد .

واحذر أن تشتغل بعلوم تعود عليك بالضرر أو تجلس عندما يلهي فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فإن الأعمال بخواتيمها وربما قبضت روحك .
وإذا أردت النوم فانفض الفراش وابسطه مُستقبِل القبلة وثم على يمينك على هيئة وضع الميت في القبر .

واعلم أن النوم أخو الموت مثله واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مُستعداً للقاءه وإن حصل أن تكون على طهارة ووصيتك مكتوبة عند رأسك فافضل .

وتنام تائباً توبة نصوحاً من الذنوب تلهج بالاستغفار عازماً جازماً على أن لا تعود إلى معصية واعزم على الخير ومحبة لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى .
وتذكر عند اضطجاعك في فراشك أنك ستضجع في اللحد كذلك وحيداً فريداً ليس معك إلا عملك ولا تجزى إلا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفراش الوطيفة فإن النوم تعطيل الحياة إلا إن كانت يقظتك وبالأعلى عليك فنومك بلا شك أحسن لأنه سلامة لدينك .

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من

ثمان ساعات فيَكْفِيكَ إن عِشْتَ ستين سنة مثلاً أن تُضَيِّعَ منها الثُلث وهو
عشرون سنة .

وأعدّ عند النوم سواكك وطهورك واثو العزم على قيام الليل إن الله أحياك
وركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك .
فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت فالرصيد الصحيح الباقي النافع
رصيد الآخرة ، الباقيات الصالحات .

وقل عند النوم باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي اللهم
قني عذابك يوم تَبْعَثُ عِبَادَكَ اللهم باسمك أحيًا وأموت .
أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها
إن ربي على صراط مستقيم اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس
بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء .
اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أمتها فاغفر
لها وإن أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم إني أسألك العفو
والعافية .

اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني في أحب الأعمال
إليك .

ثم اقرأ آية الكرسي .

وآخر سورة البقرة «آمن الرسول» إلى آخر السورة .

واقرا سورة الإخلاص .

والمعوذتين .

وسورة تبارك .

والواقعة .

واحرص كُلَّ الحِرص أن يَأْخُذَكَ التَّوَمُ وَأَنْتِ تَلْهَجُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَعَلَى طَهَارَةٍ
فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ انْتَهَتْ حَيَاتُهُ بَعْدَ مَا نَامَ وَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ .

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَدَاوِمِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمرِكَ فَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْكَ
الْمُدَاوِمَةُ فَاصْبِرْ صَبْرَ الْمَرِيضِ عَلَى أَلَمِ الْعِلَاجِ وَمَرَارَةِ الدَّوَاءِ انْتَظَاراً لِلشِّفَاءِ .

وَتَفَكَّرِ فِي قِصَرِ عُمرِكَ وَإِنْ عِشْتَ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَزِيدِ فَهِيَ قَصِيرَةٌ بِالِإِضَافَةِ إِلَى
مَقَامِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ الْآبَادِ .

وَتَصَوِّرِ تَحْمُلَكَ لِلْمَشَقَّةِ وَالْهَوَانِ وَالذَّلِّ فِي طَلَبِ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَشْهَرَ
أَوْ سَنِينَ رَجَاءٍ أَنْ تَسْتَرِيحَ بَقِيَّةَ عُمرِكَ فَكَيْفَ لَا تَتَحَمَّلُ أَيَّاماً قَلِيلَةً رَجَاءَ
الِاسْتِرَاحَةِ الْآبِدِيَّةِ .

وَلَا تَطُولِ أَمَلُكَ فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُكَ وَقَدَّرَ قُرْبَ الْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَقُلْ
لِنَفْسِكَ إِنِّي أَتَحَمَّلُ الْمَشَقَّةَ الْيَوْمَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ بِاللَّيْلِ وَأَصْبُرُ اللَّيْلَةَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ
غداً .

فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ فِي وَقْتٍ مُخْصٍ أَوْ حَالٍ مُخْصٍ أَوْ سِنٍ مُخْصٍ
وَلَا بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ فَالِاسْتِعْدَادُ لَهُ أَوَّلَى مِنَ الْاسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا .

وَأَنْتِ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَى فِي الدُّنْيَا إِلَّا مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِكَ إِلَّا
يَوْمٌ وَاحِدٌ أَوْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ لَا سِيَّماً فِي زَمَنِنا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْحَوَادِثُ بِأَسْبَابِ
السَّيَّارَاتِ وَالْقُرُوزِ وَالطَّائِرَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ صَاحِحاً وَلَمْ يَشْعُرْ أَهْلُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَّا
وَحَبَرَ مَوْتِهِ يَفْجَأُهُمْ فَقَدَّرَ هَذَا فِي قَلْبِكَ كُلِّ يَوْمٍ لَعَلَّهُ يَدْفَعُكَ إِلَى الْاسْتِعْدَادِ
لِلْمَوْتِ .

وَكَلِّفِ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الطَّاعَةِ يَوْماً يَوْماً فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ بَقَاءَكَ خَمْسِينَ
سَنَةً وَأَلَزَمْتَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى نَفَرَتْ نَفْسُكَ وَاسْتَعْصَبَتْ عَلَيْكَ
وَرُبَّمَا اسْتَعْصَبَتْ عَلَيْكَ .

وتصوّر سرورك وفرحك عند الموت إن فعلت ما تقدم وإن سوفت
وتساهلت جاء الموت في وقت لا تحتسبه وتندمت وتحسرت تحسراً لا آخر له وعند
الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك الخبر اليقين . انتهى قال الناظم :

خذوا أهبة في الزاد فالموت كائن
وما داركم هذي بدار إقامة
أما جاءكم من ربكم وتزودوا
وما هذه الأيام إلا مراحل
ومن سار نحو الدار ستين حجة
وما الناس إلا مثل سفر تتابعوا
وفي السقم والآفات أعظم حكمة
ينادي لسان الحال جلدوا لترحلوا
أتاك نذير الشيب والسقم مخبراً
ومن كان عزرائيل كافل روحه
ومن روحه في الجسم منه ودعة
فما حق ذي لب يبيت بليلة
فبادر هجوم الموت في كسب ما به
ونفسك فاجعلها وصيك كثيراً
ومثل ورويد القبر مهما رأيته
فما نفع الإنسان مثل اكتسابه

فما منه من منجا ولا عنه غدد
ولكنها دار ابتلاء وتزود
فما عذر من وافاه غير مزود
تقرب من دار اللقا كل مبعد
فقد حان منه الملتقى وكان قد
مقيم ليهوم على إثر مقعد
مقظة ذا اللب عند التفقد
عن المنزل الغث الكثير الشكد
بأنك تثلو القوم في اليوم أو غد
إذا فاته في اليوم لم ينج في غد
فهيات أمن يرنجى من مردد
بلا كتب إيصاء وإشهاد شهيد
تفور غداً يوم القيامة واجهد
لسفرة يوم الحشر طيب التزود
لنفسك نفاعاً فقدمه تسعد
يوم يفر المرء من كل محتد

اللهم ارحم ذلنا يوم الأشهاد وأمن خوفنا من فزع المعاد ووفقنا لما ننجينا
به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تحزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد واغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(موعظة)

قال الله جل ذكره ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال جل وعلا ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وقال عز من قائل ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ .

وقال تعالى ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وقال جل وعلا ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ .

وكان النبي ﷺ يَتَحَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ فَالْوَعِظُ وَالتَّذْكِيرُ فَرِيضَتَانِ وَاجِبَتَانِ ماضيتان على أهلهما بكتاب الله وسنة رسوله، ﷺ .
وقد أمر الله الْمُؤْعِظِينَ بِالِاسْتِمَاعِ وَالِإِصْغَاءِ لِلْمَوْعِظَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجل واستحق من الله البشري في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقِلَاءِ خَلْقِهِ الشَّاءِ الْحَسَنَ وَالْمَدَحَ وَالْإِكْرَامَ وَالِدَعَاءَ .

فإن الله جل ذكره يقول ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ثم قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ .

وقد شبه الله الكفرة المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بِالْحُمْرِ قال تعالى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعرض عن الموعظة .
وقد جعل الله جل ذكره الْحَيَّرَ فِي الْإِعْتِبَارِ وَالِإِعْتِبَارِ بِالتَّفَكِيرِ وَحَثَّ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ وقال ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿أَو لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
وقال جل وعلا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

فمن قريب ما يجبُ أن يُفَكَّرَ فيه اللبيبُ ويتدبَّره أن يتذكر أحوال الأمم
والقرون الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلق الله قوةً وأكثر جمعا وأتقين
آثاراً وأطول أعماراً الذين بنوا المدائن وجمعوا الخزائن وحفروا الأنهار وعَمَّروا الديمار
وشيدوا القصورَ .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُمُوع وقادوا الجُيُوش وساقوا الخيول ودَوَّخوا البلاد
وأذلوا العبادَ ومشَوْا في الأرض مَرَحاً واختالَوْا بما أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا
يكسبون .

فأصبحوا بَعْدَ العزِّ وَالْمَنَعَةِ وَالْمُلْكِ وَالرَّفْعَةِ وَالصَّيِّتِ وَالسُّطُورَةِ وَالذِّكْرِ
وَالصُّلَةِ عِظَاماً رَمِيماً وَرَفَاتاً هَشِيماً وَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ خَاوِيَةً وَقُصُورُهُمْ خَالِيَةً
وَأَجْسَادُهُمْ بِالِيَةً وَأَصْوَاتُهُمْ هَادِئَةٌ .

تُخْبِرُكَ آثَارُهُمْ مُعَانِيَةً وَتَقْرَعُ سَمْعَكَ أَخْبَارُهُمْ بِمَجَاهِرَةٍ فَلَمْ يَصْحَبِهِمْ مِنْ
الدُّنْيَا مَا جَمَعُوا وَلَمْ يَذْفَعْ عَنْهُمْ الرَّدَى مَا كَسَبُوا وَلَعَلَّهُمْ نَدِمُوا حَيْثُ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
النَّدَامَةُ وَتَلْهَفُوا حَيْثُ لَا يَغْنِي عَنْهُمْ التَّلْهَفُ شَيْئاً .

وَإِنَّ الْبَاقِيَ عَمَّا قَلِيلٍ كَالْفَآئِي وَالْغَابِرِ عَمَّا قَلِيلٍ كَالْمَاضِي وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
أَنْفَاسٌ مَعْلُومَةٌ وَأَيَّامٌ مَّعْدُودَةٌ سَرِيعَةُ الْإِنْقِضَاءِ قَرِيبَةُ الْإِنْتِهَاءِ .

فليحذر المُغْتَرِّ بِمُلْكِهِ وَالْمُتَمَتِّعُ بِعِزِّهِ هَذِهِ الصَّرْعَةُ وَلَيْسَتْ تُعَدُّ لِهَذِهِ الْوَجْبَةِ
وَلَيْتَنَّهُ لِهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا فِي أَوَائِلِ مَوَاعِظِهِ .

وكررهما في مواضع من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك بالمرصدين﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ هذا خبر أصديق القائلين وهذا قول حق وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه وعوينة في زمانه ممن رُفِعوا ثم وُضِعوا وعلوا ثم صُرِعوا ودارت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضه مَقْنَعٌ لمُعتبرٍ وبلاغٌ لمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ على أهل حمص فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون . إن من كان قبلكم بَنَوْا شديداً وأَمَلُوا بعيداً وَجَمَعُوا كثيراً فأصبحت اليوم مساكنهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مصارع من كان قبلكم

كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها وفتتهم ثم تركتهم وقد تَخَلَّتْ عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدْلَهَمَةٌ تركوا الأهلين والأولاد والعيال والأموال .

مَسَاكِينُهُمُ الْقُبُورُ وقد خَلَتْ منهم الدور وتَقَطَّعَتْ منهم الأوصال والصُدُور وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهياً قال تعالى ﴿فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ .

شعرا :

نَبِكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ	جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيِّنَ الْأَكْسِرَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأُولَى	كَتَزُوا الْكَتُورَ فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقَا
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِيهِ	حَتَّى ثَوَى فِحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقٌ
تُحْرَسُ إِذَا تُؤَدُّوْا كَأَن لَّمْ يَفْهَمُوا	أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفْسُ نَفَائِسٌ	وَالْمُسْتَغْنَى بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ

آخر :

أَجْدَكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا	وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ فِيهَا عَجَائِبَا	وَصَاحِبَتِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً	وَقَدْ طَابَ عَيْشٌ وَالسُّرُورُ يُجَدِّدُ
فَمَا رَأَعَهُمْ إِلَّا الرِّزَادِيَا ثَوَابَتْ	عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَذَاهُمْ تُحْشَدُ
وَأَسْقَنَتْهُمْ كَاساً مِنَ الدَّلْلِ مُتَرَعَاً	وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ مَقْعَدُ
وَدَانَتْ لِيَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بُرْهَةٍ	عَلَى نَكْدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووفقنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتب بعضهم إلى أخ له فقال له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا يُنتفع بالندم عند نزوله .

فاحسِرْ عن رأسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ وَاثْبِتْ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتَى وَشِمْرَ اللَّسْبَاقِ غَدًا فَإِنَّ الدُّنْيَا مَيْدَانُ الْمُسَابِقِينَ وَلَا تَغْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ النُّسْكَ وَتَشَاغَلَ بِالْوَصْفِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِالْمَوْصُوفِ .

واعلم يا أخي أنه لا بُدَّ لي ولك من المَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُنَا عَنْ الدَّقِيقِ الْخَفِيِّ وَالْجَلِيلِ الْخَافِي وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَسْأَلَنِي وَإِيَّاكَ عَنْ وَسْوَسةِ الصُّدُورِ وَلَحَظَاتِ الْعُيُونِ وَالْإِصْغَاءِ لِلْإِسْتِمَاعِ .

واعلم أنه لا يُجْزِي مِنَ الْعَمَلِ الْقَوْلُ وَلَا مِنَ الْبَذْلِ الْعِدَّةُ وَلَا مِنَ التَّوَقُّي الْقَلَاوْمُ .

قال نافع خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَوَضَعُوا سَفْرَةَ لَهُمْ فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَا رَاعِي هَلَمْ فَاصِيبُ مِنْ هَذِهِ السَّفْرَةِ .

فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الشَّدِيدِ حَرُّهُ وَأَنْتَ بَيْنَ هَذِهِ الشَّجَابِ فِي آثَارِ هَذِهِ الْغَنَمِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ تُرْعَى هَذِهِ الْغَنَمُ وَأَنْتَ صَائِمٌ . فقال الراعي أَبَادِرُ أَبَايَ الْخَالِيَةِ فَعَجِبَ ابْنُ عُمَرَ وَقَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شاةً مِنْ غَنَمِكَ نَجْتَرِزُهَا نَطْعُمَكَ مِنْ لَحْمِهَا مَا تُفِطِرُ عَلَيْهِ وَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا . قال إنها ليست لي إنها لِمَوْلَايَ قال فما عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَوْلَاكَ إِنْ قُلْتَ أَكَلَهَا الذُّبُّ .

فَمَضَى الرَّاعِي وَهُوَ رَافِعٌ لِصَبْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ فَأَيْنَ اللَّهُ قَالَ فلم يَزَلْ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ قَالَ الرَّاعِي فَأَيْنَ اللَّهُ فما عَدَا أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ إِلَى سَيِّدِ الرَّاعِي فَاشْتَرَى مِنْهُ الرَّاعِي وَالْغَنَمَ فَأَعْتَقَ الرَّاعِي وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ .

وَدَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ فِي يَوْمٍ قَاطِظٍ شَدِيدٍ حَرِهِ فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالُوا
 أَيْ مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ قَالَ أَفَأَغْبِنُ أَيَّامِي .
 وَتَزَلَّ رَوْحُ بَنِي زَيْتَابٍ مَنَزِلًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ وَقَرَّبَ
 غَدَاءَهُ فَأَنَحَطَّ رَاغٍ مِنْ جَبَلٍ فَقَالَ يَا رَاغٍ هَلُمَّ إِلَى الْعَدَاءِ قَالَ إِنِّي صَائِمٌ .
 قَالَ لَهُ رَوْحُ بَنِي زَيْتَابٍ أَوْ تَصُومُ فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ قَالَ الرَّاعِي أَفَأَدْعُ
 أَيَّامِي تَذَهَبُ بَاطِلًا فَأَنْشَأَ رَوْحٌ يَقُولُ :
 لَقَدْ ضَنَنْتُ بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بَنِي زَيْتَابٍ

وَدَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالُوا أَفَطِرٌ وَصُمُّ غَدَاً قَالَ
 وَمَنْ لِي بِأَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ .
 رُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ رَأَى رَجُلًا مُتَعَبِّدًا فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ
 مُجَالَسَةِ النَّاسِ قَالَ مَا شَغَلَنِي عَنْ النَّاسِ قَالَ فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ الْحَسَنَ فَقَالَ مَا
 أَشْغَلَنِي عَنْ الْحَسَنِ قَالَ فَمَا الَّذِي أَشْغَلَكَ عَنِ الْحَسَنِ .
 قَالَ إِنِّي أَمْسِي وَأَصْبِحُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ فَرَأَيْتُ أَنْ أَشْغَلَ نَفْسِي
 بِالْإِسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النِّعْمَةِ فَقَالَ أَنْتَ عِنْدِي أَفْقَهُ مِنَ
 الْحَسَنِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَاتًّا عَلَى شُكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَالَ إِخْوَانِي اشْكُرُوا اللَّهَ
 عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْأَلْسِنِ بِكَثْرَةِ التَّلَاوَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ .
 فَإِنْ قَرَأْتُمْ فِي ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تَخَوْضُوا بِاللُّسَنِ فِي فُنُونِ الْآثَامِ
 فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ إِلَّا
 حَصَائِدُ السِّنِّيْتِهِمْ » .

فَالرَّجُلُ الْعَاقِلُ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَسْتَخْدِمُ لِسَانَهُ إِلَّا فِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ
 وَالنَّشَاءِ عَلَيْهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابَةِ الْكَرِيمِ وَالنَّصِيحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْإِيمَةِ

المسلمين وعامتهم ويجتنب الكذب والإفتراء والغيبة والهميمة ويجتنب القبيح وتقيح الحسن والتملق والنفاق والرياء قال ﷺ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ كُلُّ هَذِهِ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ » .

ألا واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأبصار بالنظر إلى الحق بالاعتبار شكراً له فإن رغبتم عن ذلك فراقبوا الله أن تنظروا بالأبصار إلى الحرام فتغضبوا الله بنعمه كفعل الكثير من الناس فاتقوا الله عباد الله .

ألا فراقبوه واشكروهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمْعِ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَلَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمَوَاعِظِ الْحَسَنَةِ .

فَإِنْ ضَيَّعْتُمْ ذَلِكَ وَفَرَّطْتُمْ فِيهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تُنْصِتُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَى الْهَوَى وَالْمَلَاهِي وَالْأَغْلَى وَجَمِيعِ الْمُنْكَرَاتِ فَإِنَّكُمْ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَسْئُولُونَ .

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأيدي بِبَسْطِهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ فَإِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا أَنْ تَبْسُطُوهَا إِلَى الظُّلْمِ وَالْأَذَى كَفِعْلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَا تَحْسَبِ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مَهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْقَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأرجل بالسعى بها إلى الطاعات فإن قَصَرْتُمْ فِي ذَلِكَ فَراقِبُوا اللَّهَ وَلَا تَسْعَوْا بِهَا إِلَى الْآثَامِ .

فالرجل المستقيم لا يستخدم سمعه وبصره وجميع حواسه ومشاعره إلا فيما أحل الله له وقد جمع الله كثيراً من صفات المؤمنين المستقيمين وعَدَّهُمْ مُفْلِحِينَ مُسْتَحِقِّينَ لِلْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فكيف بك والأكبال في الأقدام والأغلال في الأعناق ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي

أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴿٤﴾ .

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأقوات فلا تَتَّقُوا بها على مَعَاصِي اللَّهِ أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ اللِّبَاسِ وَذَلِكَ بَأَنْ تُبْلَوْهُ فِي رِضَى اللَّهِ فَإِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا أَنْ تُبْلَوْا لِبَاسَكُمْ فِي مَا يَكْرَهُ اللَّهُ .

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما وهبكم من الأموال وذلك بأن تَبْلَوْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ بَخِلْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ أَنْ تُنْفِقُوا مَا وَهَبَكُمْ مِنْ الْمَالِ فِي مَعَاصِيهِ .

واشكروا الله على نعمته العظمى وهو ما أنعم به عليكم من الإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

واشكروه على ما أنعم به عليكم من العقل بالتفكير والتدبر واعتقاد حُسنِ النية والاعتبار وشيئة الخوف والحُزن وسلامة الصدر لِلْعَامَةِ .

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من العقل بَأَنْ تُعَظِّمُوا اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ وَتُجَلِّوهُ وَتُسْتَحْيُوا مِنْهُ وَتَهَابُوهُ وَتَتَّقُوهُ وَتُطِيعُوهُ عَلَى حَسَبِ مَا عَقَلْتُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَإِنْ قَصَرْتُمْ فِي ذَلِكَ فَارَاقِبُوا اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ لَا يُعَظِّمُونَهُ وَلَا يُجَلِّوْنَهُ وَلَا يَهَابُونَهُ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ وَلَا يَتَّقُونَهُ وَلَا يُطِيعُونَهُ وَلَا يُقَدِّرُونَهُ حَقَّ قَدْرِهِ بَلْ يَسْتَهَيِّنُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ .

فاتقوا الله عباد الله أَنْ تُعَوِّدُوا بَعْدَ الْعِلْمِ جُهَالًا وَبَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ ظُلُمًا وَتُعَوِّدُوا الْعَقْلَ وَالْعِلْمَ عَلَيْكُمْ وَبَالًا .

وَهَبَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ الْقِيَامَ بِطَاعَتِهِ وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ شُكْرَ نِعَمِهِ وَحُسْنَ عِبَادَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة)

إن العجب كُلُّ العَجَب من إنسان عاقل أَخْبِرَ أَنَّهُ سَيَسْئَلُكَ طَرِيقاً شَائِكاً وَغِراً
مَلِيئاً بِالْمَخَافِ والمُزْعِجَاتِ والمِهَالِكِ وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَوَّرَ هَذِهِ المَخَافِ
والمَخَاطِرَ والمِهَالِكَ وَيَتَصَوَّرَ آثَارَهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ الأَبَدِيِّ والذي أَخْبِرَهُ أَصْدَقُ
القَائِلِينَ وَأَوْفَى الوَاعِدِينَ الذي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ علماً .

وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ غَافِلاً لَا اهْتِمَامَ لَهُ بِذَلِكَ مُنْصَرِفاً عَنِ الِابْتِعَادِ عَنْ هَذِهِ
المِهَالِكِ والمَزَلَّاتِ الفُظْيَعَةِ وَمُسْتَعْبِلاً بِالدُّنْيَا والأُمُورِ الثَّافِهَةِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا
الْمَلْعُونَةِ المَلْعُونِ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ .

وَمَا أَصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَرَضٍ أَشَدَّ مِنَ الْغَفْلَةِ الذي رُبَّمَا تَحَوَّلَ إِلَى جُمُودٍ
وَقِسْوَةٍ ثُمَّ إِلَى لُجَاجٍ وَعِنَادٍ ثُمَّ إِلَى كُفْرٍ وَجُحُودٍ نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ .
وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَذَلِّ عَلَى حُمَقِ الْإِنْسَانِ وَغَبَاوَتِهِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ يَكْذُبُ وَيَشَقِي مِنْ
أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمَا طَالَ فَلَنْ يُجَاوِزَ الثَّمَانِينَ غَالِباً وَإِنْ تَجَاوَزَهَا فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ .
وَمَعَ هَذَا فِيهِمْ لَهْمَالٌ كُلِّيٌّ أَوْ جُزْئِيٌّ الْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ لَا نِهَآيَةَ
لَهُ مُسْتَقْبَلُ الأَبَدِ مُسْتَقْبَلُ الْخُلُودِ فَيَالَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا عِوَضَ لَهَا وَلَا جَبْرَ مِنْهَا
وَلَا أَمَلٍ فِي تَلَافِهَا .

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ انْتَبِهْ وَاسْتَعِدْ لِمَا أَمَامَكَ وَتَصَوَّرْهُ وَتَصَوَّرْهُ صَحِيحاً يَظْهَرُ أَثَرُهُ
فِي جِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ فِيمَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ لَا يَفَاجُكَ الأَمْرُ وَأَنْتَ غَافِلٌ فَيَقُوتُكَ زَمَنُ
الْأُمُكَانِ وَتَنْدُمُ وَتَحْسَرُ قَالَ تَعَالَى وَتَقْدَسُ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .
وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مَعْرُضُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَلْبِسْهُمْ غِثَاءَ الْخُسْرَى إِذْ قَضَى الأَمْرَ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
لِلسَّاعِرِينَ ﴾ الْآيَاتُ .

إِنَّ الَّذِينَ غَمَرَ الْإِيمَانُ قُلُوبَهُمْ وَاسْتَحْوَذَتْ مَعْرِفَتُهُمْ عَلَى مَشَاعِرِهِمْ وَوَجَدَانِهِمْ هُمُ الَّذِينَ أَتَقَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَسَمَاعِ الْحُكْمِ مِنْهُ فِي مَصَائِرِهِمْ ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ يُنْفِقُونَ .

الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَخْبَرًا عَنْهُمْ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ .

الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ الْآيَةِ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الْآيَتِينَ . هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ رَعَوْا ﴿ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا ﴾ الْآيَاتِ . هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ رَعَوْا لِلدِّينِ حُرْمَتَهُ وَاحْتَرَمُوا آدَمِيَّتَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ وَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَبَنَوْا لِأَنْفُسِهِمْ صُرُوحَ الْمَجْدِ الْخَالِدِ وَالْعِزِّ الْبَاقِي وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ .

وَلَا يَتَّعِدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ الْمُصَوِّفِينَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الْقَائِلُ لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَمِنْهُمْ الْبَاكِيُّ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الْقَائِلُ لِي لَمْ أَهْلِكْ جِزْعًا مِنَ الْمَوْتِ حَرَصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ أَبْكَى عَلَى عَدَمِ قَضَاءِ طَرِيٍّ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي وَقِيَامِ اللَّيْلِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ . وَمِنْهُمْ الْبَاكِيُّ عِنْدَ مَا تَفَوُّتُهُ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمِنْهُمْ الَّذِي يُمَرِّضُ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ .

وَمِنْهُمْ الْقَائِلُ لَمْ أَصَلِّ الْفَرِيضَةَ مُتَفَرِّدًا إِلَّا مَرَّتَيْنِ وَكَأَنِّي لَمْ أَصِلْهَا مَعَ أَنَّهُ قَارَبَ الثُّلُسَيْنِ سَنَةً .

ومَنهم مَن لم تُفْتِه صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ مَاتَ
وَالدُّهُ اسْتَعْلَلَ بِتَجْهِيزِهَا .

وَالْقَائِلُ حِينَ مَا قَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَأَيْكَ تُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ مَعَ أَنَّهُ
ابْتَلَاكَ بِبَلَاءٍ مَا ابْتَلَى أَحَدًا بِمِثْلِهِ الْجُدَامُ فِي أَطْرَافِكَ وَتَمَزَّقَتِ الثِّيَابُ عَلَى جَسَدِكَ
وَلَا زَوْجَةٌ لَكَ وَلَا وَلَدٌ وَلَا دَارٌ وَلَا أَهْلٌ فَمَا شَأْنُكَ فَقَالَ الْمُبْتَلَى :
شَعْرًا :

حَمِدْتُ اللَّهَ رَبِّي إِذْ هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْخَفِيفِ
فَيَذْكُرُهُ لِسَانِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَعْرِفُهُ فَوَادِي بِاللُّطْفِ

وَكَانَ بَعْضُ الْمَوْفِقِينَ الْمُحَاسِبِينَ لِأَنْفُسِهِمْ يَكْتُبُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي
قُرْطَاسٍ وَيَدْعُ بَيْنَ كُلِّ صَلَاتَيْنِ بَيَاضًا .

وَكُلَّمَا ارْتَكَبَ خَطِيئَةً مِنْ كَلِمَةٍ غَيْبِيَّةٍ أَوْ اسْتَهْزَاءٍ أَوْ كَذَبٍ كِذْبَةً أَوْ
تَكَلَّمَ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ نَظَرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ نَظَرُهُ إِلَيْهِ أَوْ اسْتَمَعَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَوْ أَكَلَ مُشْتَبَهًا أَوْ مَشَى إِلَى مَا لَا يَحِلُّ أَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ
مَدُّهَا إِلَيْهِ .

ذَكَرَهُ فِي هَذَا الْبَيَاضِ لِيَعْتَبِرَ ذُنُوبَهُ وَيُخَصِّصَهَا حَسَبَ قُدْرَتِهِ لِتُضَيِّقَ
الْمَحَاسِبَةُ مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ .

وَمَقَامُ مُحَاسِبَةِ النَّفْسِ يُقَلِّلُ الْكَلَامَ فِيهَا لَا يَعْنِي وَيَحْجِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى
تَقْلِيلِ الذُّنُوبِ وَعَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ لِمُقَابَلَةِ مَا صَدَرَ مِنْهُ وَلَكِنْ هَذَا
الطَّرَازُ يَعِزُّ وَجُودَهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا .

نُقِلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ
أَنْ تَحَاسِبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ ﴿يَوْمَئِذٍ
تَعْرِضُونَ لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ .

فالمحاسبة تكون يضبط الحواس ورعاية الأوقات وإثارة المهمات وحفظ الأنفاس والحرص على أداء العبادات كاملة وبالأخص الصلاة فيكملها بشروطها المذكورة وأركانها وواجباتها وسننها بخشوع وخضوع وطمأنينة وسكون . والعبد يحتاج إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الآداب ترك ما يشغل عن الآخرة .

قال بعضهم إن الرجل ليشتب عارضاة في الإسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك ، قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها .

رؤي عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قال القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل .

وكان العلماء إذا قام أحدهم للصلاة هاب أن يلتفت أو يعث أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسيا .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : ركعتان خفيفتان مقتصدتان في تفكر وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خير من قيام ليلة والقلب ساه في أودية الدنيا .

فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها همه ويقبل عليها مفرغا قلبه وفكره من كل ما يشتته ليؤديها كاملة مكملة .

ثانيه ليس له منها إلا ما عقل منها من معاني الفاتحة وما يقرأ من القرآن ومعاني الركوع والسجود والقيام بين يدي الله ومعاني العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات .

فكم بين رجلين أحدهما قد أشعر قلبه عظمة خالقه الذي هو واقف بين يديه فامتلا قلبه من هيئته وذلت له عنقه واستحى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه .

وآخر قد انصرف قلبه إلى الدنيا يفكر فيها ملتفتاً يميناً وشمالاً ولا يفهم ما يخاطب به لأن قلبه ليس حاضراً معه فبين صلاتيهما كما قال بعض أهل العلم .

إن الرجلين ليكوثان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل بقلبه والآخر ساهو غافل يفكر في البيوع والخصومات والأمانى والخسارات قد ذهب قلبه كل مذهب في أودية الدنيا .

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصلي في نخل له فشغل بالنظر إلى النخل فسها في صلاته فاستعظم ذلك وقال أصابني في مالي فتنة فجعل النخيل في الأرض صدقة في سبيل الله فبلغ ثمن النخيل خمسين ألفاً . فلو أن الواحد منا إذا فائتته الصلاة مع الجماعة تصدق في عشرة فقط لما فائتتنا الصلاة مع الجماعة إلا نادراً ورأيت ما يسرك من المحافظة على الصلاة وكثرة الجماعة وهذا علاج من أحسن العلاجات .

وينبغي استعماله عند ما يصدر كذب أو غيبة أو نظر محرم أو سماع محرم أو نحو ذلك مما يقوله الإنسان أو يفعله عمداً أو سهواً ليتأدب ويستقيم ويقتدى به والله الموفق .

(نصيحة)

يسموا قدر الإنسان وتعلو درجته ومنزلته عند الله جل وعلا وعند خلقه بقدر ما يكون له من استقامة وطهارة قلب وسلامة صدر وحب للخير لجميع المسلمين وتبعد عن الشر والأذى وتضحية بالنفس والمال في سبيل الله وما يقرب

إلى الله وَقَدْ اٰمْتَدَحَ الله اِبْرَاهِيْمَ الْخَلِيْلَ عَلَيْهِ وَعَلٰى نَبِيْنَا اَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَا وَهَبَهُ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ قَلْبٍ وَعِزَّةِ نَفْسٍ وَصِدْقٍ عَزِيْمَةٍ وَقُوَّةِ اِيْمَانٍ .

قال تعالى لما ذَكَرَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْنٰى عَلَيْهِ اَعْقَبُهُ بِذِكْرِ الْخَلِيْلِ فَقَالَ « وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِاِبْرَاهِيْمَ اِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ » .

وَمِنْ دُعَاءِ اِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَلَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ اِلَّا مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ﴾ .

وسَلَامَةُ القلب خلوصه من الشريك وقيل هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة إنتهى .

قلت والذي أرى أن السَلَامَةَ الْكَامِلَةَ لِلْقَلْبِ هي خلوصه من الشريك والشك واليفاق والرياء وتحلوه من الكبر والحقد والحسد والعجب والمكر السيئ والغل والخيلاء .

وتَقَاوُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُكَدِّرُ الصَّفْوَ وَتُثَشِّتُ الشَّمْلَ وتخل بالأمن وتقطع الروابط والصلات بين المُسْلِمِينَ وتورث الضغائن والأحقاذ وتولد العداوة والبغضاء بين المؤمنين .

وكان ﷺ يقول في دعائه « اللهم إني أسألك قلباً سليماً » فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكر سلامة القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله كما في الحديث وإذا فسَدَ فسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ .
ولأن القلوب إذا سَلِمَتْ سَلِمَتِ الجَوَارِحُ اليَدُ وَاللِّسَانُ من الأذى والشُّرُورِ وَسَلِمَتِ أَمْوَالُ النَّاسِ وَأَرْوَاحُهُمْ وَأَعْرَاضُهُمْ وَقَلَّتِ الشُّرُورُ وَالْجَرَائِمُ

والآثام. وقيل إن لقمان كان عبداً حبشياً فدفن إليه سيده شاة وقال إذبحها واثنتي بأطيب مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان ثم بعد أيام أتاه بشاة أخرى . وقال له إذبحها واثنتي بأخبت مضغتين منها فأتاه بالقلب واللسان فسأله سيده عن ذلك فقال هما أطيب شئني إذا طابا وأخبت شئني إذا خبنا .
وذكر العلماء أن صلاح القلب :

- (١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فيه وفيما صح عن النبي ﷺ .
 - (٢) في تقليل الأكل .
 - (٣) قيام الليل وإحيائه بالعبادة .
 - (٤) التضرع عند السحر .
 - (٥) مجالسة الصالحين .
 - (٦) الصمت عما لا يعني .
 - (٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومن فرطت أعمارهم .
 - (٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .
 - (٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح وتُذَرُّ المَفايِدُ وتكثر المصالح فأكل الحرام والمشتبه يُصَدِّي القلب ويُظِلُّهُ ويُقَسِّيهِ وهو من موانع قبول الدعاء .
- وقد قيل يخاف على آكل الحرام والشبهة أن لا يُقبل له عمل ولا يُرفع له دُعاء لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وآكل الحرام والمسترسل مع المشتبهات ليس بمُتَّقٍ على الإطلاق .
- روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أخلي بيني وبين ما يُريد من العبادة أجعل كسبه من غير حل إن تزوج تزوج من حرام وإن أفطر أفطر على حرام ، وإن حجَّ حجَّ من حرام أهـ .
- فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ .
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول :
يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى
يستجاب لذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول
الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾ .
فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يا رسول الله أدع الله أن
يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يا سعد أطب مطعمك تكن
مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليَقْذِفَ اللقمة الحرام في
جوفه ما يُتَقَبَّلُ منه عَمَلٌ أربعينَ يَوْمًا وأيُّما عِبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِن سُخْتٍ فالتار
أُولَى بِهِ » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم
وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل
أصبعيه في أذنيه ثم قال صُمْتُما إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقوله رواه أحمد .
وروى أبو داود في المراسيل عن القاسم بن مُخَيَّمَةَ قال قال رسول الله
ﷺ « مَنْ اكْتَسَبَ مَالاً مِنْ إِثْمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحْمَةً أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ جُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ جَمِيعاً فَقَذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ » .
وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مَنْ اشْتَرَى سَرَقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّهُ سَرَقَةٌ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا » رواه البيهقي .
اللهم اكْفِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ وَاللهُ أَعْلَمُ
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .
وقال عز من قائل ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ .
وقال جل وعلا ﴿ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعِزِّي وَجَلَالِي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا تخافني في الدنيا أمنتُهُ يومَ القيامة وإذا أمنتني في الدنيا أخفنتُهُ في الآخرة » رواه ابن حبان في صحيحه .

وقال إذا أَقْشَعَرَّ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَحَاثَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاثَّ عَنْ الشَّجَرَةِ الْبَالِيَةِ وَرَقُهَا .

وقال الْحَسَنُ رضي الله عنه إن الرجل لَيَذْنِبُ فَمَا يَنْسَاهُ وَلَا يَزَالُ مُتَخَوِّفًا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرِ الْحَشِيَّةُ هِيَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ حَتَّى تَحُولَ تَخَشُّيتُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَتَلَ مِنْ رَحْمَتِهِ » رواه مسلم .

وعنه قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ ثم قال « أتدرون ما أخبارها » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول : عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ

كذا وكذا فهذه أخبارها » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصَّبُ في النار صَبْغَةً ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرَّ بك نعيم قط فيقول لا والله يارب .

ويؤتى بأشدَّ الناس بُؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصَّبُ صَبْغَةً في الجنة فيقال يا ابن آدم هل رأيت بُؤساً قط هل مرَّ بك شدة قط فيقول والله يا رب ما مرَّ بي بُؤس قط ولا رأيت شدة قط .

وعنه رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ خُطْبَةً ما سمِعتُ مثلاً قط فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » فعطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين ، رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس قال « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، رواه البخاري .
وعن أبي يعلى شَدَاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « أَلَكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قَارِبُوا وَسَدُّوا واعلموا أنه لَنْ يَنْجُوا أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وفضل » رواه مسلم .

فيا عباد الله مَنْ خَافَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فِي دُنْيَاهُ أَمَّنَهُ اللَّهُ فِي آخِرَاهُ وَلَوْ آمَنَ الْإِنْسَانُ حَقّاً بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ وَجَزَمَ يَقِيناً بِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهِمَا إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً .

ولو خاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحد الأشرار لما اجترأ يوماً أن يتخطى شريعة الله أو ينتهك محارم الله التي حذر من تخطئها بقوله عز وجل

﴿ ومن يعصِ الله ورسوله وَيَتَعَدَى حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
مُهِين ﴾

وقوله تعالى ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله
فأولئك هم الظالمون ﴾ .

فاتق الله أيها المسلم وعظ نفسك في كل وقت بما بعده من الشدائد
والكروب والعقبات وحاسب نفسك على كل ما تفتقره وتفعله من السيئات
واتخذ من تقوى الله سترأ يقيك من غضب الله وعذابه .
فما أسعد من جعل التقوى رأس ماله وما أرشد من راقب الله في جميع
أحواله فيا ويح من نسي الآخرة وأجهد نفسه في طلب الدنيا وكان بها جل
اشتغاله .

أما وعظه من راحل من أعمامه وأخواله فالعجب بمن أفصح له العبر
وليس عنده سمع ولا بصير أيكي فاقد الإليف وينسى نفسه ، أين مضى
رفقاؤنا أين ذهب معارفنا وأصدقائنا ، هذه دؤرهم فيها سيواهم ، وهذا محبهم
قد نسيهم وجفاهم .

فتفكرو إخواني في الراجلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا في البصائر حال
الذين وتأهبوا فأنتم في أثر الماضين .
فيما مطلقاً إذ ذكر قيودهم وبما متحركاً قد عرفت همودهم فخلص نفسك
من أسر الذنوب وتأهب لخلصك فإنك مطلوب وتذكر بقلبك يوم تقلب
القلوب .

واحذر حسرات الموت عند انقضاء المدة واحذر تسويف الدين ذهبوا
وما تأهبوا .

فكأن بك أيها الغافل في لهوه ولعبه الرافل في أثواب غيه وطربه الساعي
في معصية ربه وغضبه فلم يشعر إلا وقد نزل به من الموت أسباب عطيه .

فَذَبَّتْ الْأَمْرَاضُ فِي جَسَدِهِ وَأُبْدِلَ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ بِمُرِّ السَّقَمِ وَنَكِيدِهِ
وَأَنْتَزَعَتْهُ الْمُتُونُ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ .
فَزُوْدَ مِنْ مَالِهِ كَفَفْنَا وَاعْتَاظَ عَنِ الْقُصُورِ مَحَلَّةَ الْأَمْوَاتِ وَطَلْنَا يَتَمَنَّى
الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَجْتَهِدَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ فَيُقَالَ لَهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ حَيْلُ
بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَاتِ .
أَلَمْ يَأْتِكَ نَحِيرُ هَذَا الْمَصِيرِ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ ﴿ أَوْ لَمْ
تُعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنْ
يَتَمَنُّونَ الرَّجْعَةَ فَلَا يَقْدِرُونَ وَلَا يُجَابُونَ .

قال بعضهم :

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي	وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ	مَلِكٌ يُرْجَى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِيبِ
إِلَى الصَّمِيدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ	وَعَمَّ الْوَرَى طَرّاً بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
مُقِيلِي إِذَا زَلْتُ رَبِّي الثُّغْلَ عَائِراً	وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وَأَكْرَامٍ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلْطُفاً	وَيَذْفَعُ عَنِّي فِي صُدُورِ الثَّوَائِبِ
وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا	جَنِيناً وَيَحْمِنُنِي وَيَبِيَّ الْمَكَاسِبِ
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْثَالَكَ دُونِي قُصُورَهُمْ	وَنَهَنَهُ عَنْ غِيْشَانِهِمْ زَجْرَ حَاجِبِ
فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهْنِمِينَ طَارِقاً	مُدِلاً أَلْدَادِي بِإِسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أَلِفْ حُجَاباً وَلَمْ أَخْشَ مِنْعَةً	وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَائِبِ
كَرِيمٍ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا	نَهَاراً وَلَيْلاً فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ

سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إِنْ يَمِئْتُهُ تَسْبِيحُ دِفَاقِ بِاللَّهِىِ وَالرُّغَائِبِ
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَزَاهِرِ مَلَجًا وَحِرْزًا إِذَا خِيفَتْ سِيَاهُ النُّوَابِ
اللهم هب لنا ما وهبته لعبادك الأخيار وأنظمننا في سلك المقرين
والأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا
ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله
وصحبه أجمعين .

(فصل)

قال الله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ وقال تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ الآية .
فالعاقِل مَنْ يَأْخُذُ أَهْبَتَهُ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَيَتَهَيَّأُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .
فَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَظَرٍ إِلَى الْمَاضِي بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِفَادَةِ وَالْحَاسِبَةِ ،
وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ نَظَرٍ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ لِإِعْدَادِ الْعُدَّةِ وَتَهْيِئَةِ الزَّادِ وَلَا بَدَّ مِنْ تَوْجِيهِ
إِهْتِمَامِهِ إِلَى الْحَاضِرِ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا لِيُغْتَنِمَهَا قَبْلَ أَنْ تَقْلُتَ وَتَضِيعَ مَعَ مَا
فَرَطَ وَضَاعَ .

دَقَاتِ قَلْبٍ الْمَرءِ قَائِلَةً لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي

فساعات العمر ثلاث ساعة مَضَتْ ، وساعة مُسْتَقْبَلَة ، لا يدري أيِّ عِيش
إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها ، وساعة راحة ينبغي أن يجاهد نفسه في
تعبتها في الطاعة في الباقيات الصالحات سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر .

فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته
الساعة استوفى حقه منها وليحذر طول الأمل بل يجعل نفسه ابنَ وقته كأنه في
آخِرِ أنفاسِهِ .

ويحرص جُهدَهُ على أن يكون على حالة لا يكره أن يدركه الموت وهو
عليها وليجعل ما رواه أبو ذر نصب عينيه من قول النبي ﷺ « لا يكون
المؤمن ضاعناً إلا في ثلاث : تَزَوُّدٌ لِمَعَادٍ أَوْ مَرْمَّةٌ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ حَرَامٍ »
وَلِيَحْذَرَ الْآفَاتِ الْقَاتِلَةَ لِلْوَقْتِ وَمِنْ أَعْظَمِ الْآفَاتِ الْغَفْلَةُ وَهِيَ مَرَضٌ
يَصِيبُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ بِحَيْثُ يَفْقَدُ الْحَسَّ الْوَاعِي بِالْأَحْدَاثِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَيَفْقِدُ الْإِنْتِبَاهَ الْيَقِظُ إِلَى مَعَائِنِ الْأَشْيَاءِ وَعَوَاقِبِ الْأُمُورِ .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الغفلة أشد التحذير وبين عقوبة الذين
غفلوا عن الله وآياته فقال لرسوله ﷺ ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا
وْخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .
وقال تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا ﴾ قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان أمره فرطاً .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم أغني لا ينصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها
أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون ﴾ وقال ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا غافلين ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ الآيات فعلى اللبيب العاقل أن
يَحذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ عَنْ مُقَارَبَةِ الْغَافِلِينَ لِأَنَّهُ يُصِيبُهُ هَذَا الْمَرَضُ الْفَتَّاكُ .

والآفة الثانية وهي أيضاً من أعظم الآفات ومن أشدها خطراً على قتل
الوقت وهي آفة التسويف والتأخير حتى رُبَّمَا صَارَتْ كَلِمَةً سَوَفَ شِعَاراً لَهُ
وطابعاً لِسُلُوكِهِ .

وقيل لبعض العقلاء أَوْصِنَا فَقَالَ أَحْذَرُوا سَوَةَ ، فَمَنْ حَقَّ يَوْمُكَ عَلَيْكَ
أَنْ تَعْمُرَهُ بَطَاعَةِ اللَّهِ وَذَلِكَ بِالنَّافِعِ مِنَ الْعِلْمِ وَالصَّالِحِ مِنَ الْعَمَلِ .

وقال الحسن البصري إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ فَإِنَّكَ يَوْمُكَ وَلَسْتُ بِغَدِكَ ، فَإِنْ
يَكُنْ غَدٌ لَكَ فَكُنْ فِي غَدٍ كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ لَمْ تَنْدَمْ عَلَى
مَاقَرَطَةٍ فِي الْيَوْمِ .

وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ لَهُ لِإِيَّاكَ وَتَأْمِيرِ التَّسْوِيفِ عَلَى نَفْسِكَ وَإِمْكَانِيهِ مِنْ قَلْبِكَ ، فَإِنَّ مَحَلَّ الْكَلَالِ وَمَوْزِلَ الثَّلَفِ وَبِهِ تَنْقَطِعُ الْأَمَالُ وَفِيهِ تَنْقَطِعُ الْأَجَالُ وَبَادِرُ يَا أَخِي فَإِنَّهُ مُبَادِرٌ بِكَ وَأَسْرِعُ فَإِنَّهُ مُسْرِعٌ بِكَ وَجَدُّ فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ وَثَبُّ قَطْرٍ مِنْ رَقْدَتِكَ وَالتَّيْبَةُ مِنْ غَفْلَتِكَ .

وَتَذَكُّرُ مَا أَسْلَفْتَ وَقَصُرْتَ وَفَرَطْتَ وَجَنَيْتَ وَعَمِلْتَ فَإِنَّهُ مُقْبِتٌ مُخَصًى فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغْتَكَ فَاغْتَبِطْ بِمَا قَدَّمْتَ أَوْ نَدِمْتَ عَلَى مَا فَرَطْتَ .
ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ فِي التَّسْوِيفِ وَتَأْخِيرِ الْوَاجِبِ آفَاتٌ مِنْهَا أَنْكَ لَا تَضْمَنُ أَنْ تَعِيشَ إِلَى الْغَدِ وَلَا سِيَّمًا فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْحَوَادِثُ بِرَغْمِ تَقَدُّمِ الطَّبِّ وَتَوَفُّرِ النِّعَمِ وَتَقَدُّمِ الْعِلْمِ .

وَلَكِنْ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْمَوْتَ بِسَبَبِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَا تُخَصًى كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَسْبَابِ أَدَوَاتِ الْحَضَارَةِ : السَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَالْآلَاتِ وَالْأَجْهَزَةِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ وَالْكَهْرِبَايَّةِ وَالْقَزِ وَالنَّقِيطِ وَغَيْرِهَا بَلِ الْعِلْمُ هُوَ الَّذِي نَشَأَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بِإِذْنِ اللَّهِ حَيْثُ كَانَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ حُصُولِ هَذِهِ فِي أَمَانٍ مِنْهَا .

ثَانِيًا : إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ إِلَى الْعَدِّ لَا تَأْمَنُ مِنَ الْمُعَوَّقاتِ مِنْ مَرَضٍ طَارِئٍ أَوْ شُغْلٍ غَارِضٍ أَوْ بَلَاءٍ نَازِلٍ بِهِ فَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْحَازِمِ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى اغْتِنَامِ الْفُرْصِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَكَانَ الْعَجْزُ أَنْ تُؤَخَّرَ وَتُؤَجَّلَ حَتَّى تُفُوتَكَ الْفُرْصَةُ وَتُشْكَو مِنَ الْعُصَةِ وَقَدْ قِيلَ :

وَلَا تُؤَخَّرْ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضَتْ فَهُمْ يَقُولُونَ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٌ
آخِر :

عَلَيْكَ بِأَمْرِ الْيَوْمِ لَا تَنْتَظِرْ غَدًا فَمَنْ لَعِدَ مِنْ حَدَثٍ بِكَفَيْلٍ
آخِر :

وَلَا أُجِرْ شُغْلُ الْيَوْمِ عَنْ كَسَلٍ إِنْ غَدَ إِنْ يَوْمَ الْعَاجِزِينَ غَدُ

وقال النبي ﷺ لِرَجُلٍ « اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ،
وصحتك قَبْلَ سَقَمِكَ ، وفراغك قَبْلَ شُغْلِكَ ، وشبابك قَبْلَ هَرَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ
فَقْرِكَ .

وقال أَحَدُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الشُّبَّانِ إِعْمَلْ قَبْلَ أَنْ لَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَعْمَلَ فَأَنَا
أُبْغِي أَنْ أَعْمَلَ الْيَوْمَ فَلَا أَسْتَطِيعُ وَكَانَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سَيِّرِينَ تَقُولُ : يَا مَعْشَرَ
الشُّبَّانِ اعْمَلُوا فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشُّبَابِ .

ثالثاً : أَنْ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ وَلِكُلِّ وَقْتٍ وَاجِبَاتُهُ فَلَيْسَ وَقْتُ فَارِغٍ مِنَ
الْعَمَلِ وَلَمَّا قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِرْهَاقُ وَالتَّعَبُ مِنْ
كَثْرَةِ الْعَمَلِ أُخِرَ هَذَا إِلَى الْعَدِّ فَقَالَ أَعْيَانِي عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ
عَلَيَّ عَمَلُ يَوْمَيْنِ .

وقال آخِرُ : حُقُوقُ فِي الْأَوْقَاتِ يُمَكِّنُ قَضَائُهَا وَحُقُوقُ الْأَوْقَاتِ لَا
يُمَكِّنُ قَضَائُهَا إِذَا مَا مِنْ وَقْتٍ إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِ حَقٌّ جَدِيدٌ وَأَمْرٌ أَكِيدُ فَكَيْفَ
تَقْضِي حَقَّ غَيْرِهِ وَأَنْتَ لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللَّهِ .

رابعاً : تَأْخِيرُ الطَّاعَاتِ وَالتَّسْوِيفُ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ يَجْعَلُ النَّفْسَ تَعْتَادُ
تَرْكَهَا وَالْعَادَةُ إِذَا رَسَخَتْ أَصْبَحَتْ طَبِيعَةً يَصْنَعُ قَلْبُهَا .

حتى إِنْ الْإِنْسَانُ يَقْنَعُ بِوُجُوبِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الطَّاعَاتِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ
لَكِنَّهُ لَا تَسَاعِدُهُ الْإِرَادَةُ بَلْ يَجِدُ كَسَلًا وَتَثَاقُلًا عَنِ الْعَمَلِ وَإِعْرَاضًا عَنْهُ وَمِثْلُ
هَذَا يُوجَدُ فِي التَّسْوِيفِ فِي التَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي .

فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا عَتَادَتْ إِرْتِكَابَ الْمَعَاصِي يَعْسُرُ مَنَعُهَا مِنْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
تَزْدَادُ حُبًّا لَهَا وَتَزْدَادُ ضَخَامَةً الْمَعْصِيَةِ وَيَكْثُرُ أَثَرُهَا فِي الْقَلْبِ حَتَّى يَعْصِمُ ظِلَامُهَا
فَلَا يَتَفَقَّدُ إِلَيْهِ الْهُدَى وَانْظُرْ إِلَى الْغِيْبَةِ وَالْكَذِبِ وَالرِّبَاءِ وَنَحْوِهَا كَيْفَ يَعْجِزُ الْمَرْءُ
عَنْ قَهْرِ نَفْسِهِ عَنْهَا .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ : إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا أُذْنِبَ ذَنْبًا كَانَتْ نَكْتَةً

سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صُفِّلَ قلبه فإن زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلَى
قلبه وَذَلِكَ الرَأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

اللهم اغفر لنا وارحمنا ووفقنا للعمل بطاعتك وأصلح لنا شأننا كله
وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

(فوائد متنوعة)

إعلم أن الدين شطران أَحَدُهُمَا تَرْكُ الْمَنَاهِي وَالْآخَرُ فِعْلُ الطَّاعَاتِ ،
وترك المناهي هُوَ الْأَشَدُّ فَإِنَّ الطَّاعَاتِ يَقْدَرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ وَتَرْكُ الشَّهَوَاتِ لَا
يَقْدَرُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ وَلِذَلِكَ الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ
جَاهَدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ .

واعلم أنك إنما تعصي الله بِجَوَارِحِكَ وَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ
عِنْدَكَ فَاسْتَعِثْكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ كُفِّرْ لِلنَّعْمَةِ وَخِيَانَةً فِي أَمَانَةٍ أَوْدَعَكَ اللَّهُ
إِيَّاهَا .

فَأَعْضَاؤُكَ تَحْتَ رِعَايَتِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْعَاهَا فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَأَعْضَاؤُكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ثم اعلم أن من أمهات المعاملة ما يلي :
الأولى : مُعَامَلَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهِيَ بِالْإِتِّجَاعِ إِلَيْهِ وَرُؤْيَةِ أَنْ لَا سِوَاهُ
وَأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كُلُّهُ خَالِصاً لَهُ وَلَا طَرِيقَ سِوَى الْإِعْتِرَافِ بِالْعَجْزِ عَنْ بُلُوغِ
أَدَاءِ مَا يَسْتَحِقُّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقْدُسَ .

وَلِيَحْذَرَ الْعَبْدُ أَنْ يَفْقِدَهُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُ أَوْ يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ وَلِيَتَّقِ بِهِ غَايَةَ
الْيَقِينَةِ لَا يَغْيِرُهُ فَمَنْ غَامَلَهُ جَلَّ وَعَلَا رَبَّحَ وَأَفْلَحَ وَرَشَّدَ وَأَصْلَحَ .

الثانية : مُعَامَلَةُ النَفْسِ الأَمَارَةِ بالسَّوِّءِ وَذَلِكَ بِمَنْعِهَا عَنْ هَوَاهَا ، قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَىٰ النَفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ ﴾ .

وَإِذْ لَإِذَا وَرَدُ جِمَاحُهَا بِالطَّاعَةِ وَكَسَرَهَا فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ أَكْبَرُ الْأَعْدَاءِ وَذَلِكَ
بِأَن يَنْظُرَ فِي الْقَلْبِ فَيُطَهِّرُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ كَالرِّيَاءِ وَالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ
وَالْعُجْبِ .

وَالْبَخْلَ وَالْحِرْصَ وَالطَّمْعَ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَالْغَشَّ وَحُبَّ الثَّنَاءِ وَالْوُلُوعَ
بِالشَّهَوَاتِ وَمَحَبَّةَ الدُّنْيَا وَالْغَفْلَةَ عَنِ الْآخِرَةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَائِزِ الْمَذْمُومَةِ .
وَبِأَن يَغْرِسَ فِيهِ الْإِخْلَاصَ وَالتَّوَاضُّعَ وَالنَّصِيحَةَ وَالشَّفِيقَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ
وَالْتِهَافَ بِالذَّمِّ لِأَنَّ الَّذِي يَذْمُوكَ يُهْدِي لَكَ الْحَسَنَاتِ .

فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْنَفَ مِنَ الْمَذْمَةِ بَلْ أَفْرَحْ بِهَا لِأَنَّمَا يَأْنَفُ مِنْهَا الرَّجُلُ
الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَعَاطِظُ فِي نَفْسِهِ الْجَاهِلُ بِأَسْوَأِيهِ وَإِنَّمَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكُنَّاسِ لِلْقَاذُورَاتِ
إِذَا قِيلَ لِنَاكِ مُتَلَطِّخٌ بِالنَّجَاسَةِ فَاغْسِلِيهَا فَاسْتَعْظَمَ مَا قِيلَ لَهُ وَاشْتَمَزَ وَأَيْفَ مِنْهُ
وَعُظِيبٌ عَلَى الْقَائِلِ .

وَالْمُتَلَوِّثُ بِالذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاسِدَةِ أَقْدَرُ وَأَسْوَأُ حَالاً مِنَ الْكُنَّاسِ
الْمُتَلَطِّخِ بِالنَّجَاسَةِ فَلَمَّاذَا يَغْضِبُ وَقَدْ اسْتَوْجِبَ الذَّمَّ سِرّاً وَجَهراً وَهُوَ أَخْسَرُ مِنْهُ
لَوْ تَفَكَّرَ وَأَبْصَرَ وَعَقَلَ وَفَهِمَ .

وَمَا يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِهِ اعْتِمَادَ الشُّكْرِ وَالسَّخَاءِ وَمَحَبَّةِ الْآخِرَةِ وَمَا يَقْرُبُ
إِلَيْهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا الْحَرَمَةِ بِكُلِّ حَالٍ .
وَيَسْعَى فِي طَلَبِ الْحَلَالِ مَا أَمَكَّنَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ .
ثُمَّ يُطَهِّرُ لِسَانَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْغِيبَةِ وَالنِّمِصَّةِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَسَائِرِ فَضَلَاتِ
الْأَلْسِنَةِ .

ثُمَّ يُطَهِّرُ يَدَهُ وَبَطْنَهُ وَفَرْجَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَسَائِرَ جَوَارِحِهِ وَيَنْظُرُ فِي

جَلْ مُطْعِمِهِ وَمَلْبَسِيهِ وَسَائِرَ تَصَرُّفِهِ وَلَا يُطِيعُ نَفْسَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَوَاهَا إِلَّا اللَّهُم
أَنْ يَخْشَى النُّفُورَ الْكُلِّيَّ .

فإنه يُرَفِّقُ عليها بشيءٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ مَعَ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِقْلَالِ
مَا أَمَكْنَ وَيُتَنَّى نَفْسَهُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ مَا أَمَكْنَ .

(فَصْل)

عِلْمُ الْأَخْلَاقِ هُوَ عِلْمٌ بِأَصُولٍ يُعْرَفُ بِهَا أَنْوَاعُ الْفَضَائِلِ وَكَيْفِيَّةُ
اِكْتِسَابِهَا وَأَنْوَاعُ الرَّذَائِلِ وَكَيْفِيَّةُ اجْتِنَابِهَا وَفَائِدَةُ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ تَخْلُقُ الْإِنْسَانَ
بِالْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَتَجَنِّبُهُ الْأَخْلَاقَ الْمَذْمُومَةَ كَمَا قِيلَ :

بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كُنْ مُتَحَلِّقاً لِيَفُوحَ مِنْكَ ثَنَائِكَ الْعَطِيرِ الشَّدِيدِ
وَاصْدُقْ صَدِيقَكَ إِنْ أَرَدْتَ صِدَاقَةً وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِالَّتِي فَإِذَا الْوَدَى

وَرَوَى أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى وَلَدَهُ بِأَرْبَعِ حِكَمٍ اخْتَارَهَا مِنْ حِكْمِهِ
فَقَالَ لَهُ تَذَكَّرْ اثْنَتَيْنِ وَائْسَ اثْنَتَيْنِ فَأَمَّا اللَّتَانِ أَوْصَاهُ بِتَذَكْرِهِمَا فَالذُّنْبُ وَالْمَوْتُ
وَأَمَّا اللَّتَانِ أَوْصَاهُ بِنِسْيَانِهِمَا فَإِحْسَانُهُ لِلنَّاسِ وَإِسَاءَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَقَدْ نَظَّمَهَا
بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

إِذَا شَغَتْ أَنْ تُحْيَا وَدِيْنَكَ سَالِمٌ وَعَقْلُكَ مَوْفُورٌ يَزِيدُ وَيَكْمُلُ
فَكُنْ مُعْرِضاً عَنْ كُلِّ يَرِ صَنَعْتُهُ مَعَ النَّاسِ وَالسُّوءِ الَّذِي بِكَ يُعْمَلُ
وَكُنْ ذَاكِراً لِلذُّنْبِ وَالْمَوْتِ تَعْمَلَنَّ بِمَا اخْتَارَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ الْمُفْضُلُ

الثالثة : مُعَامَلَةُ الشَّيْطَانِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَتَنَّى وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَدُوُّهُ اللَّئِيمُ
الْوَاصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةُ لَيْلاً وَنَهَاراً سراً وَجَهَاراً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ﴿ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ اتَّخِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

بئس للظالمين بدلاً ﴿ وقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ .

الرابعة : معاملة الدنيا وهي كل ما لا نفع فيه في الآخرة فهو دُثَيُوي وما فيه نفع فأخروي وإن كان من أعمال الدنيا .

ومعاملة الدنيا بأن يعرف العبد أنه لا راحة فيها فلا يطلبها ولا يتعلق قلبه بالترفع والترفة والرياسة فيها وليس له منها إلا الكفاية فلا يطلب منها إلا ما يطلبه المسافر مما يُبلِّغُه منزله .

وهذا لا يتم إلا بالبناء على قُرْبِ الأجل وسُرْعَةِ الموت فإنه مَنْ أطال الأمل أساء العَمَل .

الخامسة : مُعَامَلَةُ الخلق وقد عَظُمَتِ الْبَلَاوى بهم فإن لهم حقوقاً ومنهم وبَسْبَبِهِمْ تَنَشَأُ أكثر الشرور فَلْيَقُمْ الْعَبْدُ بِحَقُوقِهِمْ وَيُسْقِطْ حَقَّهُ مَا أَمَكَنَ وَلْيُبْعِدْ عَنْهُمْ جُهْدَهُ إِنْ صَلَحَتْ لَهُ الْفُرْزَةُ .

وإن لم تُصْلَحْ فلا يُجَالِسْ إِلَّا مَنْ فِيهِ خَيْرٌ فجلّيس الخير خير من الوحدة والوحدة خير من جليّس السوء .

ويجب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه لحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ويكره لهم ما يكره لها وتكون محبته في الله وبغضه في الله وموالاته ومعاداته كذلك .

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على ما تُوجبه الشريعة بقدر طاقته .
ويملك نفسه عند الشهوة والغضب ولا يُعَجِّلْ في شيء من الأمور
فَيُخْطِئَ فَإِنَّ الْعَجَلَةَ تُكْنَى أُمُّ التَّدَامَةِ وَلَا يَتَوَانَى فَيَبْطُلَ وَلَا يَدَاهِنُ عَلَى الْمَغْصِيَةِ .

ولا يُخِلْ بالمُدَارَاتِ الْجَائِزَةِ عِنْدَ خَوْفِ الْمَضَرَّةِ وَلْيُحْسِنِ الظَّنَّ بِهِمْ مَا أَمَكَنَهُ وَيَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَقْتَدِيَ بِهِ وَإِلَى مَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا .

فَيَأْمَنُ مِنْ احْتِقَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيُكْثِرُ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ فَضَّلَهُ عَلَى
 كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ .
 وبِالْجُمْلَةِ فَمَا عُرِفَ رُشْدُهُ اتَّبَعَهُ وَمَا عُرِفَ قُبْحُهُ اجْتَنَبَهُ وَمَا التَّبَسَّ عَلَيْهِ
 تَوَقَّفَ فِي الْحُكْمِ وَاجْتَنَهَدَ فِي طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ .
 ثُمَّ يُعْمَلُ بِمُقْتَضَاهَا وَمَا تَعَارَضَ فِيهِ مُرَجِّحٌ لِلْفِعْلِ وَمُرَجِّحٌ لِلتَّرِكِ فَلْيَكُنْ
 مَيْلُهُ إِلَى التَّرِكِ كَالْكَلَامِ وَالصَّمْتِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَجِّحُ الْفِعْلِ أَقْوَى وَلِلْأُمُورِ
 قَرَائِنٌ وَدَوَاعِي وَمَرْجِحَاتٌ .

احفظ لسانك من ثمانية :

الأول : الكذب في الجِدِّ والهزل ولا تُعَوِّذْ نَفْسَكَ الْكَذِبَ هَزْلاً فَيَدْعُوكَ
 إِلَى الْكَذِبِ فِي الْجِدِّ وَالْكَذِبُ مَنْ أَرْدَلَ الرِّذَائِلَ إِذَا عُرِفَ بِهِ الشَّخْصُ وَاشْتَهَرَ
 عَنْهُ سَقَطَتْ عِدَّتُهُ .
 وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ الْكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ فَانْظُرْ إِلَى كَذِبِ غَيْرِكَ
 وَإِلَى تَفَرُّتِ نَفْسِكَ عَنْهُ وَاسْتِحْقَارِكَ لِصَاحِبِهِ وَاسْتِقْبَاحِكَ لِكَذِبِهِ .
 وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ فِي جَمِيعِ عُيُوبِ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ
 نَفْسِكَ بَلْ مِنْ غَيْرِكَ فَمَا اسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ يَسْتَقْبَحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ بَلَا شَكٍّ فَلَا
 تَرْضَ لِنَفْسِكَ ذَلِكَ .

الثاني : الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ فَإِنَّكَ أَنْ تَعِدَ بِشَيْءٍ وَلَا تَقِي بِهِ بَلْ يَتَّبِعِي أَنْ
 يَكُونَ الْإِحْسَانُ مِنْكَ إِلَى النَّاسِ فِعْلاً بَلَا قَوْلٍ فَإِنْ اضْطَرَّرْتَ إِلَى الْوَعْدِ فَإِنَّكَ أَنْ
 تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةٍ .
 فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلَالِمَاتِ التَّنَافُقِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ
 فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ التَّنَافُقِ
 حَتَّى يَدْعَوْهَا .

إذا أوْثِمَنَ نَحَان ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا عَاهَدَ غَنَرَ ، وإذا نَحَصَمَ فَجَرَ » متفق عليه .

الثالث : حِفْظُ اللِّسَانِ مِنَ الْغِيْبَةِ ، والغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه لو سَمِعَهُ ، ويدخل فيها التمثيليات ومُحَاكَاتُ الْهَيْئَاتِ .

الرابع : الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ لِأَن فِيهِ إِنْدَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ وَتَجْهِيلٌ لَهُ وَطَعْنٌ فِيهِ وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَزْكِيَةٌ لَهَا بِمَزِيدِ الْفِطْنَةِ وَالْعِلْمِ ثُمَّ هُوَ أَيْضًا مُشْوِشٌ لِلْعَيْشِ فَإِنَّكَ لَا تُمَارِي سَفِيهَا إِلَّا يُوْذِيكَ وَلَا تُمَارِي حَلِيمًا إِلَّا يَقْلِيلُكَ وَيَحْقِدُ عَلَيْكَ وَيَسْتَعِي فِي أذْنِكَ غَالِبًا .

الخامس : تَزْكِيَةُ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

قيل لبعض الحكماء : ما الصديق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه فَإِنَّكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ يُنْقِصُ قَدْرَكَ حَتَّى عِنْدَ النَّاسِ .
فإذا أَرَدْتَ أَنْ تُعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ فَانْظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ وَزُمَلَائِكَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ .
وَكَيْفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَقْبِلُهُ طَبْعُكَ وَكَيْفَ تَذُمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ مِثْلُكَ بِالضَّبْطِ بِالكَرَاهَةِ وَالذَّمِّ .

السادس : اللَّعْنُ فَإِنَّكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ حَيَوَانَ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بَعِيْنِهِ وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ بَشْرَكَ أَوْ نِفَاقَ أَوْ كُفْرَ فَإِنَّ الْمَطْلَعِ عَلَى السَّرَائِرِ هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

السابع : الدِّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكُلِّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتَسِبِ الْأَجَرَ مِنَ اللَّهِ .

الثامن : الْمَزَاحُ وَالسُّخْرِيَّةُ وَالْإِسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْجَدِّ

وَالهَزَلُ فَإِنَّهُ يُرِيقُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيُسْقِطُ الْمِهَابَةَ وَيَسْتَجْلِبُ الْوَحْشَةَ وَيُؤْذِي الْقُلُوبَ.

وَهُوَ مَبْدَأُ الشَّرِّ وَاللَّجَاجِ وَالْغَضَبِ وَمِفْتَاحُ الْعَدَاوَةِ وَالتَّصَارُفِ وَالتَّدَابُرِ وَيَغْرِسُ الْحَقْدَ فِي الْقُلُوبِ فَاحْذَرُ أَنْ تُمَارِخَهُمْ وَإِنْ مَارَخُوكَ فَلَا تَجْبِهِمْ .
وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مَرُّوا كِرَامًا .

وَعَلَيْكَ بِالْإِبْتِعَادِ عَنْ مَنْ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ السُّخْرِيَّةُ .
وَالْمَرْحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَنَحْوُهَا كَالْغِيَةِ وَالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَهَذِهِ سَجَايَا الْأَرَاذِلِ وَالسُّفْلِ وَالْأَنْذَالِ وَالسَّاقِطِينَ وَسُخْفَاءِ الْعُقُولِ وَالْبُعِيدِينَ عَنِ الدِّينِ وَتَعَالِيهِ .
عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي فَوَائِدَ مُنَوَّعَةٍ)

وَالَّذِيكَ بَعْضُ الْأَدَابِ ، لَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عِظَمِيكَ وَلَا تَكْثُرِ الْإِلْتِفَاتِ ، وَلَا تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَلَا تَسْتَوْفِرْ ، وَلَا تُشِيبَكَ أَصَابِعُكَ .

وَلَا تُغَبِّثْ بِلِحْيَتِكَ وَخَائِمِكَ ، وَلَا تُخَلِّلْ أَسْنَانَكَ تَوْذِي مَنْ حَوْلَكَ بِمَا يَقْرُحُ مِنْ فَمِكَ ، وَلَا تُدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أَنْفِكَ فَتَخْرُجَ الْأَوْسَاحُ .
وَلَا تَكْثُرِ الْبِصَاقَ وَالتَّمْطِيَّ وَالتَّثَاوُبَ ، وَلَا تَقْلَمَ أَضْفَارَكَ أَمَامَ الْجُلُوسِ ، فَكُلْ هَذِهِ تَكْرَهُ وَلَا تَنَامْ عِنْدَ الْجُلُوسِ ، وَلَا تَجْلِسْ عِنْدَ النَّيَامِ ، وَلَا تَنَامَ فِي سَطْحٍ مَا لَهُ حِجَا ، وَلَا تَنَامَ حَوْلَ النَّارِ ، وَلَا بِالطَّرِيقِ .

واحذر قتالات الأوقات التلفزيون والفديو والمذيع والكثرة والجرائد والمجلات .

وليكن مجلسك هادئاً وحديثك منتظماً مُرتباً مفتوحاً بذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ وبين للناس ما يعود عليهم بالمنافع الأخروية . ويشغلهم بما هم محتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم ، وليكن مجلسك ما يخلو من الفوائد أو من تخفيف الشرور ودفعها بحسب القدرة . ولا تليح في الحاجات ولا تُعلم أحداً من أهلِكَ وولَدِكَ فضلاً عن غيرهم بمقدار مالِكَ فإنهم إن رَوْهُ قليلاً هُنْتَ عليهم وسَقَطَتْ مِنْ أعينهم ، وإن رَاَوْهُ كثيراً لم تُبلِّغ رضاهم .

واحذر أن تقسيمه عليهم وأنت حي فتندم كما ندم من فعل ذلك واجفهم من غير عنف وإن لم من غير ضعف .

ولا تُهازل أولادَكَ ولا تُخدِّمَكَ فيسقط قنركَ عندهم وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتكَ وتفكر في حجتكَ .

ولا تكثر الإشارة بيدِكَ ولا تُكثر الإلتفات إلى ورائِكَ ولا تجث على ركبتيكَ وإذا هَذَا غَضَبُكَ فتكلم بحشية أن يفرط منك ما تندم عليه ولا في إمكانِكَ استدراكه .

ولِيَاكَ وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مَالَكَ أَكْرَمَ من عِرْضِكَ .

وإذا أَرَدْتَ مُعَامَلَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أو أَرَدْتَ مُصَاهَرَتَهُ فاسأل أولاً عنه الْمُعَامِلِينَ له والجيران والقَرَابَةَ أو مَنْ سَافَرُوا مَعَهُ .

واجتنب مصاحبة الكذاب فإنه مثل السراب يلمع ولا يتنفع ، واخرص على أن لا تُعَادِي أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ولا تكون منك إساءة إلى مَنْ عَادَاكَ واضربك بل اذفع بالتي هي أحسن كما أُرشدَ إليه الله في القرآن .

وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ وَلَيْنَ لَهُ الْقَوْلَ فَإِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعُلَمَاءِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ أَنْ
يُبِيدُوا الْعَدُوَّ صَدِيقاً وَالْجَاهِلَ عَالِماً وَالْفَاجِرَ بَرّاً قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اذْفَعْ بِالْيَمِينِ
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وَأَصْنَعْ إِلَى الْكَلَامِ
الْحَسَنَ مِمَّنْ حَدَّثَكَ وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ .

وَاسْكُتْ عَنِ الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا تُعَوِّدُ عَلَيْكَ إِلَّا بِالضَّرَرِ ،
وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوِلْدِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخُصُّكَ .
وَلَا تَتَّصِنَعْ تَصْنَعُ الْمَرْأَةِ فِي التَّزْوِينِ ، وَلَا تَتَبَدَّلَ تَبَدُّلَ الْعَبْدِ وَلَا تُسْبِلَ
ثِيَابَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَخْلُقَ لِحَيْتَكَ أَوْ تُوقِرَ شَارِبَكَ ، وَلَا تُشَجِّعَ أَحَدًا عَلَى ظُلْمٍ .
وَالْقَى صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بَعَيْنِ الرِّضَا مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ وَلَا هَيْبَةٍ وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ
كَبِيرٍ وَتَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ وَكُنْ فِي أُمُورِكَ فِي أَوْسَاطِهَا فَكَلَّا طَرَفِي الْأُمُورِ
ذَمِيمٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تُغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كَلَّا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَكُ فِيهَا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً فَإِنَّ كَلَّا حَالِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ
أَمْسِكِ الْمَعْرُوفَ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنْ اللَّيْمِ فَإِنَّهُ كَالْأَرْضِ السَّيْحَةِ لَا تُنْبِتُ
وَتُغَيِّرُ الْمَاءَ الْحُلُوَّ إِلَى الْمَرَارَةِ .

وَأَمْسِكِيكَ عَنِ الْفَاجِشِ الْبَيْدِيِّ بِالْقَوْلِ وَالْفَعْلِ فَإِنَّهُ يَرَى مَا أَعْطَيْتَهُ خَوْفًا
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

وَأَمْسِكِيكَ عَنِ الْأَحْمَقِ وَهُوَ الْجَاهِلُ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ قَدَرَ الْمَعْرُوفِ فَلَا قِيَمَةَ
لَهُ عِنْدَهُ .

مِنْ كَفَارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّشْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ .
إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُتَابِعُ النِّعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تُعْصِيهِ فَاحْذَرُهُ .

وقال علي رضي الله عنه : مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ
نَفْسِهِ وَاعِظَ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .

وَشَتَمَ أَحَدَ الْعُقَلَاءِ رَجُلٌ فَلَمْ يَغْضَبْ فَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا تَغْضَبُ فَقَالَ لَا
يَخْلُو هَذَا الَّذِي شَتَمَنِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فَلَا يَتَّبِعُنِي لِي أَنْ أَغْضَبَ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَا أُخْرِىْ أَنِي مَا أَغْضَبُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ أَكُنْ عَلَى مَا قَالَ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيِّ : إِنِّي أَذْرَكْتُ مِنَ الْأَزْمِنَةِ زَمَانًا عَادَ فِيهِ
الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَعَادَ وَصَنَّفَ الْحَقُّ فِيهِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ إِنْ تَرَعَبَ فِيهِ إِلَى عَالَمٍ
وَجَدْتُهُ مَفْتُونًا بِحُبِّ الدُّنْيَا يُحِبُّ التَّعْظِيمَ وَالرِّيَاسَةَ وَيَكْرَهُ لَا أَذْرِي إِذَا سُئِلَ .
وَإِنْ تَرَعَبَ فِيهِ إِلَى عَابِدٍ وَجَدْتُهُ جَاهِلًا فِي عِبَادَتِهِ مَحْلُوعًا صَرِيحًا غَلَرَهُ
إِبْلِيسُ قَدْ صَعِدَ بِهِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعِبَادَةِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِأَذْنَاهَا فَكَيْفَ بِأَعْلَاهَا .
وَسَائِرُ ذَلِكَ مِنَ الرِّعَاجِ هُمُجٌّ وَذِثَابٌ مُخْتَلَسَةٌ وَسِبَاحٌ ضَارِيَةٌ وَتَعَالَبُ
ضَوَارِي هَذَا وَصَنَّفَ أَهْلُ زَمَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ وَدُعَاةِ الْحِكْمَةِ ،
أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ .

أَتَى مَلِكٌ إِلَى زَاهِدٍ فِي الدُّنْيَا وَقَالَ لَهُ بَلِّغْنِي شِدَّةَ زُهْدِكَ فَأَتَيْتَكَ فَقَالَ لَهُ
أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَزْهَدُ مِنِّي .

قَالَ بَلَى ، قَالَ أَنتَ لِأَنِّي زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، وَزَهَدْتَ أَنتَ فِي

الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ .

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ وَسُئِلَ مَنْ
الْمُلُوكُ قَالَ الزُّهَادُ ، وَسُئِلَ مَنْ السُّفَلَاءُ قَالَ الْمَرَاوُونَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ بِدِينِهِمْ .
كَانَ أَبُو حَازِمٍ يَمُرُّ عَلَى الْفَاكِهِةِ بِالسُّوقِ وَيَقُولُ : مَوْعِدُكَ الْجَنَّةَ فَلَا
يَأْكُلُهَا .

قَالَ الْخَلِيفَةُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ :

سَلَّيَ حَاجَتَكَ ، فقال والله إنِّي لأستحي أن أسأل في بَيْتِهِ غَيْرُهُ .
فلم خَرَجَ مِنَ المسجد قال هشام الآن خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ فاسألني ،
فقال مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ الْآخِرَةِ .
قال مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا ، فقال سَأَلْتُ مَا سَأَلْتُهَا مِنْ يَمْلِكُهَا ، فكَيْفَ
أَسْأَلُهَا مِنْ لَا يَمْلِكُهَا .

سَلَّ الْإِلَٰهَ إِذَا تَابَتْكَ نَائِبَةٌ فَهُوَ الَّذِي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ
فَإِنْ مُنِحَتْ فَلَا مَنْ وَلَا كَلَرٌ وَإِنْ رُدِدَتْ فَلَا ذَلٌّ وَلَا نَحْجَلٌ
سئل الشعبي عن مسألة فقال لا أدري فقل له فبأي شيء تأخذ رَزَقَ
السلطان فقال لأقول لا أدري لِمَا لا أدري .

وقيل أما تستحي من كثرة ما تقول لا أدري فقال لكن الملائكة المقربين
لم يَسْتَحْيُوا حِينَ سُئِلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ أَنْ يَقُولُوا « لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » .

كان عبدالله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب رُمَحَهُ وَرَبَطَ
فَرَسَهُ وَتَوَضَّأَ وَشَرَعَ يُصَلِّي فلما سلم وجد فرسه أنها إنفلتت وأكلت من
الزروع .

فقال أكلت فرسي حراماً فلا يتبغى لي أن أغزو عليها فتركها لصاحب
الزروع واشترى غيرها وغزا عليها .

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يمتل جوف النبي ﷺ شَبَعاً
قَطُّ ولم يَبُثْ شكوى إلى أحد .

وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان لَيَظَلُّ جَائِعاً يَلْتَوِي طَوِيلَ
لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ فَلَا يَمْتَنِعُهُ صِيَامُ يَوْمِهِ .

ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها فأعطي
ولقد كنت أبكي له رَحْمَةً مِمَّا أَرَى وَامْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ
الْجُوعِ وَأَقُولُ نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُولُكَ فَيَقُولُ يَا عَائِشَةُ

ما لي وللدنيا إخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا فقدموا على ربهم .

فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجِدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم .

ومما من شيء أحب إلي من اللّٰه في إخواني وأخلائي ، قالت فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفي ﷺ .

اطعم أبو الدرداء ضيوفة ولما ناموا لم يكن عنده لحف تُعطيههم فأتاه أحدُهم فوجد أبا الدرداء وأهله بدون غطاء فسأله أين متاعكم فقال أبو الدرداء لنا دار هناك (يُريد الآخرة) تُرسِلُ إليها تِباعاً كلُّ ما نحصلُ عليه . ولو استبقينا في هذه الدار شيئاً لأرسلناه إليكم إن الطريق إلى تلك الدار عقبة كؤود المُخِف فيها خير من المثقل فأردنا أن نُخَفِّفَ لعلنا نتجاوزها .

أرسل سليمان بن عبد الملك وهو في مسجد رسول الله ﷺ إلى العالم صفوان وهو يصلي غلامه بخمسمائة دينار في كيس فقال له الغلام أَسْتِ صفوان ، قال : بلى ، قال خذ هذا المال من الخليفة .

قال صفوان هذا المال ليس لي أنت مُخطيء فاذهب وتثبت من الخليفة قال أمسيك الكيس حتى أعود قال : لا إن أمسكته فقد أخذه .

أذهب به معك فذهب الغلام ، وأخذ صفوان نعليه وخرج من المسجد ولم يعد إلى المسجد حتى سافر الخليفة . لله ذره هذا من رقم (١) في الزهد . قالوا تعطف قلوب الناس قلت لهم أذنى من الناس عطفاً خالق الناس وكيف أبسط كفي للسؤال وقد قبضتها عن بني الدنيا على اليأس تسليم أمري إلى الرحمن أمثل بي من استلامي كف البر والقاسي

ذكر عن الامام أحمد أنه سمع بحديث عند عالم في دمشق فسافر من بغداد

إليه فلما وصل دمشق سأل أحمد عنه فدل عليه فلما قرب من بيته وجدته خارجاً من بيته يقود حماره .

وقد كان حمالاً فرفض الحمار أن يمشي فحاول جره أو سوقه فأبى فجمع جبته ورفعها للحمار ليؤهم الحمار أن فيها شيئاً أو نحوه فتبعه الحمار . فتبين للإمام أحمد أن البجبة خالية ما فيها شيء فترك أحمد هذا العالم ولم يسأله عن الحديث حيث تبين له كذبه على الحمار .

اللهم لبابك قصدنا وقبولك أزدنا وعلى رحميتك وفضلتك وجودك اعتمدنا وإلى عزك استندنا وفي مرضاتك اجتهدنا وبهدايتك استرشدنا .

فلا نكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين واصليح لنا شأننا كله ، اللهم إنا بك مُستنصرون وبِعزتك مُستظهرون ولِغناك مُفتقرُونَ وَمِنْ تَقْصِيرنا مُستعِينُونَ . وَمِنْ ذُنُوبنا مُستَغْفِرُونَ وَلِشامِل عَفْوَكَ مُنتَظِرُونَ وَفِي خَفِيِّ الطَّافِكَ مُستَبْصِرُونَ وَلِعَظِيمِ اتِّقَامِكَ مُستَحْضِرُونَ وَلِعَظِيمِ صَفْحِكَ مُستَشْعِرُونَ . وَلِغُفْرانِكَ وَعَفْوَكَ وَرَحْمَتِكَ مُنتَظِرُونَ فاتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

كتب المنصور إلى جعفر الصادق يقول له ألا تزورنا كما يزورنا الناس ، فأجابته ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوه منك ، ولا أنت بنعمة فنهيتك بها ، ولا في نعمة فنعزبك . فكتب إليه المنصور تصحبنا لتنصحننا فقال من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

شكى عامل لعمر بن عبدالعزيز كثرة العمل وأنه يسهر الليل لذلك ، فكتب عمر إليه يا أخي أذكر طول سهر أهل النار مع مخلود الأبد . وإياك أن ينصرف بك العمل عن الله فيكون آخر العهد بك وانقطاع

الرجاء منك ، فلما قرأ الكتاب قَدِمَ على عمر ، وقال تَخَلَّعْتُ قَلْبِي بِكِتَابِكَ لَا أَعُودُ إِلَى وَلَايَةٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

مَرَّ أَحَدُ النَّاسِ بِجَمَاعَةِ يَتَرَامُونَ بِالنَّبْلِ وَرَجُلٌ جَالِسٌ بَعِيداً عَنْهُمْ ، فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ ، فَقَالَ ذِكُرْ اللَّهَ أَشْهَى عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ وَحَدَّكَ فِي هَذَا فَقَالَ مَعِيَ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا وَمَلَكَايَ .

فَقَالَ لَهُ مَنْ سَبَقَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَقَالَ مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَمِينَ الطَّرِيقِ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ وَمِثِّي وَقَالَ يَارَبُّ أَكْثَرَ خَلْقِكَ مَشْغُولٌ عَنْكَ .

قِيلَ إِنَّهُ مَرَضَ يَعْقُوبُ بْنُ لَيْثٍ مَرَضاً أَغْيَا الْأَطْبَاءَ فَاسْتَنْجَدَ بِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّاهِدِ ، وَقَالَ لَهُ ادْعِ اللَّهَ لِي أَنْ يَشْفِينِي .

فَقَالَ كَيْفَ يُسْتَجَابُ دُعَائِي لَكَ وَالْمَظْلُومُونَ مَا فُرِّجَ عَنْهُمْ فَأُطْلَقَ الْأَمِيرُ الْمَظْلُومِينَ فَقَالَ سَهْلٌ : اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَهُ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فَأَرِهِ عِزَّ الطَّاعَةِ وَفَرِّجْ عَنْهُ فَقِيلَ إِنَّهُ عَوَفِي بِإِذْنِ اللَّهِ فَعَرَضَ عَلَى سَهْلٍ مَالاً فَرَفَهَضَهُ وَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . وَهَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الزُّهْدِ .

حَبَسَ بَعْضُ الْمُلُوكِ شَخْصاً ظُلماً بَضَعَ سَنِينَ فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ الْمَظْلُومَ الْمَسْجُونَ كَتَبَ رِقْعَةً .

وَقَالَ لِلْسَّجَانِ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَوْصِلْ هَذِهِ الرِّقْعَةَ إِلَى الْمَلِكِ فَمَاتَ الرَّجُلُ . وَإِذَا مَكْتُوبٌ فِي الرِّقْعَةِ : أَيُّهَا الْعَاقِلُ إِنَّ الْخَصْمَ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَالْمُدَّعِي عَلَيْهِ بِالْأَثَرِ وَالْمَنَادِي جَبْرَيْلُ ، وَالْقَاضِي الَّذِي سَيَحْكُمُ بَيْنَنَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلُ الْعَادِلِينَ .

مِنْ أَغْجَبِ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَحْسِبُ لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَاباً وَيَسْتَعِدُّ لَهُ يَخْشَى الْفَقْرَ فَيَدَّخِرُ لَهُ الْمَالَ وَيَخْشَى الْبَرْدَ فَيَسْتَعِدُّ لَهُ وَالْحَرَّ كَذَلِكَ .

وَيَخْشَى الشَّيْخُوخَةَ وَالْكِبَرَ فَيَسْتَعِي فِي تَحْصِيلِ الْأَوْلَادِ لَعَلَّهُمْ يَخْدُمُونَهُ عِنْدَ الْعَجْزِ وَيَخْلِفُونَهُ فِي شُؤْنِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ وَهَكَذَا .

لِكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَوْتُ الَّذِي رُبَّمَا فَاجَأَهُ فِي جِسَائِهِ فَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ مَعَ أَنَّهُ يُشَاهِدُ الْمَوْتَى يَذْهَبُونَ وَلَا يَعُودُونَ .

وَهُوَ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ تُحْصَوُصاً فِي زَمْنِنَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ أَسْبَابُ مَوْتِ الْفَجَاءَةِ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا لِلاِسْتِعْدَادِ لَهُ .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَإِنْ أَمْسَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ عَنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقْبَضْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا كُنْتُ فِي إِذْبَارِ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى .

وَقَالَ آخَرُ : الدُّنْيَا كَطَرِيقٍ فِيهِ شَوْكٌ مُغْطًى بِالتُّرَابِ يُلْدُسُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَسْلَكَهُ فَيَنْحَسُّهُ وَيَضُرُّهُ وَيُؤْلَهُ وَيَقِفُ عَنْهُ مَنْ اسْتَرَابَ بِهِ فَيَسْلُمُ مِنْ شَرِّهِ .

وَقَالَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فِيهَا وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ فَنَائِهِ .
وَقَالَ مَا أَغْفَلَ مَنْ تَيَقَّنَ بِالرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ مُنْهَمِكٌ مُجْتَهِدٌ فِي عِمَارَتِهَا وَالْجَدِيدُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ لِلْآخِرَةِ وَلَا يَنْسَى نَصِيئَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا .

فَمَنْ جَعَلَ هَمَّهُ كُلَّهُ لِلدُّنْيَا ضَيَّعَ نَفْسَهُ ، وَفِعْلُ السَّبَبِ لَا يَنَافِي التَّوَكُّلَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرْوِحُ بَطَاناً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

فَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ الْكَفَافِ وَعِمَارَةِ الْآخِرَةِ تَفِيدُ الرَّاحَةَ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمَ فِي الْآخِرَةِ وَعِمَارَةُ الدُّنْيَا تَكْسِبُ التَّعَبَ فِيهَا وَالشَّقَاءَ بَعْدَ مَفَارِقَتِهَا .

وَالْآخِرَةُ صَبْرٌ قَلِيلٌ وَسُرُورٌ طَوِيلٌ .

وَقَالَ آخَرُ : الْمَوْتُ رَاحَةٌ لِمَنْ كَانَ عَبْدٌ شَهْوَتِهِ وَمَمْلُوكٌ هَوَاهُ لِأَنَّهُ كُلَّمَا

طالت حَيَاتُهُ كَثُرَتْ سِيَفَاتُهُ وَاتَّبَتْ فِي الْعَالَمِ جَنَائِثُهُ .
وقال : الموت محمود على كل حال لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، فَأَمَّا الْبَرُّ فَيَصِلُ إِلَى مَا
قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ وَجَمِيلِ أَعْمَالِهِ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَرِيحُ الْعَالَمُ مِنْ فَجْوَهِهِ
وَشُرُورِهِ وَيَقِلُّ تَزْيِيدُهُ مِنَ الْأَوْزَارِ .

وختاماً فإن الإنسان عند موته ينكشف له الحجاب فإن كان ممن رضي
الله عنه ينكشف له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه
كالسجن المضيق .

يفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها ويريحانها ويوسع له قبره مد
بصره .

وإن كان من أهل الشقاء فيرى نفسه محفوفة بالخمازي والفضائح
والأنكال ويضيق عليه قبره . ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها
نعوذ بالله من ذلك .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا
بأموالنا وأهلينا وأولادنا وأصدقائنا مع العلم أننا سنفارق الجميع ولكننا في غفلة
ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكير والتأمل في خطر تلك الحالة وهول
المطلع لكان كافياً في استغراق جميع العمر ولكن ما عَرَفَ قَدْرَ الْعُمْرِ وَعَرَفَ
الدنيا حَقِيقَةً إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الْأَلْفِ الَّذِي تَمَسَّكُوا بِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ جَعَلُوا الدُّنْيَا مَطْيَةً لِلْآخِرَةِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنْ يُوقِنَا لِسُلُوكِ طَرِيقِهِمْ وَأَنْ
يَجْزِيَهُمْ عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ التَّفَاقُ وَالْحَسَدِ
وَالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَأَعِزَّنَا مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الصُّدُورَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قيل لرسول الله ﷺ في المنام « إن سيداً بتى داراً ووضع مأذبةً وأرسل داعياً ، فَمَنْ أَجَابَ الداعِيَ دَخَلَ الدارَ وأكَلَ مِنَ المأذبةِ وَرَضِيَ عنه السيد . وَمَنْ لم يُجِبِ الداعِيَ لم يَدْخُلِ الدارَ ولم يَطْعَمْ مِنَ المأذبةِ وَسَخِطَ عَلَيْهِ السيدُ فاللهُ السيدُ ومحمدُ الداعِيَ والدارُ الإسلامُ والمأذبةُ الجنةُ » .

الكلام أيسر الأعمال وأكثرها أهمية فكم من كلمة أثت بخير عظيم لا يقدر قدره إلا الله وكم من كلمة أزالَتْ نِعْماً ورؤوساً عن أعناقها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول « إن العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ما يَتَّبِعُنَّ فيها يَزُلُّ بها إلى النارِ أَبْعَدَ مِمَّا يَتَّبِعُ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ » متفق عليه .

وقال ﷺ « إن الرجلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تعالى ما كان يَظُنُّ أن تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ يَكْتُوبُ اللَّهُ له بها رِضْوَانُهُ إلى يومِ يَلْقَاهُ .

وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ما كان يَظُنُّ أن تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ يَكْتُوبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إلى يومِ يَلْقَاهُ » رواه مالك في الموطأ والترمذي .

الكلام ينقسم قسمين نافع وضار ، فالنافع مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبيان الحق والدفاع عنه والدعوة إلى الله وإرشاد الضال والتنبيه على الخطر ونحو ذلك .

والكلام الضار مثل القذف ومثل البهتان وهو أن تجعل لإنسان مسلم صفة مذمومة هو خال منها ومن الكلام الضار الدفاع عن الباطل وأعظم الكذب الكذب على الله وعلى رسله .

وَلَا يَجُوزُ حَتَّى على سائر الناس إلا ما إستثنى وذلك في الإصلاح بين الناس وفي الحرب وفي حديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

وما عدا ذلك فهو حرام بجميع أنواعه ومنه دحض الحق وشهادة الزور ويكون في السباب واللعن والبذاءة والفحش ومنه النفاق والرياء والسخرية بالمسلمين حتى المزاح والتمثيلات ونحو ذلك .

كان لأبي حنيفة دين على أحد الناس ولما رأى المديون أباً حنيفة في الطريق فرغ منه وهرب فناداه أبو حنيفة وقال له : أنا سَامَحْتُكَ بِالَّذِينَ لَأَنْتِي رَوَّعْتُكَ فقد قال رسول الله ﷺ « لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً » رواه أبو داود . أين الورعون هل يوجد في زمننا منهم أحد ؟

عَبَّثْتُ عَلَى عَمْرٍو فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَاماً بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو
أكيس الناس رجل وفقه الله لطاعته فعمل بها ثم دل الناس عليها .
العارف لا يفتر عن ذكر الله لأن الله يقول ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾
ولا يمل من أداء حقوق الله ولا يأنس بغيره .

مَنْ عِلْمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنْصَحُ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ وَأَنْ
كل ما من الله نعم فقد شكر الله .

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقِيقَةً صَفَا لَهُ الْعِيشُ وَطَابَتْ لَهُ الْحَيَاةُ وَهَابَتْ كُلُّ شَيْءٍ
وذهب عنه تحوُّفُ المخلوقين وأنس بالله تعالى .

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَحَبَّهُ لِأَن مَصْدَرَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ مِنْهُ جَلُّ وَعَلَا
يعطي الإنسان كل ما يريد وفوق ما يُريد إذا شاء .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنْ اللَّهَ
بالناس لرؤوف رحيم ﴾ فهو أكرم الأكرمين وأجود الأجودين .

أَحَبُّ الْمَحْبُوبِ رِبِّهِمْ حُبًّا شَعَرُوا مَعَهُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ يَرَاهُمْ دَائِمًا فَتَأَدَّبُوا أَدَبًا
أصبحوا معه لا يقولون إلا أَحْسَنَ القول .

وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا أَحْسَنَ الْعَمَلِ لِأَنَّهُمْ مُتَيَقِّنُونَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ
وأطلّاعِهِ أَيْتَمَّا كَانُوا وَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ وَخَافُوا غَضَبَهُ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُمْ
فاستقاموا كما أمروا .

قال بعضهم علامة مَحَبَّةِ اللَّهِ إِثَارُ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ ، وقال آخر
أَحَبُّتُ اللَّهَ حُبًّا سَهْلًا عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَرَضَائِي فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ فَمَا أَبَالِي مَعَ حُبِّي

إِيَّاهُ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ وَمَا أَمْسَيْتُ .
وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ يَنْعَى بِالزَّوْجِ وَدُّهُ وَمَالِي سِوَى رُوحِي تَقَدَّمْتُ أَشْتَرِي
لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَةَ اللَّهِ وَلَمْ يَحْفَظْ حُلُودَهُ وَيُؤَدِّي فَرَائِضَهُ .
وقال آخر : إن الله سبحانه خبأ أربعاً في أربع ، رضاه في طاعته فلا
تُحَقِّرُوا مِنْهَا شَيْئاً فَلَعَلَّ رِضَاهُ فِيهِ وَخَبَأَ غَضَبَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ فَلَا تَحَقِّرُوا مِنْهَا شَيْئاً
فَلَعَلَّ غَضَبَهُ فِيهِ وَخَبَأَ وَلَايَتَهُ فِي عِبَادِهِ فَلَا تَحَقِّرْ مِنْهُمْ أَحَدًا فَلَعَلَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَبَأَ
إِجَابَتَهُ فِي دُعَائِهِ فَلَا تُتْرِكِ الدُّعَاءَ قَرَبُماً كَانَتْ الْإِجَابَةُ فِيهِ .

الصالحون يَبْنُونَ أَنْفُسَهُمْ والمصلحون يَبْنُونَ الجماعات .
إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ .
مَا ذَلَّ قَوْمٌ حَتَّى ضَعُفُوا ، وَمَا ضَعُفُوا حَتَّى تَفْرُقُوا وَمَا تَفْرُقُوا حَتَّى
يَخْتَلِفُوا وَمَا يَخْتَلِفُوا حَتَّى تَبَاغَضُوا وَمَا تَبَاغَضُوا حَتَّى تَحَاسَدُوا فَاسْتَأَثَّرَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ .

لَا شَيْءَ أَضَرَّ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ إِشْرَاكِ الْعَامَّةِ فِيهِمَا هُوَ شَأْنُ الْخَاصَّةِ
وَمِنْ تَصَدَّرَ الصَّغِيرُ مَكَانَ الْكَبِيرِ وَإِنْزَالِ الْجَاهِلِ مَكَانَ الْعَالِمِ .
لَا تُفْرَحُكَ الطَّاعَةُ لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْكَ وَافْرَحَ لِأَنَّ اللَّهَ وَفَّقَكَ لِإِعْمَالِهَا
وَيَسِّرَهَا عَلَيْكَ وَأَعَانَكَ عَلَيْهَا .

التوكل اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله
وفعل الأسباب .

وقال آخر : التوكل هو أنك إذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا عَمِلْتَهُ بِحِدٍ وَاتَّقَانٍ
مَعَ اعْتِقَادِكَ أَنَّ التَّوْفِيقَ فِيهِ يَأْتِيكَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ عَمَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَكَ
وَأَلْهَمَكَ مَا يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ وَسَهَّلَ لَكَ سَبِيلَهُ ثُمَّ وَفَّقَكَ فِيهِ لِهَذَا
فَإِنَّكَ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالنَّجَاحَ .

ليس التوكل ترك الأسباب والتخلي عنها بل معناه انحصار الأمل في الله

وحده والإلتجاء إلى تدبيره وحكمته .
وعَدَم تعلق القلب بالأسباب لأنها وحدها لا تغني من الله شيئا .
قيل لأبي حازم غَلَبَتِ الأسعار فقال ما يهكم من ذلك إن الذي يرزقنا
في الرخص هو الذي يَرْزُقُنَا في العلاء .
من الكرامات أن تُبَدَّلَ خُلُقًا ذَمِيمًا بِخُلُقٍ حَسَنٍ .
ومن أعظم الكرامات الاستقامة على شرع الله تعالى .
من أخلاق المؤمن حُسْنُ الحديث إذا حَدَّثَ وَحُسْنُ الاستماع إذا حَدَّثَ
وحسن البَشْرِ إذا لُقِيَ ووفاء بالوعد إذا وَعَدَ ، والله أعلم .

(فـ ص ل)

الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مهنة الأنبياء
والمرسلين والعلماء العاملين بالكتاب والسنة .
لهذا كانتْ أَشْرَفَ مِهْنَةٍ وَأَحْسَنَ مِهْنَةٍ وَأَعْظَمَ المِهْنِ وأكثرها ثواباً عند
الله وأكثرها لُزُوماً .
فالأمة التي لا تُوجَدُ فيها أُمَّةٌ ضَالَّةٌ يَتَوَلَّاهَا إبليس لعنه الله فيفسدها .
هذه الطاعة لها أصول وإمكانات فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
يجب على القائم بهما أن يكون عارفاً ماذا يقول وماذا يفعل .
وأن يبدأ بنفسه فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر ثم يأتي الناس
فيأمرهم بالصدق بعد ما يتصف به .
وينهى عن الغيبة بعد ما يتوب منها .
وينهى عن الملاهي بعد ما يُنْصَفُ بَيَّتُهُ منها وَيَتَجَنَّبُهَا وَهَلُمَّ جَرًّا .
ثم يجب أن يَتَغَيَّرَ بذلك وَجْهَ الله تعالى لا يُرِيدُ بذلك رِيَاءً وَشُهْرَةً وَلَا
سُمْعَةً .
وأن يكون بذلك لَبِقًا لَطِيفًا حَكِيمًا عَمَلًا بقوله تعالى ﴿ أَذْغِ إِلَى سَبِيلِ

ربك بِالْحِكْمَةِ والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿ .
 ولا بُدَّ أَنْ يَكُونَ واسعَ الصدر صَبُوراً حَلِيماً داعياً للناس بالتوبة والتوفيق
 ويدْعُوهم بِرَفْقٍ وَشَفَقَةٍ ولطف بهم .
 وقد يُصَابُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأذى أو مَهَانَةٍ أو سِجْنٍ
 أو قَتْلٍ فَلْيَصْبِرْ وَيَحْتَسِبِ الأجر والثواب مِنَ الله تعالى .
 وقد بَيَّنَّهَا ربُّنا بقوله عن لقمان ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

ومن أمثلة بَدْءِ الإنسان بنفسه أولاً أَنْ وَلَدَا كَانَ يُدْخِنُ فجاء والدُهُ إلى
 الأُسْتَاذِ الَّذِي كَانَ يُدْرِسُ الولدَ وقال إن ابني يُدْخِنُ وقد حَاوَلْتُ مَنَعَهُ مِنْهُ فلم
 أَقْدِرْ وَأَوَدُّ أَنْكَ تَنْصَحَهُ .
 فَوَعَدَهُ أَنَّهُ يَنْصَحُهُ فَأَتَاهُ بَعْدَ مُدَّةٍ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الولدَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى حَالِهِ ثُمَّ
 عَاوَدَهُ بَعْدَ مُدَّةٍ فَوَعَدَهُ خَيْرًا ثُمَّ تَرَكَ الولدَ التَّدخينَ فجاء أبوه إلى الأُسْتَاذِ يَتَشَكَّرُ
 مِنْهُ .

فقال الأُسْتَاذُ : إِنَّ تَأْخُرِي عَنِ الْمُبَادَرَةِ بِنَصْحِهِ لَأَنِي كُنْتُ أَدْخِنُ فَلَذَا
 بَدَأْتُ بِنَفْسِي وَحَاوَلْتُ تَرْكَهُ فَلَمَّا قَدِرْتُ عَلَى تَرْكِهِ نَصَحْتُهُ فَتَفَعَّلَتِ النَّصِيحَةُ
 بِإِذْنِ اللَّهِ أَه .

شعراً :

يا أيها الرجل المعلم غَيْرَهُ	هلا لِنَفْسِكَ كان ذا الثَّقَلِيمِ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَها عَنْ غِيها	فإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيم
فهنالك يُقْبَلُ ما تقول وَيُقْتَدَى	بالرأي مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدواء لِيَذِي السِّقَامِ مِنَ الضُّعْفِ	كَيْما يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
ما زلت تَلْفَحُ بِالرَّشَادِ عَقولنا	عِظْتَ وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ

ويقول الآخر :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ
وإياك والغلظة والشدة في النصيحة فإنهما يُسَبِّانِ الرد والتشاتم والسباب
والاستمرار على الحالة السيئة أو أسوأ .

قال الله جل وعلا لموسى حين أرسله لفرعون ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَهُلَهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فـ ص ل)

البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي هو يطلبه
فيعيش في الدنيا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ وَيُحَاسِبُ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .

البخيل هو الرجل الوحيد الذي يَسْتَبْشِرُ وَرَثَتَهُ بِمَرْضِيهِ وَمَوْتِهِ .
لا تغتر بالمال وإن كَثُرَ فآلَافُ كَثِيرَةٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ فِي كَثْرَتِهِ هَلَاكُكَ .
كان إبراهيم ابن أدهم ولي عهد في إيران فترك المملكة واشتغل بالعبادة
بدمشق وعمل حارساً في بُسْتَانٍ لِيَكْسِبَ عَيْشَهُ مِنَ الْحَلَالِ .

وفي يوم أتى إليه وَكِيلُهُ لما كان في الإمارة وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ
وقال له تُوفِ عَهْدَ لَكَ فِي إِيرَانَ وَتَخَلَّفَ هَذِهِ الدَّرَاهِمُ فَأَتَيْتُ بِهَا إِلَيْكَ فَقَالَ لَا
حَاجَةَ لِي بِهَا .

قَالَ فَمَاذَا أَعْمَلُ بِهَا قَالَ خُذْ لَكَ عَشْرَةَ آلَافٍ وَأَعْطِ صَاحِبَ الْبُسْتَانِ
عَشْرَةَ آلَافٍ .

وأنفق على فقراء إيران عشرة آلاف .

هكذا كانوا يَخَافُونَ الْغِنَى كَمَا يَخَافُ النَّاسُ مِنَ الْفَقْرِ .

سئل ابن مَرْتَدٍ مَالُكَ لَا تَجِفْ عَيْنُكَ مِنَ الْبُكَاءِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَنِي إِنْ
أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجُنَنِي فِي النَّارِ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَنِي إِلَّا أَنْ يَسْجُنَنِي فِي الْحَمَامِ
لَكُنْتُ حَرِيّاً أَلَّا تَجِفَّ عَيْنِي مِنَ الْبُكَاءِ .

وسئل إبراهيم بن أدهم فَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا تُخَالِطُ النَّاسَ فَقَالَ إِنْ صَحِبْتُ مَنْ
هُوَ دُونِي آذَانِي بِجَهْلِهِ وَإِنْ صَحِبْتُ مَنْ فَوْقِي تَكَبَّرَ عَلَيَّ وَإِنْ صَحِبْتُ مَنْ هُوَ

مِثْلِي حَسَدَنِي فَاسْتَعْلْتُ بِمَنْ لَيْسَ فِي صُحْبَتِهِ مِلَالٌ وَلَا فِي وَصْلِهِ انْقِطَاعٌ وَلَا فِي الْأَنْسِ بِهِ وَخَشَّةٌ .

مُصَاحَبَةُ الْأَحْمَقِ الْجَاهِلِ كَمُصَاحَبَةِ الْحَيَّةِ لَا تَذَرِي مَتَى تَلْدَغُكَ .
مَا لِي أَرَى الشَّمْعَ يَبْكِي فِي مَوَاقِدِهِ مِنْ حُرْقَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ الْعَسَلِ
مَنْ لَا تُجَانِسُهُ إِحْذَرُ تُجَالِسُهُ مَا ضُرَّ بِالشَّمْعِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفَقَلِ
لَأَنَّ الْفَتِيلَةَ مِنْ قُطْنٍ أَوْ نَحْوِهِ وَالشَّمْعُ مِنْ دَهْنٍ أَوْ نَحْوِهِ فَهُمَا مَتَبَايِنَانِ
بَعِيدَانِ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فَلِهَذَا اخْتَرَقَ الشَّمْعُ لَمَّا صَاحَبَتْهُ الْفَتِيلَةُ وَكَذَلِكَ الْأَحْمَقُ
بَعِيدٌ عَنِ الْعَاقِلِ فِي الْمَعْنَى فَلَا يَتَّبِعِي لَهُ صُحْبَتُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فِصْل)

[الْبَشَائِرُ الَّتِي بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا الْمُتَّقِينَ فِي الْقُرْآنِ]

الأولى : الْبُشْرَى بِالْكَرَامَاتِ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ الْآيَةُ .

الثانية : الْبُشْرَى بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الْآيَةُ .
الثالثة : الْبُشْرَى بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ﴿ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ الْآيَةُ .

الرابعة : الْبُشْرَى بِكَفَّارَةِ الذُّنُوبِ وَتَعْظِيمِ الْمُتَّقِي بِتَعْظِيمِ أَجْرِهِ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .

الخامسة : التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ الْآيَةُ .
السادسة : الْبُشْرَى بِالْمَغْفِرَةِ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

السابعة : الْيُسْرُ وَالسَّهُولَةُ فِي الْأَمْرِ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

الثامنة : الْخُرُوجُ مِنَ الْعَمِّ وَالْمِحْنَةِ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ .

التاسعة : رزق واسع بأمن وفراغ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
العاشرة : النجاة من العذاب والعقوبة ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ .
الحادية عشرة : الفوز بالمراد ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازٍ لَهُمْ
الآية ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴾ .

الثانية عشرة : التوفيق والعصمة ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .
الثالثة عشرة : الشهادة لهم بالصدق ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

الرابعة عشرة : بشارة الكرامة والأكرمية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
اتَّقَاكُمْ ﴾ .

الخامسة عشرة : بشارة المحبب ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
السادسة عشرة : الفلاح ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
السابعة عشرة : نيل الوصال والقربة ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتَّقَاكُمْ مِنْكُمْ ﴾ .
الثامنة عشرة : نيل الجزاء بالمحنة ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

التاسعة عشرة : قبول الصدقة ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
العشرون : الصفاء والصفوة ﴿ فَالَّذِينَ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .
الحادية والعشرون : كمال العبودية ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ .
الثالثة والعشرون : الجنات والعيون ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .
الثالثة والعشرون : الأمن من البلية ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ .
الرابعة والعشرون : عز الفوقية على الخلق ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ﴾ .

الخامسة والعشرون : زوال الخوف والحزن من العقوبة ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازاً . حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً . وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ الآيات .

السابعة والعشرون : قُرْبُ الحَضْرَةِ واللِّقَاءِ والرُّؤْيَةِ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾
الثامنة والعشرون : أَنْ لَا عِدَاوَةَ بَيْنَهُمُ ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

التاسعة والعشرون : إِصْلَاحُ أَعْمَالِهِمْ وَمَغْفِرَةُ ذُنُوبِهِمْ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

الثلاثون : تَقْرِيبُ الْجَنَّةِ لَهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .
شِعْرًا : أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ

بِهِ وَجَلُّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا

وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهَوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى

وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي

إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصُّحُوفُ
وَكُنْ مُؤَيِّسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا

يَصُدُّ ذَوُوا الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالِفُ
لَيْنَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي

أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَلَائِي لَتَالِفُ
عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ الْعَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ

سَبِيلَ الرُّشَادِ وَطَرِيقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلُّ شَأْنُهُ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللهم إنا نعوذ بك من شرِّ أَسْمَاعِنَا ومن شرِّ أَبْصَارِنَا ومن شرِّ السَّيِّئَاتِ
وشرِّ قُلُوبِنَا وشرِّ مَنِينِنَا .

اللهم عافنا في أبداننا وفي أَسْمَاعِنَا وفي أَبْصَارِنَا اللهم إنا نعوذ بك من
الفقرِ والكُفْرِ ، اللهم إنا نعوذُ بك من عَذَابِ القَبْرِ لا إلهَ إلاَّ أَنتَ .

اللهم إنا نعوذ بك من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ .
اللهم إنا نعوذ بك من زوالِ نِعْمَتِكَ وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وفجأةِ نِقْمَتِكَ ،
اللهم أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا عِلْمًا الحمد لله على كل حال
وأعوذُ بالله من حَالِ أَهْلِ النارِ .

اللهم أَغْنِنَا بِالْعِلْمِ وَزَيِّنَا بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنَا بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنَا بِالْعَافِيَةِ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ صِحَّةً في إِيمَانٍ وإِيمَانًا في حُسْنِ خُلُقٍ وَنَجَاحاً يَتَّبِعُهُ
فَلَاحٌ ، وَرَحمةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا .

اللهم إنا نعوذ بوجهك الكريم واسمِكَ العَظِيمِ من الكفر والفقر .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ رَحمةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ،
وَتُلِمُّ بِهَا شَعْبَتَنَا ، وَتَرُدُّ بِهَا إِلْفَتَنَا ، وَتُصْلِحُ بِهَا دِينَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا عَافِيَتَنَا ، وَتَرْفَعُ
بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتُزَكِّي بِهَا عِلْمَنَا ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وُجُوهَنَا وَتُلْهِمَنَا بِهَا رُشْدَنَا
وَتُعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اللهم أَعْطِنَا إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحمةً تَنَالُ بِهَا شَرَفُ
كَرَامَتِكَ في الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ الفوزَ عندَ القضاءِ وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَغِيْشَ السُّعَدَاءِ
وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَمِرافقةَ الأنبياء .

اللهم مَا قَصَّرَ عَنْهُ رَأْيُنَا وَضَعَفَ عَنْهُ عَمَلُنَا وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتُنَا وَأُمْنِيَّتُنَا مِنْ خَيْرٍ
وَعَدْتُهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ وَخَيْرٍ أَنتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِيهِ
وَنَسْأَلُكَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

اللهم ارزُقنا أعيناً هَطَّالَةً تُشْفِيَانِ الْقَلْبَ بِذُرُوفِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ
قَبْلَ أَنْ تَكُونُ الدُّمُوعُ دَمًا وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا .

اللهم اجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِينَ وَلَا مُضِلِّينَ خَرَبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلْمًا
لِأَوْلِيَائِكَ نَحِبُ بِحُبِّكَ النَّاسَ وَتُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ تَحَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .
اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ
دَارَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّرِينَ الشُّهُودِ وَالرَّكَعِ السُّجُودِ وَالْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ وَالْوَعْدِ إِنَّكَ
غَفُورٌ رُؤُوفٌ وَدُودٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا
دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ وَإِذَا اسْتُرْجِمْتَ بِهِ رَجِمْتَ وَإِذَا
اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَجْتَ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا وَاحِدٌ أَحَدٌ يَا فَرْدٌ صَمَدٌ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوٌ أَحَدٌ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ تَفْتَحَ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ
وَالْإِجَابَةِ .

وَأَنْ تُرْزُقَنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ الْإِنَابَةِ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب

يوم السبت الموافق ١٤٠٦/٤/٢ هـ الساعة العاشرة والنصف

(عبدالعزيز بن محمد بن سلمان)

